المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

إستراتيجية روسيا الاتحادية تجاه الشرق الأوسط وشمال أفريقيا دراسة مقارنة بين ليبيا وسوريا (2019 – 2010)

أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث في العلوم السياسية

تخصص: دراسات استراتيجية

إعداد الطالب:

– محمد بهلول

إشراف الأستاذ الدكتور:

– حكيم غريب

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
تسعديت مسيح الدين	أستاذ التعليم العالي	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	رئيساً
حكيم غريب	أستاذ التعليم العالي	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	مقرراً
عبد الوهاب عمروش	أستاذ التعليم العالي	جامعة بومرداس	عضواً
عمر يوريشة	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 3	عضواً
إبراهيم تيقمونين	أستاذ محاضر أ	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	عضواً
إيمان بلقرشي	أستاذ محاضر أ	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	عضواً

السنة الجامعية: 2021/ 2022

المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

إستراتيجية روسيا الاتحادية تجاه الشرق الأوسط وشمال أفريقيا دراسة مقارنة بين ليبيا وسوريا (2019 – 2010)

أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث في العلوم السياسية

تخصص: دراسات استراتيجية

إعداد الطالب:

– محمد بهلول

إشراف الأستاذ الدكتور:

– حكيم غريب

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
تسعديت مسيح الدين	أستاذ التعليم العالي	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	رئيساً
حكيم غريب	أستاذ التعليم العالي	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	مقرراً
عبد الوهاب عمروش	أستاذ التعليم العالي	جامعة بومرداس	عضواً
عمر يوريشة	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 3	عضواً
إبراهيم تيقمونين	أستاذ محاضر أ	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	عضواً
إيمان بلقرشي	أستاذ محاضر أ	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	عضواً

السنة الجامعية: 2021 - 2022

بسم الله الرحمن الرحيم

من لم يشكر الناس لم يشكر اللّه

فشكرا لكلّ من دعم البحث ومن والاه

وما الهدى إلّا لمن هداه اللّه

وما هدى إلّا منى القلب وما لي قصد سواه

شكرا لكم حتّى يبلغ الشّكر منتهاه

ومن نال علما وهدى فقد حباه المولى واجتباه

محمّد بهلول

الإهداء

أهدي ثمرة سنين عمري أطروحة نالت منّي ما نالت من كدّ، جدّ وسهر وسمر وآمال وآلام وانتصارات وانكسارات وجهاد واجتهاد، إلى من أوصاني بخدمة بلادي حتّى آخر نفس في حياتي المرحوم المجاهد الذي عرفت منه معنى الجهاد أبي رحمه الله.

إلى المشرفة الثّانية عليّ وعلى هذه الأطروحة نبع الحنان والاطمئنان أمي الحبيبة، إخوتي أخواتي سند من أشدّ بهم أزري، أهلي اللقب الشريف آل بهلول.

إلى كل أصدقائي ورفقاء الدّرب، كل باسمه ومقامه.

الشكر

يشرّفني أن أتوجّه بالشّكر والعرفان للأستاذ الدّكتور حكيم غريّب على إشرافه ودعمه المستمرّ لي ولهذه الأطروحة، كان نعم الصّاحب ولن أنسى فضله ما حييت.

أشكر السيد "ألكسندر دوغين " المفكّر ومستشار الأمن القومي للرّئيس الرّوسي "فلاديمير بوتين" على دعمه وملاحظاته القيّمة حول الموضوع.

أتقدّم بجزيل الشّكر لأعضاء اللّجنة الموقّرة لقبولهم مناقشة هذه الأطروحة.

ملخّص:

تهدف هذه الأطروحة إلى إبراز مفاصل إستراتيجية روسيا الجديدة التي بدأت تستعيد دورها الريادي تدريجيا بصفتها قوة كبرى لها القدرة على منافسة ومواجهة الولايات المتحدة الأمريكية والغرب، وتركّز الأطروحة على البحث في التطور التّاريخي ليس بغرض سرد الوقائع، بل من أجل استخراج التكرارات التي تشكل أبعاد هذه الإستراتيجية التي بقت ثابتة رغم اختلاف الفترات وطولها، من الإمبراطورية مرورا بالاتّحاد السّوفياتي، ثم روسيا الاتحادية، فالثوابت تمثل الإستراتيجية، والمتغيرات تمثل التكتيكات.

بدأت روسيا منذ 2008 في تطبيق إستراتيجية جديدة قادها الرئيس فلاديمير بوتين، حاملا طموح استعادة قوة بلاده الضائعة بين المحافظة على خصوصيتها الاقتصادية والثقافية والهوياتية، وتيارات العولمة والليبرالية التي تجذبها جذبا، يكاد يكون إجبارا، وقد كان في أحداث الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فرصة سانحة لتحقيق آماله وتطلعات شعبه.

تميز الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بعلاقة مع روسيا امتزجت بالتقارب تارة والتباعد تارة أخرى، حال هذه العلاقة من حال روسيا نفسها التي شهدت المجد وعانت من التقهقر، لذلك سيتم الخوض في كل ما ذكر لمزيد من الفهم، والتعمق في الدور الجديد انطلاقا من المنطقة لعد الحروب التي انتشرت فيها على رأسها الحرب في ليبيا وسوريا، وسيتم المقارنة بين إستراتيجية الكرملين تجاه هاتين الحربين لمعرفة مكانة الإقليم، ومستقبله، وإعداد العدة لمواجهة الطوارئ فيه.

Summary:

This thesis aims to highlight the basis of Russia's new strategy, which has begun to gradually regain its role as a major power with the ability to compete and confront the United States of America and the West.

It remained constant despite the different periods and their length, from the empire through the Soviet Union, then the Russian Federation. The constants represent the strategy, and the variables represent the tactics.

since 2008, Russia has began to implement a new strategy led by President Vladimir Putin, bearing the ambition of restoring his country's lost power between preserving its economic, cultural and identity privacy, and the currents of globalization and liberalism that are attracting it, almost forcibly,It is almost compulsory, and in the events of the Middle East and North Africa an opportunity to realize his and people’s hopes.

The Middle East and North Africa was distinguished by a relationship with Russia that was mixed with rapprochement sometimes and divergence in other times, between the declared friendship and planning for division. The sitution of this relationship is similar to that of Russia itself, which witnessed glory and suffered from regression, so we will delve into all of the above for more understanding, and to delve into the new role from the region to count the wars in which the war in Libya and Syria has spread, and the Kremlin’s strategy towards These two wars are to know the region's status and future, and to prepare to face emergencies in it.

خطّة الدّراسة

خطّة الدراسة

مقدّمة

الفصل الأوّل: مقاربة معرفية لإستراتيجية روسيا الاتحادية

المبحث الأوّل: التّطوّر التّاريخي لإستراتيجية روسيا

المبحث الثاني: أبعاد إستراتيجية روسيا

المبحث الثّالث: مقارنة إستراتيجية روسيا بين الإمبراطورية والاتحاد السوفياتي وروسيا

الفصل الثاني: الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجية روسيا

المبحث الأوّل: أهمية الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجية روسيا

المبحث الثّاني: إستراتيجية روسيا نحو الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في ظل التنافس الدولي

المبحث الثّالث: موقف روسيا من أحداث الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

الفصل الثّالث: مقارنة إستراتيجية روسيا بين ليبيا وسوريا

المبحث الأوّل: المقارنة على المستوى السياسي

المبحث الثاني: المقارنة على المستوى الاقتصادي

المبحث الثّالث: المقارنة على المستوى العسكري

الخاتمة

مقدّمـــــــة

مقدّمة:

شكّلت تحوّلات النظام الدولي في عدّة مناسبات فرصة للدّول كي تراجع حساباتها، وترتّب أولوياتها وتكيّف إستراتيجياتها بما تفرضه هذه التحولات، فالعالم اليوم أصبح أكثر ارتباطاً جرّاء إفرازات العولمة، ما أثّر على سرعة انتقال التّهديدات، وزاد من تعقيدها حتّى أصبح التّخوّف من إمكانيّة امتلاك تنظيمات إجراميّة أسلحة محرمة دولياً.

ونظراً لأنّ مصلحة الدولة العليا تظل على رأس الأولويات تسارع كل دولة خاصة الكبرى منها للبحث عن كيفية ضمان هذه المصالح خارج إقليمها، بل إن الأمن لم يعد مرتبطاً بحدود الدولة الداخلية، وإنما يمتد إلى المدى الذي يمكن الوصول إليه خارج الحدود، على غرار التدخل الأمريكي في أفغانستان 2001 والعراق 2003 بحجة محاربة الإرهاب في إطار الأمن القومي.

يُعدّ الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من أكثر المناطق أهمية في النظام الدولي / العالمي، والأكثر توتراً خاصة بعد ما عرفه من أحداث بعد 2010، مست أغلبية دوله مثل: تونس فمصر ثم ليبيا وبعدها سوريا واليمن والبحرين والسودان ولبنان والمغرب، تراوحت شدتها من دولة إلى أخرى وصلت لحد الحرب الدولية، وانتقلت تداعياتها خارج الحدود بتهديداتها وتعقيداتها.

تنظر روسيا إلى المنطقة من منطلق الأهمية التاريخية والجيوبولوتيكية لذلك لم تخرج من حساباتها ولم ترفع عينها عنها إلا أن تناقص القوة بعد تفكك الاتحاد السوفياتي جعلت موسكو تنسحب مؤقتاً من أجل إعادة تقييم وهيكلة داخلية وتكييف إستراتيجيتها مع المتغيرات الجديدة خاصة بعد 2010 حيث بدأت تسترجع قوتها ووجدت في خروج الشعوب إلى الشوارع للمطالبة بإصلاحات وصلت إلى تغيير الأنظمة وفرصة تستعيد بفضلها مكانتها المفقودة ومجدها الضائع، فلطالما ساد اعتقاد راسخ يصل إلى حد اليقين بضرورة استرجاع قيمتها في النظام الدولي وستكون الانطلاقة من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تتفاعل فيها التجارة الدولية بالأهمية الجيوبولتيكية مع الجيوطاقة إضافة إلى سوق السلاح والاستثمارات، كما أن الإقليم يشكل منطقة تتنافس فيه القوى الدولية والإقليمية، وسيكون ميزان القوى مرهوناً بتطور الأوضاع فيه.

أولا: أهمية الدراسة

تتجلى أهمية هذه الدراسة من أهمية متغيراتها، فقد لفت انتباه الباحثين والأكاديميين منذ سنة 2008 بداية عودة روسيا واستعادتها لقوتها بعد تدخلها العسكري في جورجيا، لذلك أصبح من الضروري تسليط

الضوء على الاستراتيجية الجديدة التي انطلقت في تطبيقها، حيث سجل العالم غيابها منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، وبعد الأحداث التي عرفها الشرق الأوسط وشمال إفريقيا خاصة ليبيا وسوريا ظهر بوضوح أن الكرملين سيكون أحد أهم أطراف المعادلة وسيفرض وجوده، ولن يسمح بإقصائه مرة أخرى مثلما حصل في حرب الخليج الثانية ثم التدخل الأمريكي في العراق وأفغانستان.

تتميّز المنطقة بعدّة مزايا جيوبوليتيكية جعلته يحتل مكانة في العلاقات الدولية نظراً للمضائق والقنوات المتواجدة ضمن نطاقها، كما أنها قوة كبيرة في سوق النفط والغاز المتوفرة بكثرة فيه، فالاقتصاد العالمي يقوم على سعر هاتين السلعتين الإستراتيجيتين وهو المرجع الأساسي في إعداد ميزانية دول المنطقة وروسيا معاً، بالموازاة مع ما ذكر فإنّ فائض رؤوس الأموال يعد أهم داعم للاستثمارات ويولّد سوقا استهلاكية واسعة ويجلب اهتمام المستثمرين.

تنظر روسيا للإقليم من عدة زوايا فاستقراره من استقرارها، وارتفاع أسعار المحروقات يشكل بحبوحة بالنسبة إليها، ويرفع من قوتها التي ستكون تحدد مكانتها في النظام الدولي، والاستقرار السياسي سيؤدي إلى توطيد العلاقات، لذلك رأت في التواجد كطرف فعّال في الأزمات والحروب المتصلة بمجالها الجيوبوليتيكي والمؤثرة في أمنها الإقليمي، كما أن ليبيا وسوريا هي أفضل حالتين يمكن المقارنة بينهما لفهم استراتيجية روسيا ومآلات الأوضاع المستقبلية على الأقل على مستوى النّظام الإقليمي.

ثانيا: مبررات اختيار الموضوع

1. **المبررات الذاتية:** اختار الباحث هذا الموضوع للاعتبارات الآتية:

- الرغبة في البحث ضمن حقل العلاقات الدولية خاصة المواضيع ذات الطابع الإستراتيجي، نظراً لتخصصه في الدراسات الاستراتيجية ليس ضمن الدكتوراه فقط، بل في الماستر كذلك، ما يرفع قدرته على الإبداع في هذا الموضوع.
- مواصلة البحث في نطاق الشرق الأوسط وشمال إفريقيا كون مذكرة الماستر جاءت بعنوان انعكاسات النزاع في سوريا على الأمن في منطقة المتوسط (2011-2017)، ما ولّد حبّ الاستمرار بالبحث في كل ما يتعلق بهذه المنطقة.
- الرغبة البحثية وحب الاطلاع على إستراتيجية روسيا، للتعرف على الأسباب الكامنة وراء هذه القوة وهذا الغموض الذي تعرفه ويجعلها تترنح وتتأرجح في النظام الدولي من مرحلة تاريخية لأخرى.

2. المبررات الموضوعية:

- حداثة الموضوع وأصالته، فإستراتيجية روسيا بعد 2010 وصفت في عدة دراسات بالجديدة، وما قامت به لتحقيق أهدافها في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد ما عرفته من أحداث.
- المقارنة بين سوريا وليبيا يعتبر وجهاً مميزاً لهذه الدراسة، وتعتبر إحدى نقاط قوتها خاصة عند كشف أوجه التشابه والاختلاف ما يضفي مزيداً من الشغف البحثي، ويزيد الموضوع أصالة ودقة.
- يمثل التنافس الدولي في المنطقة من المواضيع التي تستفز الباحثين للخوض في إشكاليات متعلقة بهذا المجال، وتأتي روسيا كأحد أهم الدول التي تسعى لفرض سيطرتها في المنطقة.

ثالثا: مجال الدراسة

1. الحدود الموضوعية: تبحث هذه الدراسة في الاستراتيجية التي بدأت روسيا تعتمد عليها منذ سنة 2008، حاولت من خلالها إعلان عودتها للنظام الدولي بصفتها قوة عظمى، وما مدى نجاعة هذه الاستراتيجية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد ما عرفته من أحداث بعد 2010، تراوحت بين الحراك والتظاهر، وتباينت في الشدة بين الأزمة والحرب.

2. الحدود المكانية: ستكون هذه الدراسة شاملة لعدة مناطق جغرافية، تتمتع كل منها بمزايا وخصائص مختلفة، تمثل روسيا إحدى هذه الحدود والفاعل الأساسي في هذه الدراسة المتعلقة باستراتيجيتها الموجهة نحو الشرق الأوسط وشمال إفريقيا الذي لا يقل أهمية عن الأولى لمؤهلاته الجغرافية التي جعلته على رأس أولويات الدول الكبرى عامة، وليس روسيا فحسب.

وستشمل الدراسة أيضاً كل من ليبيا وسوريا بصفتها دولتين من دول المنطقة يمثلان أهمية لدى موسكو وسيتم مقارنة استراتيجية روسيا تجاههما.

3. الحدود الزمانية: تمتد هذه الدراسة على الفترة الزمنية التي تنطلق من سنة 2010 تاريخ بداية الأحداث التي عرفتها المنطقة في تونس بعد إحراق محمد البوعزيزي لنفسه، حيث كانت شرارة انطلاق أحداث غيرت شكل النظامين الإقليمي والدولي بعد انتقالها نحو أغلب الدول العربية إثر خروج الشعوب مطالبة بالتغيير إلى غاية 2019 التاريخ المفترض للانتهاء من البحث، إلا أنه سيظهر في هذه الدراسة تواريخ تتعلق بتصورات لمآلات الاستراتيجية الروسية في هذا الإقليم تمتد لسنتي 2050 و2100.

رابعا: إشكالية الدراسة

تعتمد روسيا الاتحادية على إستراتيجية جديدة تسعى من خلالها لتحقيق أهداف تتوافق مع الطموح الجديد الذي بدأ يظهر تدريجياً، خاصة بعد 2010 وما عرفه الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من أحداث ولمزيد من التعمق أكثر في هذه الإستراتيجية سيتم المقارنة بين ليبيا وسوريا، ما يثير الإشكالية الآتية:

كيف تؤثر استراتيجية روسيا في إعادة تشكيل الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010 من خلال المقارنة بين ليبيا وسوريا؟

ولتبسيط هذه الإشكالية سيتم طرح الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما هي معالم الإستراتيجية الروسية؟
2. فيم تكمن مكانة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجية روسيا الاتحادية؟
3. ما هي أوجه التشابه وأوجه الاختلاف في إستراتيجية روسيا تجاه الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؟

وسيتم وضع هذه الفرضيات قيد الاختبار:

1. زيادة عدد الفواعل في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وتضارب المصالح يرفع من احتمالية اتساع دائرة الحرب ويصعب على روسيا وضع إستراتيجية فعالة واضحة المعالم تجاه المنطقة.
2. كلما ارتفع مستوى دعم موسكو لدول المنطقة ازداد ارتباطها وارتفعت فعالية إستراتيجيتها تجاه المنطقة.
3. يؤدّي حدّة التدخّل الروسي في ليبيا وسوريا ورفع عدد قوّاتها فيهما إلى صدام مع الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة.
4. اختلاف تفاعل روسيا مع أحداث الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010 خاصة ليبيا وسوريا يجعل إستراتيجية روسيا محل شك من طرف الأنظمة القائمة أو الحكومات القادمة.

خامسا: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الاطروحة إلى تسليط الضوء على النقاط التالية:

- فك رموز الاستراتيجية الجديدة التي بدأت روسيا في تطبيقها بعد عودة "بوتين" إلى السلطة سنة 2012، واستخراج ثوابتها التي لم تتغير على مر المراحل التاريخية المختلفة بالرغم من تحول النظام عدة مرات، ورغم كل ما شهدته المنطقة من أحداث وتطورات وانتكاسات، والتعرف على مدى استفادتها من دروس الماضي.

- إظهار أهمية الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في استراتيجية القوى الكبرى عامة وروسيا خاصة، والتركيز على مرحلة مفصلية في تاريخ المنطقة انطلقت منذ 2010، وإبراز أسباب عودة موسكو إليها.
- البحث في استراتيجية روسيا عن طريق مقارنتها بين سوريا وليبيا يتيح للأكاديميين فرصة التعمق أكثر ومزيداً من فهم هذه الاستراتيجية.
- تحليل تصور مآلات الأمور على المدى المتوسط، خاصة خلال الفترة المفترضة لحكم بوتين حتى سنة 2036.
- تزويد المكتبة الوطنية بدراسة مقارنة في الدراسات الاستراتيجية من أجل تدعيم البحث في هذا المجال خاصة الأبحاث المقارنة.

سادسا: الدراسات السابقة

لا يمكن للبحث العلمي أن يكتمل دون الاطلاع على ما تطرق له الباحثون السابقون الذين عالجوا الموضوع نفسه، وهذا ما يضفي صفة التراكمية والاستمرارية في البحث العلمي، وقبل التطرق لأهم الدراسات السابقة تجدر الإشارة أنه لم يصادف الباحث في دراسة مشابهة لهذا الموضوع، أي بعنوان "**استراتيجية روسيا الاتحادية تجاه الشرق الأوسط وشمال إفريقيا دراسة مقارنة بين ليبيا وسوريا**"، بعد البحث باللغة العربية والفرنسية والانجليزية والتركية والروسية والفارسية، وزيارة ثلاث دول تونسوتركيا وقطر، ناهيك عن التواصل مع باحثين من مصر وليبيا ولبنان والعراق والسودان، لذلك سيتم تقديم أهم الدراسات التي اطلع عليها الباحث وأثرت على مسار هذه الأطروحة.

1. كتاب وسيم قلعجية بعنوان "***روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين***" الذي صدر سنة 2016 عن الدار العربية للعلوم ناشرون، يتكون الكتاب من ثماني فصول، انطلق فيه الباحث من فكرة أساسية مفادها أن سقوط الاتحاد السوفياتي أثر على الأمن وإعادة تشكيل الحدود الدولية، ولكن عودة روسيا في فترة حكم بوتين سيكون لها تداعيات على أوراسيا خاصة و النظام العالمي بصفة عامة انطلاقاً من أن الأولى جزء لا يتجزأ من الأمن القومي الروسي، والشرق الأوسط هو أحد هذه الأجزاء، وقد حلل هذه الفكرة عن طريق فصول الكتاب خصص فيه فصلاً كاملاً عن أبعاد التدخل الروسي في سوريا وآفاق التسوية، وقد وصل فيه إلى تحديد نقاط صدام جيوسياسي بين الأوراسية والأطلسية (روسيا وحلفاؤها ضد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها) في عدة نقاط بدأت بجورجيا في 16 أوت 2018 ثم سوريا 2015 وحدد مكاسب استراتيجية فيما يلي:

أ . استعادة روسيا لعناصر القوة، وأصبح لديها القدرة على المبادرة.

ب .استطاعت روسيا العودة بشكل كامل إلى الساحة العالمية من بوابة حرب القوقاز وشبه جزيرة القرم.

ت . عودة موسكو لم تعد ترتكز على المنظور القومي أو الايدلوجية، بل أصبحت تقوم على رؤية واقعية للمصالح الحيوية.

ث . فرضت روسيا منطقها خلال النزاع في سوريا، وفسحت المجال أمام أمل أكبر للدور الروسي في المنطقة.

ج . كسر الأحادية القطبية، وتكريس مبدأ التعدد في النظام العالمي.

نقاط قوة هذا الكتاب قدرة الباحث على التحكم في المتغيرات وتحليلها بما يتلاءم مع الرؤية الإستراتيجية الروسية مستدلاً في عدة مرات بخطابات مسؤولين روس، إلا أن كثرة الفواعل التي يمكن الاعتماد عليها في هذا الموضوع جعلت الكتاب يتشعب لدرجة جعلت فهرسه يحمل حوالي 110 نقطة في ثماني فصول، لذلك لم يتعمق كثيراً في عدة نقاط، كما أن صاحب الكتاب يظهر في تحليله وكأنه ناطق رسمي للكرملين، حيث غابت عنه الموضوعية في عدة نقاط، نظرا لعيشه في روسيا وشغله لعدة مناصب هناك، بدليل أن الكتاب قدم له وزير الخارجية الروسي "سيرغي لافروف"، ولو لم يعالج قلعجية الموضوع من وجهة نظر روسية بحتة لما قدمه "لافروف".

تتميز هذه الأطروحة أنها اختصت في إقليم أصغر من حيث المساحة ما يجعل عملية حصر الفواعل والمتغيرات أكثر ضبطا ويؤدي إلى نتائج أكثر دقة، كما أنّ المقارنة بين سوريا وليبيا يعتبر نقطة تميز أخرى للأطروحة عن الكتاب ما يسمح بفهم أكبر وأعمق لإستراتيجية روسيا الاتحادية سواء في الإقليم أو أقاليم أخرى، كما أن صاحب الأطروحة سيكون أكثر حرية واستقلالية في تحليل وعرض الموضوع، ما يضفي طابعا أكثر أكاديمية وموضوعية عبر نقد الأفكار وتحليل الموضوع من وجهات نظر وزوايا مختلفة.

2. دراسة للباحثة "أنا بورشفسكايا" (Ana Borchevskaya) باللغة الانجليزية، عنوانها "الأهداف الإستراتيجية لروسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" (Strategic Objectives of Russia in The Middle East and North Africa) صادرة عن معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى (The Washington Institute for Near East Policy) بتاريخ 15 جوان 2015، انطلقت الباحثة من إشكالية كيف ستؤثر الأهداف الشاملة لموسكو على المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؟، وما الذي يجب على واشنطن فعله للحد من نفوذ روسيا في المنطقة خاصة في سوريا وليبيا وإيران؟، وحددت الأهداف الاستراتيجية كما يلي:

أ . إنشاء وتوسيع مناطق عازلة على طول محيط روسيا من خلال فقاعات عازلة تمنع وصول التهديدات إليها.

ب . الحد من قدرة الغرب على المناورة في المنطقة عن طريق كسب مزيد من الحلفاء الذين يمنحون بوتين مزيداً من الثقة للتقدم أكثر نحو المنطقة.

وتوصلت الباحثة إلى نتيجة مفادها أنه إذا كانت واشنطن لا تريد مزيداً من التوغل الروسي عليها اتباع إستراتيجية تقوم على أن بوتين ليس شريكاً في مواجهة الإرهاب، المشاركة بقوة في الشرق الأوسط وتحسين التعاون الأمني مع دول الإقليم، وضرورة الانخراط العسكري في سوريا إضافة إلى تفعيل الجهود الدبلوماسية واستثمار المزيد من الجهود لمواجهة الدعاية الروسية.

مميزات هذه الدراسة أن الباحثة ضليعة في الشأن الروسي استطاعت تحليل الإشكالية بطريقة توحي بتنافس الولايات المتحدة الأمريكية مع روسيا، إلا أن "بورشفسكايا" جانبتها الموضوعية، فقد ظهرت متأثرة ومنحازة للمعهد الذي تنتمي إليه "معهد واشنطن" حيث أن الدراسة كان يجب أن ترتكز على أهداف موسكو في الإقليم إلا أنها تعلقت بإستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة النفوذ الروسي المتزايد.

تشابهت هذه الدراسة مع الأطروحة في متغيرات الدراسة روسيا والشرق الأوسط، ليبيا وسوريا لكنهما اختلفتا في تحديد العلاقة بين هذه المتغيرات، فبينما اقتصرت الدراسة على الأهداف الإستراتيجية، شملت الأطروحة مختلف جوانب المؤثرة في إستراتيجية الكرملين والمتأثرة بها (التأثير والتأثر)، كما تعرضت الدراسة إلى حالتي ليبيا وسوريا بينما قارنت الأطروحة بينهما.

3. كتاب ناصر زيدان، "***دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين***"، صدر سنة 2013 عن الدار العربية للعلوم ناشرون يتكون من خمس فصول، تطرق فيه صاحبه لإشكالية تتعلق بأهداف روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وما إذا كانت سياسية أم جيبولتيكية أم دينية ومجتمعية، وما هي الأسس والقواعد الجديدة التي اعتمدت عليها موسكو في رسم سياستها في المنطقة؟.

يعرض الكتاب سياسة روسيا تجاه الإقليم حسب الفترات التاريخية سواء روسيا القيصرية أو الاتحاد السوفياتي ثم روسيا الاتحادية، وقدم تحليلاً لركائز هذه السياسة عبر تقسيمها إلى قانونية وسياسية ثم المعاهدات النووية والعسكرية، وبعدها ملف النفط والغاز، والصراع الدولي على المنطقة وخصص الفصل الأخير لموقف الكرملين من أحداث المنطقة بعد 2010 على رأسها تونس، مصر وليبيا.

وتوصل الكاتب إلى نتائج قامت على نبذ العنف من طرف موسكو في حل النزاعات، وبقاء روسيا بصفتها قوة كبرى رغم فترات انحسارها وتأكيد أهمية الإقليم سواء في السياسة الدولية أو لدى الكرملين الذي تحركه دوافع مختلفة جيوبولتيكية، وسياسية واقتصادية ودينية.

يتشابه هذا الكتاب مع الأطروحة في عدة نقاط سواء المتغير المستقل المتمثل في "روسيا" وكذلك المتغير التابع "الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، أكثر من ذلك فلقد استخدم صاحب الكتاب المنهج المقارن على غرار هذه الأطروحة، والفترة الزمنية نفسها تقريباً، إلا أنها تتميز عنه في طريقة المقارنة عندما اكتفى بأوجه التشابه بين الامبراطورية والاتحاد السوفياتي وروسيا ستكون هي أكثر تعمقاً ولن تكتفي باستخراج أوجه التشابه والاختلاف واستمرت في المقارنة من خلال اختيار دولتين هما سوريا وليبيا من أجل التوصل إلى نتائج أكثر دقة.

ما يثير الانتباه أيضاً كمية المعلومات المعروضة في الكتاب وتناسقها ولكنها لا تتناسب مع النتائج التي توصل إليها الباحث، حيث يخيّل للقارئ عند تصفحه الكتاب أن تكون النتائج عميقة لكنها لم تكن كذلك.

سابعا: صعوبات الدراسة: واجه الباحث العديد من الصعوبات جاء أبرزها كما يلي:

- صعوبة الوصول إلى المعلومات المتعلقة بالجانب العملياتي في التدخل العسكري الروسي سواء في سوريا أو ليبيا، على سبيل المثال نفي روسي رسمي تواجد مقاتلي "فاغنرز" على الأراضي الليبية بينما أثبت الواقع تواجدهم.
- كثرة المعلومات الإعلامية مما صعّب فرزها، والتدقيق في صحتها، أدى بالباحث في الكثير من الأحيان إلى الاستغناء عنهارغم أهمّيتها ظاهرا.
- تأثير جائحة كورونا على مجال النشر، والمعارض الدولية للكتب، وصعوبة شراء مراجع حديثة إلكترونية ووصولها في فترة طويلة.

ثامنا: منهجية الدراسة

1. **المناهج:** عرفت الأطروحة استخدام العديد من المناهج التي تتناسب مع طبيعة التخصص في العلوم السياسية والدراسات الإستراتيجية، وتم تفصيل هذه المناهج كما يلي:

أ . **المنهج الوصفي**

المنهج الوصفي هو ذلك المنهج الذي يركز على المعلومات الدقيقة والكافية عن ظاهرة أو موضوع

معين للحصول على نتائج علمية ثم تفسيرها بطريقة موضوعية.[1] بهدف تعميمها على باقي الظواهر والمواضيع التي تحمل الخصائص العلمية نفسها، وللإشارة يوجد اختلاف بين الباحثين حول طبيعة المنهج الوصفي بين من يعتبره منهجاً له قواعده وطرائق استعماله، ومن لا يعتبره منهجاً ودليلهم في ذلك أن كل البحوث تحمل صيغة الوف وبالتالي لا يمكن أن يكون منهجاً، ولكن إذا ما تم اعتماد هذا الدليل فستسقط صفة المنهج المقارن الذي يختلف عن المقارنة، لذلك فإن وصف الظاهرة يختلف عن اعتماد المنهج الوصفي في تحليلها وتفسيرها. وسيتم الاعتماد على هذا المنهج في بناء الجانب المفاهيمي المتعلق باستراتيجية روسيا عبر المراحل التاريخية والتعرف على أهدافها وخصائصها من أجل استخراج ثوابتها التي انتقلت واستمرت رغم التحولات المختلفة.

ب . **المنهج المقارن:**

يشير إلى إجراءات تهدف إلى توضيح وتصنيف العوامل السببية في بروز ظواهر وتطورها، وكذلك أنماط العلاقة المتبادلة داخل هذه الظواهر، وذلك بتوضيح تشابهاتها واختلافاتها.[2]يأتي المنهج المقارن في هذه الأطروحة من أجل تحليل وتفسير استراتيجية روسيا تجاه الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بالمقارنة بين دولتين من المنطقة تتشابهان في عدة نقاط، وسيتم استخراج هذه التشابهات لتعميمها على الدول المشابهة والتنبؤ بما ستكون عليه هذه الاستراتيجية.

2. الأدوات: لا يخلو أي بحث علمي يريد صاحبه أن يكون متميزا من استخدام الوسائل والأساليب التي يراها مناسبة ومن شأنها الوصول بالبحث إلى أهدافة المرجوة، وقد تم استخدام وسائل وأساليب علمية وتكنولوجية تساعد في إعداد الأطروحة ودقة نتائجها

أ . **تحليل المضمون:** أسلوب لوصف وتحليل الظاهر من رسالة إعلانية من حيث الكم والموضوع والتنظيم، ويتميز بما يلي:[3]

ـ تنقية المضمون، وبلورته حتى يتمكن الباحث من وصفه وصفاً دقيقاً وبموضوعية.

---

[1] عناية غازي، ***منهجية إعداد البحوث والرسائل الجامعية***، (الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع، 2015)، ص ص 136-147.

[2] عاطف علي، ***المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية***، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2006)، ص 132.

[3] عبد الغفار رشاد القصبي، ***مناهج البحث في علم السياسة***، ج 2، (مصر: مكتبة الآداب، 2004)، ص ص 143-144.

ـ أسلوب الملاحظة لكن بطريقة غير مباشرة تتعلق بالمادة الاتصالية من أجل الوصول إلى استنتاجات صحيحة.

يعتمد تحليل المضمون على الخبرة العلمية اللازمة لاستنتاج ما لم يتم التصريح به وقراءة ما بين السطور وتحليل المعلومات الصادرة عن رسائل من شخصيات وسياسيين وتصريحاتهم، بتدقيق المعلومات وتصنيفها وتبويبها للحصول على نتائج يمكن إضافتها كاستنتاجات.

وسيتم الاعتماد على هذا الأسلوب لتحليل مضمون الخطابات والمحتويات المختلفة التي يدلي بها شخصيات مختلفة في مسائل ومواضيع ترتبط بموضوع البحث، واستنتاج واستخلاص المعلومات التي لا تظهر للأشخاص العاديين، الاستنتاجات التي تخدم الموضوع.

ب . الملاحظة: تعتبر الملاحظة من أهم أساليب البحث، حيث لا يكاد بحث علمي يخلو من الملاحظة بدرجاتها المختلفة سواء كانت سريعة أو غير مقننة أو علمية[1]، وسيتم استخدام الملاحظة العلمية لاكتساب مزيد من المعرفة العلمية والوصول إلى نتائج يمكن تعميمها.

وقد تم استخدام الملاحظة العلمية خلال جميع أطوار هذه الأطروحة من خلال الاطلاع على الأحداث الدولية وملاحظة ظاهرة الهجرة التي ولدتها الحرب في سوريا ومأساة اللاجئين السوريين في الجزائر وتركيا، وملاحظة المهاجرين الأفارقة في ليبيا، أو الليبيين في تونس.

3. المقابلة: تمثل المقابلة في البحوث السياسية إحدى أساليب البحث العلمي لأنها تسمح بالوصول إلى معلومات هامة يمكن توظيفها في هذه البحوث، نظراً لمرونتها التي تسمح للباحث التكيف مع المتغيرات وطرح الأسئلة حسب الظروف مع البحوث. كما تتيح المقابلة الحصول على معلومات غير متوفرة في المراجع، أو حديثة.

وقد تم الاعتماد على أسلوب المقابلة في هذه الأطروحة لطرح أسئلة ومناقشة العديد من المعلومات مع الفيلسوف الروسي وصاحب النظرية السياسية الرابعة "ألكسندر دوغين" عدة مواضيع متعلقة بالأطروحة وكانت هذه المقابلة عبر تقنية "زووم" (ZOOM) بتاريخ 2021/4/27، تجدون نسخة مكتوبة من نص المقابلة في قائمة الملاحق.

تميزت المقابلة بكثرة المعلومات التي قدمها نظرا لأن المقابلة فاقت الساعة، وكانت أغلبها تصب في الجانب الأكاديمي، ومتعلقة بالأطروحة.

[1] المرجع نفسه، ص.99.

ما تم ملاحظته في المقابلة أن السيد دوغين حاول جاهدا تلميع صورة بلاده وإستراتيجيتها التي لا تخرج عن الجانب السلمي في العلاقات الدولية، وكشف بطريقة غير مباشرة عن العداء الذي يكنه هو شخصيا ومن ورائه بوتين للغرب، وأنه يجب مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق التحالف مع الدول التي تتشارك مع روسيا في الرؤية نفسها.

بيّن السيد دوغين في هذه المقابلة قيمة القوة الناعمة، ودور مراكز الفكر في خدمة سياسة الدول، حيث تم ملاحظة أنه لم يكن مهتما لا بموضوع البحث ولا إشكاليته ولا طريقة عرضه، وإنما كان هدفه أن تنتقل أفكاره وبوتين معاسواء في الأطروحة أو أي طريقة ووسيلة أخرى.

وما قدّمته هذه الأطروحة كإضافة للجامعة الجزائرية، أنها أوّل أطروحة دكتوراه لباحث جزائري يناقش محتواها البروفسور دوغين (انظر المقابلة في قائمة الملاحق)، ومن الأطروحات الأوائل الّتي تمّ الاعتماد فيها على النّظرية السّياسية الرّابعة لتحليل إستراتيجيّة روسيا وفق نظريّة روسيّة ورؤية خبير إستراتيجي روسي ، وعرض هذه النّظرية بإسهاب ومناقشتها مع صاحب النّظرية في حدّ ذاته.

تاسعا: الإطار المفاهيمي

لا يوصف أي بحث أكاديمي بالبحث العلمي دون تطرقه لإطار مفاهيمي يشرح أهم المفاهيم الأساسية المتعلقة بمتغيرات الدراسة، وستكون المفاهيم المعنية بالدراسة في هذه الأطروحة كالآتي:

1. مفهوم الاستراتيجية

من المتعارف عليه أن العلوم السياسية علوم حديثة نسبياً إذا ما قورنت بباقي العلوم، وقد قامت باستعارة العديدة من المفاهيم أو استيرادها سواء من العلوم الطبيعية على غرار مفهوم النظام، إلا أن مفهوم الاستراتيجية من المفاهيم القليلة الأصيلة في العلوم السياسية، استوردته باقي العلوم على غرار العلوم الاقتصادية، وعلوم التسيير، والعلوم الإدارية.

ارتبط مفهوم الاستراتيجية عبر التاريخ بالحرب، فلطالما كانت كيفية كسبها الشغل الشاغل للسياسيين والزعماء خاصة أنها كانت المحدد الأساسي في العلاقات الدولية وهذا ما عبر عنه "وينستون تشرشل" بقوله: "فكروا في إنهاء الحرب ومنح السلام للعالم".[1] فقد كان الهدف من الاستراتيجية كيفية إنهاء الحرب بأي وسيلة وبأي أسلوب، وبغض النظر عن العواقب طالما ستكسب الحرب، بدليل تفجيري "هيروشيما" و"ناكازاكي" خلال الحرب العالمية الثانية، أين استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية إنهاء الحرب، لكن

[1] ليدل هارت، ***الإستراتيجية وتاريخها في العالم***، تر: الهيثم الأيوبي، ط4، (لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2000)، ص. 20.

خلفت عواقب لحد الساعة. إن مفهوم الاستراتيجية ليس حديثاً بل يمتد إلى القرون التي سبقت ميلاد المسيح، مثل الصيني "سن تزو" (Sun–Zu) الذي وصفها بأنها "فن الحرب"*

وتتحكم في الاستراتيجية حسب "سان تزو" خمس عناصر[1]، وهي:

أ . القانون الأخلاقي (Tao): مدى انسجام القائد مع أفراده، ما يدفعهم لتنفيذ الأوامر دون تردد.

ب . السماء: يقصد بها المناخ وتأثيره على مجريات الحرب سواء عن طريق البرد أو الحرارة

ت . الأرض: تتعلق بالتضاريس وكيفية تأثيرها على الخطط الحربية.

ث . القائد: يرمز القائد إلى الحكمة والإخلاص في العمل كونه قدوة، ولا بد أن يتميز بالشجاعة والحزم والصرامة.

ج . النظام العام يقصد به تنظيم الجيوش وتقسيمها بطريقة ترفع من احتمالية النصر في الحرب.

هذه العناصر الخمس تشكل المبادئ الأساسية لأي استراتيجية فالقانون الأخلاقي أصبح اليوم يرتبط بالعقيدة العسكرية التي تلقن للجيوش والقدرة على التعبئة، وارتباط الجنود بقضيتهم، بينما تتفاعل السماء والأرض لتتجلى اليوم في الجيواستراتيجيا، وأما القائد والنظام العام فلا يوجد جيش في العالم لا يخضع لهاذين المبدأين، ويمثل الشكل التالي العناصر الخمسة للاستراتيجية:

* مجموعة من المقاطع المكتوبة (حوالي 6000 جملة) باللغة الصينية القديمة على سيقان البامبو، جمع مانجيمنها في كتاب سمي بهذا الإسم، ترجم بعد ذلك لعدة لغات مثل الفرنسية سنة 1772، لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على: رؤوف شبايك، ***فن الحرب***، د ب ن، د س ن، ص.06.

[1] المرجع نفسه، ص 11.

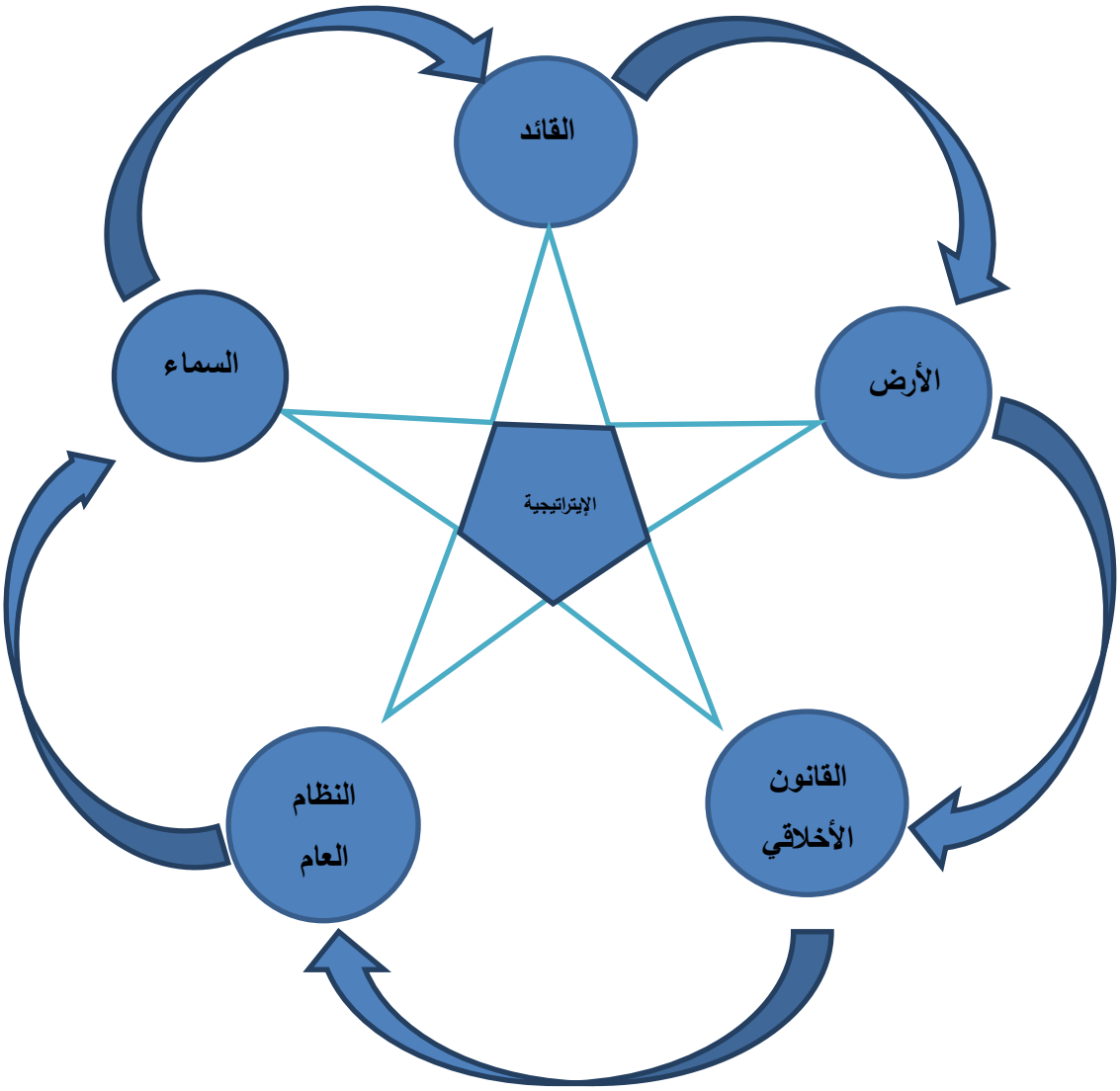

شكل رقم 01: يوضّح تفاعل الرّكائز الخمس لإستراجية فعّالة، في الفكر الإستراترجي الصيني القديم.

المصدر: تصميم شخصي للباحث.

تفاعل العناصر في الدوائر الزرقاء فيما بينها، واتجاهها نحو الخماسي الذي يمثل منطقة التقاطع، وهو الجانب المثالي أو أفضل إستراتيجية ممكنة، فكلما ابتعدت عن الدوائر الزرقاء نحو المركز زادت فعاليتها كونها تتجه نحو التوازن دون الإفراط في استخدام عنصر أكثر من العناصر الأخرى

أما المفكر "ريمون آرون" (Raymond Aron) رأى أن الإستراتيجية تستمد إلهامها من العوامل المحيطة بها في كل لحظة من التاريخ، ومن المشاكل التي تقابلها بشكل دوري[1]، وهذا يعني أنها في تطور مستمر تتطلع إلى المستقبل وتستفيد من دروس الماضي.

ويعرف الأمريكي "كولن غراي" (Colin Gray) الاستراتيجية في كتابه "الاستراتيجية والتاريخ" (Strategy and History) بأنها: "الجسر الذي يربط بين القوة العسكرية والأغراض السياسية، علاوة على ذلك، يجب أن يسمح هذا الجسر بالمرور في الاتجاهين بين السياسة والفعالية العسكرية، وهو المهيمن عندما تفشل السياسة فإنها تجد نفسها خادمة للحرب"[2].

يمكن تعريف الاستراتيجية بأنها: " الوسائل والأساليب التي تمثل قدرات الدولة وتتيح إمكانية تسخيرها لخدمة الأهداف السياسية للدّولة، فإذا فشلت السياسة أو توقع فشلها في تحقيق الأهداف المسطرة سيحين بالضرورة وقت استخدام الاستراتيجية". ونظراً للنجاح الذي حققته الاستراتيجية على ميدان القتال والمجال العسكري عموما، إضافة إلى الرواج الذي عرفه الفكر الإستراتيجي، انتقل هذا المفهوم نحو العلوم والميادين والمجالات الأخرى، فأصبح البحث في إستراتيجية إدارة المؤسسة، وأصبح يطلق على الموقع المهم والطرقات المهمة، بالموقع أو الطريق الاستراتيجي.

وتوسع مفهوم الاستراتيجية ليصبح: "الاستغلال الأمثل للقدرات المادية (وسائل) وغير المادية (أساليب) لتحقيق الأهداف التي سطرتها سياسة الدولة بعقلانية (تحقيق أكبر قدر من الأهداف المسطرة بأقل تكلفة وأقل وقت ممكن)".

وانطلاقاً من كل ما سبق يمكن استنتاج الركائز الأساسية التي تقوم عليها أي استراتيجية:

- كل استراتيجية تتعلق بتحقيق أهداف مستقبلية قائمة على خطة أو مجموعة من الخطط.
- تهتم الاستراتيجية على خطط مرحلية أو جزئية تتغير بسرعة وتتكيف مع المتغيرات الطارئة، وهي أقرب لأن تكون مركب تكتيكات.
- لا يمكن لأي استراتيجية أن تنجح دون توفير الدعم اللازم من جميع النواحي، وهو ما يعرف باللوجستيك.

[1] Colin Gray, ***Strategy and History***, (London and New York: Routledge Taylor qnd Francis group, 2006), p.xi.
[2] Ibid, p.01.

- تتعلق الاستراتيجية بالموازنة بين الأهداف والإمكانيات والوقت فلا توصف بالاستراتيجية إلا التي تستطيع استغلال الوسائل والأساليب بعقلانية تتحصل من خلالها عل أكبر قدر ممكن من الأهداف وبأقل وقت ممكن.

2. مفهوم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (Middle East and North Africa)

يختلف التحديد الجغرافي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا من باحث لآخر ومن منظمة لأخرى، فالبنك الدولي يعتبر أن هذه المنطقة تتكون من الدول التالية[1]: "الكيان الصهيوني القائم على دولة فلسطين، أو ما يسمونه (إسرائيل)، الأردن، الإمارات العربية المتحدة، البحرين، الجزائر، الجمهورية العربية السورية الجمهورية اليمنية، الضفة الغربية وقطاع غزة، العراق، الكويت، المغرب، المملكة العربية السعودية تونس، جمهورية إيران الإسلامية، جمهورية مصر العربية، جيبوتي، عمان، قطر، لبنان، ليبيا، مالطا".

من جهة أخرى ينظر برنامج الشرق الأوسط وشمال إفريقيا التابع لمركز معلومات البنك إلى أن المنطقة تتكون من الدول الناطقة باللغة العربية، إضافة إلى إيران. وبالتالي يمكن إضافة السودان وموريتانيا، لكن هاذين التصنيفين أهملا فاعلاً مهماً في المنطقة وينتمي إليها لاعتبارات تاريخية وجغرافية وهو تركيا، زيادة على إهمالهما الصحراء الغربية، واقتصر تصنيف البنك الدولي على الضفة الغربية وعزة واستثنى فلسطين.

يتّضح أن الشرق الأوسط وشمال إفريقيا يحتوي على عدة أقاليم فرعية تتمثل في الشرق الأوسط لوحده كإقليم يتكون بدوره من عدة أقاليم فرعية ممثلة في مجلس التعاون الخليجي، ودول الهلال الخصيب وإقليم شمال إفريقيا الذي يندرج تحته إقليم المغرب العربي الكبير.

وكل هذه الأنظمة فيها ما فيها من صراعات بينية كالصراع القطري الخليجي، أو الصراع الجزائري المغربي، وكلها صراعات معقدة تتجاوز الحدود الجغرافية لكل دولة والإقليم ككل.

انطلاقاً من التحديد الجغرافي للمنطقة يمكن ملاحظة أن أغلب دولها تنتمي لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي تتمتع فيها روسيا بصفة عضو مراقب، لذلك فالأخيرة لا ترى نفسها غريبة عن الإقليم، بل تشترك مع دوله في نقاط كثيرة، فعدد المسلمين في روسيا يفوق عدد سكان الكثير من الدول مثل قطر، الإمارات الكويت، البحرين وليبيا.

[1] Worldbank official website: http://data.albankaldawli.org/country/Zp

عاشرا: الإطار النظري للدراسة:

1. أسباب الظهور: نحو الحاجة إلى نظرية سياسية بديلة

انتبه الإستراتيجيون والأكاديميون في روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي أن القوى الأطلسية لم تتوقف عن محاصرة بلادهم وخنقها أكثر فأكثر حتّى بعد تفكّكها وصعود سياسيين وصناع قرار عملوا على دمج روسيا في ركب العالم الغربي والثقافة الغربية، وقدّموا العديد من التنازلات العسكرية والسياسية والاقتصادية، إلّا أن زحف الدول الأطلسية على روسيا لم يتوقّف واستمرّ تهديدها ومضايقتها ومحاولة تفكيكها من جديد والاعتداء على مجالها الحيوي[1]، من هنا بدأ صعود النظرية السياسية الرابعة.

2. إبستيمولوجيا النّظريّة الرّابعة

كانت العشرية الأولى من الألفية الثالثة بمثابة عودة قوية لروسيا ليس على المستوى الدولي فقط، أو الإقليمي، بل على المستوى التنظيري أيضاً، حيث أن الانتفاضة ضد النظريات الغربية والشيوعية والفاشية من أجل تبني نظرية خاصة تفسر عن طريقها العلاقات الدولية وفق المنظور الروسي، يأتي على رأس المنظرين "ألكسندر دوغين"*(Alexander Daugin)الذي سخّر مجهوده الفكري لتأسيس نظرية أطلق عليها النظرية السياسية الرابعة (The Fourth Political Theory)، ووصفها أنها ما بعد الشيوعية والفاشية والليبرالية، ودعا إلى تطويرها اعتماداً على النقاط التالية[2]:

- إعادة النظر في التاريخ السياسي للقرون الأخيرة والإيدلوجيات القديمة.
- الفهم الصحيح والإدراك المعمق للمجتمع العالمي.
- فك رموز وشفرة النموذج ما بعد الحداثي.
- الدعوة إلى معارضة الواقع الاجتماعي "الموضوعي"، وليس معارضة الفكرة، أو السياسة أو الإستراتيجية.

فكرة النظرية الرابعة ليست اختراعاً خالصاً من "دوغين"، بل هي نتاج تراكم أفكار عدة مفكرين مثل المفكر الفرنسي "ألين دي بنوست" (Alein De Bernoist) في كتابه "ضد الليبرالية (Against Libralism) جاء فيه عنوان فرعي "نحو نظرية سياسية رابعة" (Towards Fourth Political

---

[1] ألكسندر دوغين، ***الخلاص من الغرب، الأوراسية الحضارات الأرضية مقابل الحضارات البحرية والأطلسية***، تر: علي بدر، (بلجيكا: دار ألكا للنشر، 2021)، ص.21.

*مفكّر وفيلسوف روسي وسياسي مؤثّر، ألّف أكثرمن 60 كتابا، صاحب النظرية الأوراسية، لمزيد من المعلومات انظر المقابلة في قائمة الملاحق

[2] Alexander Daugin, ***The Fourth Political Theory***, (Russia: Arktos 2012), p.04.

Theory)[1]، كان من الضروري على المفكرين الروس ابتكار نظرية من شأنها كسر هيمنة النظريات الغربية التي يعاني منها الشعب الروسي الذي طالما رفض الاندماج في المجتمع العالمي بسبب شعوره بالاستقلال الهوياتي، لكنهم بدؤوا يخسرونه لصالح الأيدولوجية الليبرالية نظراً لغياب البديل، لذلك فإن صياغة نظرية وليدة بيئتها ستسمح بإنهاء القطيعة وتعزز أكثر الدور الريادي الروسي، وهو ما وصفه دوغين بـ: "نكون أو لا نكون" (To be or not be)[2].

أصل مفهوم النظرية السياسية الرابعة: جاءت هذه التسمية بناء على ترتيب النظريات القائمة على الايديولوجيات إبّان القرن العشرين وهي[3]:

- الليبرالية (يمين ويسار)
- الشيوعية بما فيه الماركسية والاشتراكية
- الفاشية بما في ذلك القومية الاشتراكية

لقد تنافست هذه الايدلوجيات، بل أكثر من ذلك لقد ذهب المفكر "صامويل هانتغتون" (Samuel Hantingtun) إلى وصف ذلك بـ: "صدام الحضارات" (Clash of Civilization) واعتبر أن الهوية الثقافية تتحدد بالتضاد مع الآخرين، وتترسخ في الحروب[4].

لقد انتصرت الليبرالية بنهاية القرن العشرين على أعدائها وهزمتهم جميعاً، وهي نقطة اتفاق بين "دوغين" و"دي بنوست" مع المفكر الأمريكي "فرانسيس فوكوياما" (Francis Fukuyama) في كتابه "نهاية التاريخ وخاتم البشر" (The End of History and The Last Man)عندما ذهب إلى شرعية الديمقراطية الليبرالية كنظام للحكم بعد أن هزمت الايدلوجيات المنافسة لها كالملكية الوراثية، والفاشية والشيوعية وأضاف أن هذه الليبرالية هي: "نقطة النهاية في التطور الايدلوجي للإنسانية"، و" الصورة النهائية لنظام الحكم البشري"[5]، بذلك لن يستطيع العقل البشري أن يبتكر نظام حكم أكثر تقدماً وكمالا من الديمقراطية الليبرالية، حيث ستجد الدول نفسها مضطرة لتبني هذا النظام، ظهرت هذه الأفكار في فترة عرف العالم فراغاً مفاجئاً بانهيار الاتحاد السوفياتي، كما طرح "يوفال نوح هراري" (YuvalNoah Harari)فكرة مشابهة

---

[1] Ibidem.

[2] Ibid, p.05.

[3] دوغين، المقابلة، انظر قائمة الملاحق.

[4] صامويل هنتغتون، ***صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي***، تر: طلعت الشايب، ط.2، (د ب ن، سطور، 1999)، ص.10.

[5] فرانسيس فوكوياما، ***نهاية التاريخ وخاتم البشر***، تر: حسين أحمد أمين، (مصر: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993)، ص.08.

لنهاية التاريخ عندما اعتبر أن الديمقراطية خلقت بيئة للتطور التكنولوجي الذي ساهم في القضاء على المجاعات والحروب وسهّل حياة الأفراد والدول وقد بلغ أقصى حدوده، وهو ما عبر عنه بـ: "الإنسان الإله" (Homo Deus)[1]، كل ذلك فسح المجال أمام الأطروحات والنظريات الغربية خاصة الأمريكية لتتسيّد التنظير، بعد أن وجدوا الجو ملائماً لتقبلها واتباعها.

هذا الاتفاق من طرف "دوغين" ليس بغرض الاعتراف، ولكنه تأسيس لفكر يرفض الليبرالية من خلال جمع معارضيها في المجتمع العالمي وصياغة جبهة جديدة لمواجهتها[2].

3. النّظرية الرابعة: الأفكار، الأسس والمرتكزات

وضع دوغين شروطا وجب تحقيقها لقيام النظرية السياسية الرابعة كالآتي:

معارضة ما بعد الليبرالية كممارسة عالمية، وضد العولمة والوضع الراهن، وضد جمود الحضارة في بداية القرن الواحد والعشرين[3]، فيتوافق الرؤى بين أنصار هذه النظرية والماركسيين في نقد الوضع القائم والثورة ضده، والنظر إلى الليبرالية كمصدر لكل الاختلالات والأزمات والحروب، إلا أن النظرية الرابعة تبدو أكثر ثورة ونقداً لمسائل أبعد من الماركسية في حد ذاتها.

يطرح أنصار النظرية الرابعة فكرة مشابهة لتلك التي تقول أن الليبرالية تحمل في طياتها بذور فنائها وهو تصور ماركسي للإمبريالية التي ستحمل الدمار لليبرالية، فالنظرية ترى انهيار الأخيرة بسبب غياب العدو التقليدي، أي أنه عندما انهار الاتحاد السوفياتي خضع العالم لنظام الأحادية القطبية، لذلك ظهرت النزاعات الداخلية، وبدأت المجتمعات في تطهير نفسها من الاختلالات التي تشوبها، فالليبرالية بحاجة دائمة لعدو تتحرر منه، لأن انتصارها المطلق يعني موتها. ومنه يجب خلق عدو تواجهه، وهو ما أطلق عليه "أرنولد توينبي" بالتحدي والاستجابة، حسبه أن الشعور بصعوبة الوضع يرفع درجة التحدي لدى الدول ويرتفع معه دافع الاستجابة[4].

يرى أيضاً أصحاب النظرية الرابعة أن الليبرالية استمرت في اكتساب الزخم بعد 1991، إلا أنها بدأت تتفجر داخلياً وتنهار، وتتجه نحو الحافة لتصفية نفسها بنفسها، أين تعاني من صراع ثقافات وأزمات

---

[1]Yuval Noah Harari, ***Homo Deus a brief history of tomorrow***(,Australia:HarperCollins Publishers,2017).

[2]Daugin, The Fourth…, Op,cit, p.04.

[3]Alexander Daugin, ***Putin vs Putin Vladimir Putin view from the night***, (Russia: Arkotos,2014), p.658

[4]جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، ***النّظريّات المتضاربة في العلاقات الدولية***، تر: وليد عبد الحي، (الكويت: كاظمة للنّشر والتّرجمة والتّوزيع، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، 1985)، ص.43.

مالية، وقد حاولت انقاذ نفسها، ما يعطيها نفساً جديداً، فالحرب على الإرهاب لم تكن موفقة بسبب أن الإسلام الراديكالي تنقصه المكانة اللازمة[1].

رغم انخراط الدول في الحملة الأمريكية ضده، إلا أنه لم يستمر في خلق تهديد دائم وهاجس أمني يجعل الدولة متخوفة منه بصفة مستمرة ليصبح عدواً حقيقياً. وحتى احتلال العراق وأفغانستان والإطاحة بالقذافي والحرب في سوريا لم يحقق الهدف الأسمى في خلق عدو حقيقي يدفع بالليبرالية للاستمرار بصفتها أيدولوجية مهيمنة، ولتحقيق ذلك لا بد من فسح المجال لعودة روسيا العدو الجيبولتيكي التقليدي لأن ذكرى الحرب الباردة لا زالت عالقة، والكراهية نحو روسيا لا تزال قائمة، ويسهل حشد الحلفاء لإعادة إحياء الحرب الأيدولوجية من جديد[2]، حسب النظرية الرابعة فإن الدول الغربية في حاجة للالتفات نحو الوراء والرجوع بخطوة للخلف، فالحرب على روسيا ستكون الإستراتيجية المثلى لاستمرار سيادة الليبرالية والحيلولة دون سقوطها. ومما سبق يمكن استنتاج النقاط الأساسية التي تقوم عليها النظرية الرابعة:

- رفض المشروع ما بعد الحداثي القائم على الأحادية القطبية، وضرورة دفع النظام العالمي للتعدد[3] عن طريق الثورة ضد كل ما هو غربي ليبرالي، بما في ذلك العولمة، وليس ذلك وحسب بل ضد الماركسية والفاشية أيضاً.
- انهيار الليبرالية سببه انتصارها على باقي الايدلوجيات، ما سيفسح المجال أمام ظهور تيار نظري (النظرية الرابعة) لقيادة المرحلة القادمة.
- إعادة النظر في التاريخ السياسي للقرن العشري وقراءته قراءة مغايرة
- معارضة ما بعد الحداثة وفك شفرتها ورموزها
- هناك حرب محتملة على روسيا وعليها مواجهتها عن طريق جمع الحلفاء الذين تعرضوا للتهميش من طرف الليبرالية لأنها خدمت فقط الولايات المتحدة الأمريكية والناتو. وستجد الليبرالية نفسها ملزمة لفسح المجال أمام موسكو، لأن الأولى لن تستمر إلا بوجود عدو، ولن تجد عدواً أفضل من الثانية تستعيد معه ذكريات الماضي.

يعتقد أنصار النظرية الرابعة أنها تتجاوز الإشكال الحاصل بين النظرية والممارسة، ويرون أنها تنمو من الجدل الموجود في هذا الإشكال ويقول دوغين أن: "النظرية بنفس درجة الممارسة، وكذلك هي الممارسة بنفس درجة النظرية"[4].

---

[1] Daugin, Putin.., p.660.
[2]Ibid, p.633.
[3]Daugin, "The Multipolar World and The Post Modern ", ***Journal of Eurasian Affairs***, V02, N1, 2014m p.05.
[4]Daugin, Putin..., Op, cit, p.648.

جاءت إعادة إحياء أوراسيا كأهم فكرة تقوم عليها النظرية الرابعة لأن الصراع بين الشرق والغرب في أعين بوتين ودوغين لم يعد أيديوبوجيا بل جيوبوليتيكيا بين القوى البحرية الأطلسية (التالاسقراطيا) والبرية القوى الأرضية (التيليروقراطيا)، فالأولى سائلة وجارية أمّا الثانية فصلبة ثابتة[1].

تمتدّ أوراسيا بين أوروبا وآسيا وتشمل أربع حضارات، الحضارة الرّوسية والصينية والهندية والإيرانية، أي أن الروس والرومان والسلاف واليونانيين والصينيين والهنود والمسلمين هم كيان قاري يدعى أوراسيا، وكل حضارة من الحضارات المذكورة سلفا لها مجالها العضوي الخاص بها كالآتي[2]:

- يشمل مجال روسيا العضوي الأقاليم الناطقة بالسلافية والديانة الأرثودكسية وجنوب الاتحاد السوفياتي وحتى تركيا.
- تدخل مساحات آسيا الوسطى والغربية في صلب المجال العضوي لكل من الحضارتين الهندية والصينية.
- أما المناطق الإسلامية والشرق الأوسط فتقع ضمن المجال العضوي لإيران، إلا أن الكيان الصهيوني سيشكل عقبة نظرا لانتمائه إلى الحضارات البحرية الغربية.

4. تطبيقات النظرية السياسية الرابعة:

شكلت الحرب المحتملة من طرف الغرب على روسياً نقاشاً كبيراً، خاصة بعد استعادة موسكو لعافيتها على الساحة الدولية كونها حرباً ايدلوجية أكثر من أي شيء آخر، بدليل سعي الحلف الأطلسي إلى فرض مزيد من العزلة بضمه دولاً جديدة على حدود روسيا التي ستسعى هي الأخرى إلى كسر هذا الحصار المفروض عليها بلم شمل الدول التي همشتها الليبرالية في إطار مشروع تكاملي يغذي هذا الطموح، وهذه نقطة تشابه أخرى بين النظرية السياسية الرابعة والماركسية عندما دعا "ماركس" و"إنجلز" عمال العالم للاتحاد، لكن فكرة هذا المشروع التكاملي تبدو أكثر تنظيماً لأنها تأخذ الطابع الرسمي على غرار الاتحاد الأوراسي.

أوراسيا –حسبهم– هي النظام البديل للعولمة التي تقوم على الدكتاتورية الليبرالية، والتصدير العنيف للديمقراطية، بسبب أنها تمهد للتعاون بين دول العالم النامية في مناطق مختلفة وثقافات وأديان مختلفة

[1] ألكسندر دوغين، ***أسس الجيوبوليتيكا ومستقبل روسيا الجيوبوليتيكي***، تر: حاتم علي، (لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004)، ص.60.

[2] دوغين، الخلاص..، ص ص.6،9.

وهذا ما يميز الأوراسية عن العولمة لأن الأولى لا تسعى لفرض نمط العيش، بل تحافظ على خصوصية الآخرين[1].

وعندما جاء بوتين للسّلطة أصبحت روسيا قطباً حقيقياً، لكنّها ليست ليبراليّة، ولا شيوعيّة، ولا قوميّة وصارت فاعلاً وليست مفعولاً فيه، وبالتّالي يجب إنشاء نظريّة سياسيّة جديدة، المستقبل في عين بوتين متعدّد الأقطاب يقوم على مساحات كبيرة من التّحالفات أو التّكاملات مثل: منطقة أوراسيا، العالم الإسلامي، الهند، الصّين، أوروبا، ويتيح كل ذلك حقّ البحث أو الدّفاع عن هوية كلّ منطقة وحضارتها وبنيتها الاجتماعيّة، يحدث ذلك في ظلّ سعي أنصار التّيّار اللّيبرالي والعولمة لفرض نظامهم، ولا يمكن كسر هذه النّظرة وهذا السّعي إلاّ عن طريق نظام متعدّد الأقطاب يمثّل عدة حضارات ببنى مختلفة[2].

إنّ التأمل في خريطة أوراسيا ستجدها تشبه نسراً فاتحاً لجناحيه تمثل روسيا جسده، ورأسه يمتد جناحاه أحدهما شرقاً حتى ممر "بيزينج" والآخر غرباً يلامس البرتغال، أما الذيل فيمتد على منطقة الشرق الأوسط، وروسيا في شمالها بحار متجمدة لا تصلح للملاحة، وليس لها منافذ بحرية نحو البحر المتوسط إلا عبر الشرق الأوسط[3]، فالموانئ السورية هي مركز التواجد الروسي وهذا ما يفسر التدخل في سوريا.

5. نقد النظرية السياسية الرابعة

أ **.نقاط القوة:** تؤسس النظرية السياسية الرابعة لفكر روسيا يهدف للتخلص من التبعية للنظريات الغربية، التي تهيمن على التنظير خاصة في العلاقات الدولية، وتراعي هذه النظرية من جهة أخرى خصوصية كل دولة طالما تهدف إلى التعاون دون فرض نمط معين بالقوة، واستغلال الدول الضعيفة واحتكار القوة والتكنولوجيا.

ب **.نقاط الضعف:** تقدم النظرية السياسية الرابعة نفسها على أنها بديل لليبرالية والماركسية، ولكنها استمرت في نقد الليبرالية على غرار الماركسية وتحميلها أسباب الأزمات التي يعاني منها النظام العالمي كما أنها تقوم على فكرة التعاون والتكامل وهي فكرة ماركسية، صحيح أنها تختلف من حيث الطريقة والأهداف، لكنها تتفق كلها في فكرة الاتحاد.

---

[1]Gobar Vona, "SOME Thoughts on the creation of intellectual Eurasiansism", ***The Journal of Eurassian Affairs***, V1,N2, 2014, p.13.

[2] دوغين، المقابلة، مرجع سابق.

[3] محمد عبد السلام، ***الجيوبوليتيكا علم هندسة السياسة الخارجية للدول***، (مصر: دار الكتب، 2019)، ص ص .160، 165.

تعتمد النظرية السياسية الرابعة في تحليلها للصراع على أنه صراع جيوبولتيكي، وهذه نقطة أساسية في النظرية الواقعية.

تقسيم الحضارات في فكرة الأوراسية لا يختلف كثيرا عن تقسيم هانتغتون، وهو أيضا قائم على عنصرية جيوبوليتيكية، فالحضارات الثلاث الروسية والهندية والصينية صنفت على أساس جغرافي بينما صنفت الحضارة الإسلامية على أساس ديني، فإذا تم التسليم بهذا التصنيف – فرضا– فسيكون التصنيف الأصوب: الحضارة الإسلامية، الحضارة الأرثودكسية، الحضارة البوذية، الحضارة الكونفوشيوسية.

إن تسليم قيادة القطب الإسلامي في الفكر الأوراسي لإيران لن يحمل أي استقرار لهذا القطب، لأن إيران ليست دولة عربية بينما أغلب دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا عربية وناطقة باللغة العربية ما سيخلق عدم تجانس، ومن جهة أخرى فإن المذهب الشيعي السّائد في إيران ليس سائدا في باقي دول القطب الإسلامي، وبالتالي لن ترضى أغلب الدول بالتحالف مع إيران.

إن غياب رؤية واضحة للمجال العضوي لكل من الحضارة الهندية والحضارة الصينية يشكل منطقة تصادم ونزاع بدل تكامل واندماج، ناهيك عن أن تركيا ال تميل للتحالف مع روسيا، بل تمزج في تحالفها بين القوى البرية والقوى الأطلسية

يبدو أن التنظير في العلاقات الدولية لا يزال يحتاج إلى الوقت للوصول إلى درجة يمكن من خلالها التخلص من أزمات التنظير المعروفة.

أحد عشر: تبرير الخطة

عند وضع **عنوان إستراتيجية روسيا الاتحادية تجاه الشرق الأوسط وشمال إفريقيا دراسة مقارنة بين ليبيا وسوريا**، فإن الترابط المنطقي بين متغيرات الدراسة يمكّن من بناء خطة تتكون من ثلاث فصول مترابطة ترابطاً منهجياً، متسلسلة تسلسلاً تاريخياً تغطي كافة عناصر المشكلة البحثية والفرضيات المطروحة.

يأتي الفصل الأول ليعالج إستراتيجية روسيا بشكل عام بتتبّع تطورها التاريخي لاستخراج ثوابتها ومفاصل تطورها ونقاط قصورها، ثم الأهداف الإستراتيجية وأبعادها بعد استنتاجها من التطور التاريخي وبعد ذلك مقارنتها عبر مراحلها المختلفة، وكل هذا تمهيد للقارئ من أجل وضعه في سياق الدراسة المقارنة.

أما عن الفصل الثاني يتعلق بالدراسة المناطقية ضمن إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وإبراز أهميته في السياسة الدولية والجيوبولتيك العالمي، ما يجعله محط اهتمام روسيا سواء من الناحية السياسية نظراً

لطبيعة الأنظمة القائمة فيه، أو الاقتصادية سواء المالية أو الجيوطاقوية، أو الجيوبولتيكية، وتمثله أيضاً على المستوى الإستراتيجي، وبما أن روسيا ليست وحدها في هذا النظام الدولي، فأكيد أنها ستلتقي مع دول أخرى خاصة الصين والولايات المتحدة الأمريكية، وستكون في إطار تعاون أو تنافس، كما تطرق الفصل الثاني إلى الأحداث التي شهدتها المنطقة بعد 2010، وموقف روسيا من تلك الأحداث بداية بتونس ثم مصر واليمن والبحرين والتركيز على سوريا وليبيا.

ويُعنى الفصل الثالث بمقارنة إستراتيجية روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بين دولتين من هذا الإقليم هما ليبيا وسوريا، فالمقارنة تتيح مجالاً أكبر للفهم، خاصة بعد تدخل موسكو العسكري في سوريا الذي قلب موازين الحرب رغم التحالف الدولي الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية لإسقاط بشار الأسد حيث أوشك على السقوط لولا طلبه المساعدة من الكرملين وتلبية هذا الطلب، لكن ذلك لم يحدث مع ليبيا في بداية الحرب، وتحول الموقف الروسي بعد ذلك، كل ذلك يدخل ضمن إستراتيجية يجب البحث فيها عن طريق المقارنة بين ليبيا وسوريا سواء على المستوى السياسي. تمثل في علاقة موسكو بحكومتي الدولتين ومدى دعمها لهما، والاقتصادي المتمثل في التبادلات التجارية بين هذه الدول الثلاث، كما أن الأهمية الجيبولتيكية ستشكل أحد مؤشرات المقارنة وستشمل نقاط التشابه ونقاط الاختلاف هي الأسس التي تبني عليها موسكو إستراتيجيتها تجاه المنطقة.

الفصل الأوّل:

مقاربة معرفية

لإستراتيجية روسيا

الاتحادية

الفصل الأول: مقاربة معرفيّة لإستراتيجيّة روسيا الاتّحاديّة

انتهت الحرب الباردة وتفكّك الاتّحاد السّوفياتيّ الّذي طالما كان المنافس الأكبر للولايات المتّحدة الأمريكيّة، لكنّ انهياره المفاجئ شكّل حقبة جديدة في العلاقات الدوليّة، وظهرت روسيا وريثته منهكة ومثقلة بالمشاكل والأزمات يراودها حلم استعادة الأمجاد، وتعويض الخسائر المتتالية وتحقيق الاستقرار السّياسي، واختراع نظام يضمن كل ذلك، ووضع إستراتيجيّة تتجاوز من خلالها الضّعف والوهن الّذي أصابها. سيتطرق هذا الفصل لأهمّ النّقاط التي تقوم عليها هذه الإستراتيجية، بداية بتطوّرها التّاريخي، ثمّ أبعادها ومقارنة مراحلها التاريخيّة لاستخراج الثّوابت الّتي تقوم عليها.

المبحث الأول: التّطوّر التّاريخي لإستراتيجيّة روسيا

"إنّ تاريخ روسيا تاريخ معقّد، ومن الصّعب تحديد العصر الذّهبيّ فيه، فكلّ مرحلة فيه كانت صيرورة وتوسّع واستيعاب للأراضي"[1]، من هذا المنطلق لايمكن فهم إستراتيجية روسيا دون البحث في تاريخها وانتصاراتها وانكساراتها، وصعودها ونزولها، ورخائها وشدّتها، وآمالها وآلامها، كلّ هذه الصّفات لازمتها دائما. إنّ تاريخ روسيا تجسّده المقولة: " مازالت روسيا اليوم قادرة على المسير، وهي تمضي رغم نكساتها وآلامها نحو المستقبل، قد تبدو في سيرها عرجاء، إلّا أنّها تتحرّك نحو الأمام"[2].

المطلب الأول: إستراتيجيّة الإمبراطوريّة الرّوسية

كان القرن السّادس عشر بمثابة القرن الذهبيّ لإمبراطوريّة روسيا، فقد تمكّن ثلاثة قياصرة روس (إيفان العظيم، فاسيلي الثّالث وإيفان الرّابع "الرّهيب") من احتلال أكبر خريطة عرفها تاريخ بلادهم بين عامي 1505 و1585 عن طريق "ابتلاع الأعداء"[3]. ثمّ أسّس "بطرس الأكبر"* (1672-1725) روسيا القيصريّة سنة 1721**، واستمرّ "آل رومانوف" في التّوسّع نحو أوروبا، إلى جانب التّوجّه الدّينيّ "حماية المسيحيّين الأرثوذكس" في العالم. والتّركيز على بناء تحالفات من أجل تحقيق الأهداف على رأسها استعادة القسطنطينيّة التي فتحها العثمانيّون سنة 1458، وتثبيت المرجعيّة الأرثوذكسيّة على المقدّسات

---

[1] ميخائيل غورباتشوف، ***روسيا الجديدة***، تر: فايز الصّياغ، (المملكة العربية السعودية: دار العبيكان، 2018)، ص. 22.

[2] عاطف معتمد، ***استعادة مكانة القطب الدولي.. أزمة الفترة الانتقالية***، (قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 2009)، ص.13.

[3] المرجع نفسه، ص .19.

*ملك من ملوك روسيا الذين كان لهم دور كبير في صنع إستراتيجيتها.

**يوجد اختلاف بين الباحثين حول النشأة الفعلية للإمبراطورية، فبعضهم يُرجع ذلك لسنة 1682 حين تولى بطرس الأكبر العرش.

في فلسطين[1]. كما قامت إستراتيجيّة روسيا في تلك الفترة إمّا على الحروب والتّوسع أو على التّحالفات معتمدة على قوّتها العسكريّة لخوض العديد من الحروب في أوروبا وآسيا على غرار الحرب مع السّويد سنة 1718التي اضطرّت إلى التّنازل عن إستونيا وليتوانيا وأجزاء من فنلندا، وحربها مع الدّولة العثمانيّة الّتي اضطرت أيضا للتّنازل عن أراض تَحُول بين روسيا والبحر الأسود، وقامت من جهة أخرى على استخدام العامل السّياسيّ كمساعدة "أغسطس الثّاني" (الألماني) في اعتلاء عرش بولندا، وقد أكّد "بطرس الأكبر" على أنّه: "يجب أن تبقى روسيا في استعداد لحروب مستديمة واستمرار الجندي في استعداد دائم في سبيل المصلحة والاتّساع ونمو الرّفاهية في روسيا"[2]، والسّعي إلى تقسيم العالم والسّيادة عليه من خلال عقد تحالفات "مُريبة"، وأكد ذلك بقوله: "لا بدّ من التّوجّه نحو فرنسا ثمّ فيينا لنُسهم معهم في إمبراطورية العالم (تقسيم العالم)، فإذا قبلت إحداهما يمكن استغلال ذلك لاكتساح الأخرى، ثمّ نعود فنُبيد الأولى فنمتلك بذلك أوروبا"[3].

تواجدت الإمبراطوريّة في بيئة مليئة بالدّول القويّة، مثل فرنسا وبريطانيا وهولندا والنمسا وبولندا والإمبراطوريّة العثمانيّة،ووجب مسايرة هذه القوى خاصّة أن النّظام الدولي كان قائما على القوّة العسكريّة والرّيبة واحتلال الأضعف، أو ما يعرف بـ "العون الذّاتي"انطلاقا من ذلك قوّت روسيا جبهتها الدّاخلية عن طريق إصلاحات عديدة مستفيدة من أسفار القيصر لعدة دول ووقوفه على أوجه تطورها. أين بدأ بنقل هذه التّجربة إلى بلاده، ثمّ نهى عن استعباد النّساء، ومنع الرّهبان من جمع الأموال، ووضع شؤون الكنيسة في يد مجلس دينيّ مقدّس، إضافة إلى القيام بإصلاحات سياسيّة كثيرة كإنشاء مجلس الشيوخ[4].

اتّبعت الإمبراطورية النّهج "المركنتيلي" على المستوى الاقتصادي، فقد ركّز صناع القرار على جعل الميزان التّجاري لصالحها عن طريق زيادة الصّادرات ودفعها للتفوق على الواردات، بحيث استطاعوا رفع القدرات الإنتاجيّة بتكوين شركات كبرى[5]. ولعبت خلال القرن التاسع عشر دورا في صياغة النّظام الدولي لمّا كانت حاضرة في أغلب الاتّفاقيّات الدّوليّة كاتّفاقيّة باريس الأولى (20 ماي 1814)، ومؤتمر فيينا

---

[1] ناصر زيدان،***دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين***، (لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013)، ص ص.15، 24.

[2] ياسر حسين، ***24 شخصية سياسية هزت البشرية***، ط.2، (مصر: مركز الراية للنشر والإعلام، ط.2، 1994)، ص ص.32، 33.

[3] المكان نفسه.

[4] عبد العزيز نوار، محمود جمال الدين، ***التاريخ الأوروبي الحديث***، (مصر: دار الفكر العربي، 1999)، ص.234.

[5] المرجع نفسه، ص.232.

(13 سبتمبر 1814–9 جوان 1815)، ومعاهدة باريس الثّانية (20 نوفمبر 1815). ناهيك عن مساهمة "إسكندر الأوّل" (1777–1825) في تنظيم العلاقات الرّوسية مع باقي الدّول عن طريق مشروع "الحلف المقدّس" (The Holy Alliance) في 26 سبتمبر 1815 قام على فكرة أن يصبح الحكّام إخوة وأن يلتزموا بمبادئ المسيحيّة في معاملاتهم البينيّة. جمعت الاتفاقية كلّا من روسيا، النّمسا وبروسيا. "ليس لهذه الوثيقة من غرض سوى أن تعلن للعالم أجمع أنّه قد صنع عزم الموقّعين عليها على أن يسترشدوا بمبادئ الدّيانة المقدّسة (المسيحيّة)"[1]. هدفت الإمبراطوريّة من خلال هذا الحلف إلى تأمين حدودها والتّركيز على بروسيا والنمسا تمهيدا لعزل فرنسا، إلاّ أنّه خلال نهاية القرن التّاسع عشر شعرت بغموضموقف بروسيابعدم تجديدهاللمعاهدة، لذلك تحالفت مع باريس سنة 1891، وإنجلترا لتقوية فرصها أمام عدوها اليابان خاصّة بعد هزيمة 1905[2]. لقد سادت في القرن السّادس عشر وحتّى القرن العشرين مبادئ إستراتيجيّة تشاركت فيها الدّول الكبرى، تتمثّل في:

– النّمو بضمّ أقاليم على حساب الدّول الأخرى، تسعى كلّ دولة إلى ضمّ أقاليم تتوسّع من خلالها وتزيد من قوّتها، بحيث تلعب المساحة عاملا مهمّا، وتُعدّ مؤشّرا لقياس قوّة الدّولة. وقد اعتمدت روسيا كغيرها من القوى على هذا المؤشّر لزيادة رقعتها الجغرافية، بعد إعطاء مبرر التوسع، سواء كان دينيّا جيوبوليتيكيّا أو سياسيّا.

– الاعتماد على القوّة العسكريّة لتحقيق الأهداف الإستراتيجيّة، إذ تعتمد على عدد الجنود وعُدّتهم وجاهزيتهم للقتال، ولطالما كانت القوّة العسكريّة المؤشّر الأساسيّ لقياس قوّة الدّولة (الدّولة القويّة هي الّتي تمتلك جيشا قويّا).

– التّركيز على إستراتيجيّة الأحلاف، تتحالف الدول عند شعورها بزيادة قوة دولة معينة، فلا تسمح بتفوّق إحداها على الأخرى، بذلك السّبب ساد مبدأ "لا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة، والمصلحة دائمة".

– الاستعداد دائما للحرب، وزيادة القوة العسكريّة بالموازاة مع عقد الأحلاف، إيقانا بأن الصفة الملازمة للعلاقات الدّوليّة هي الحرب، لذلك يجب الاستعداد لها.

[1] عمر عبد العزيز عمر، ***تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815–1919)***، (مصر: دار المعرفة الجامعية، 2000)، ص ص.30، 45.

[2] المرجع نفسه، ص ص.234، 235.

لم تُغفل الإمبراطوريّة النّقاط السّابقة منذ البداية علم قادتها أن إستراتيجيّات القوى الكبرى تقوم على تلك النّقاط، وإذا أرادوا لبلادهم أن تنافس هذه القوى فعليهم تطبيقها، والسّهر على بقاء استقرار هامش القوة بين بلادهم وباقي الدّول حتّى وإن لم يكن لصالحها، المهمّ أن يبقى توازن القوى قائما ليصاحبه ردع قائم.

المطلب الثّاني: إستراتيجيّة الاتّحاد السّوفياتي

أثّرت الثّورة البلشفيّة في أكتوبر 1917 على البنية والتّنظيم السّياسيّين، ما انعكس على تكوين وتركيبة المجتمع، وأدّى إلى انتقال الإستراتيجيّة بعد قيام الاتّحاد السّوفياتيّ إلى مستوى آخر مخالف لما كانت عليه الإمبراطوريّة. فكانت بداية القرن العشرين اختبارا حقيقيّا أين أثبت نجاعته على المستوى الإقليميّ والدّولي، خاصة من النّاحية العسكريّة، لكنّها لم تكن على القدر نفسه داخليّا، فلم تعكس تلك الجيوش الكبيرة والقوّة العسكرية ما وصل إليه المستوى الاجتماعيّ المتدنّي والتفكّك المجتمعيّ بين الكنيسة الأرثودكسيّة و"البيان الشّيوعي"* الذي أصدره "إنجلز" و"ماركس"، القائم على المادّية الدّياليكتيكيّة والتّاريخ وأصّل لفكر لا يعترف بالدّين، لكنّه لقي رواجا كبيرا بين الطّبقات الفقيرة. اعتبر "ماركس" أن الثّورة قادمة لا محال بقوله: "... تتبّعنا الحرب الأهليّة المستترة... الّتي ستنقلب إلى ثورة مكشوفة وتؤسّس فيها البروليتاريا سيادتَها عن طريق إسقاط البرجوازيّة بالعنف"[1]. دامت الثّورة أربع سنوات (1917-1921) ومع بداية تأسيس الاتّحاد السّوفييتيّ بعد المصادقة على أول دستور للجمهوريات الاشتراكية السّوفياتية في 10 جويلية 1918، وُلدت أوّل دولة شيوعيّة اشتراكيّة رسميّا[2]، لم تكن لها حدود ثابتة، إذ تغيّرت بمرور الزّمن وتعاقب الأحداث، رغم تحوّل الأنظمة واستمرار التّاريخ بقي عامل زيادة قوّة الدّولة ثابتا من خلال ضرورة التّوسّع.

تكوّن الاتّحاد السّوفياتيّ في البداية من أربع جمهوريّات، ثم خمسَ عشرة جمهوريّة في عام 1956[3] لعبت الرّأسماليّة الدّور الأكبر في توجّه دول أوروبا الشّرقيّة لتبنّي الاشتراكيّة والشّيوعية، فالثّورة البلشفيّة كانت ومازالت كامنة في الظّروف التّاريخيّة لتكوين روسيا باقتصادها وطبقاتها، وسلطة دولتها، وتأثير

* بيان مطول كتبه كل من "كارل ماركس" و"فريدريك إنجلز" خلال ثورة 1848. فصّلا فيه الفكر الشيوعي والأسس العامة للماركسية، خاصة الصراع الطبقي بين "البرجوازية" و"البروليتاريا" (الطبقة الكادحة). لمزيد من المعلومات أُنظر: فلاديمير لينين، ***الدولة والثورة، تعاليم الماركسية حول الدولة ومهمات البروليتاريا في الثورة***، (موسكو: جيزي اي زنانييه، 1918)، ص.14.

[1] المكان نفسه.

[2] زيدان، مرجع سابق، ص.87.

[3] نصري ذياب خاطر، ***التاريخ الأوروبي الحديث***، (الأردن: الجنادرية للنشر والتوزيع، 2011)، ص.170.

الدّول الأجنبيّة عليها[1] والخصوصيّة الّتي تمتلكها اليوم مستمدة من تفاعل التّاريخ والجغرافيا على مرّ زمن طويل. اعتبر "ليون تروتسكي"* أنّ: "وصول البروليتاريا إلى السّلطة لغز، ولكن علينا أن نبحث عن حلّ هذا اللّغز في الطّبيعة الخاصّة بهذا البلد، أي ما يميّزه عن غيره من البلاد"[2]. لعبت بنية النّظام السّياسيّ دورا في بناء الدّولة الرّوسية عبر المراحل التّاريخيّة المختلفة، فالحروب المتتاليّة وصراع النّفوذ جعلا روسيا تسقط وتنهض من جديد كلّ مرّة لإعادة بناء نفسها من جديد، مثلما حدث للإمبراطوريّة، أو خلال الثّورة البلشفيّة التي أسقطت نظام القياصرة. لكن يُلاحظ من جهة أخرى وجود ثوابت بقيت واستمرت رغم التناقضات التي شهدها التاريخ الروسي لم تتغير وبقيت قائمة تتجسّد فيما يلي:

- القدرة على التّكيّف مع المتغيّرات الدّاخليّة، والإقليميّة والدّوليّة، وتسخيرها لخدمة الأهداف الإستراتيجيّة للدّولة.
- الرّغبة في التّوسع الجغرافي والوصول إلى المياه الدّافئة، يظهر ذلك من خلال عدة حروب خاضتها.
- الوضع المجتمعيّ غير المستقرّ في علاقة الحكّام بالمحكومين، تُرجم إلى عدة ثورات كثورة 1905 و1917وانتفاضة "بوغاتشيف"**،جعل من روسيا سهلة الاختراق والاحتلال خاصّة في أطرافها بسبب اتّساع مساحتها ما يصعّب حماية الحدود.
- الاعتماد على القوّة العسكريّة، فالجيش الرّوسي غالبا ما كان قويّا رغم الصّعوبات الاقتصاديّة والاجتماعيّة الّتي عانت منها روسيا.
- البعد الدّيني، حيث ادّعت روسيا دائما بأنها حامي حقوق المسيحيّين الأرثوذكس، بالرّغم من تعارض الدّين مع الأفكار الماركسية الّتي تعتبره "أفيون الشّعوب"، وأن المادة هي أساس الوجود من منطلق "لا إله والحياةُ مادة"، ما أثّر على النّسيج المجتمعي داخل الدولة، بل حتّى علاقاتها مع الدول.

بدأت فترة جديدة في تاريخ روسيا ستؤثّر في مكانتها وحدودها وحتّى إستراتيجيّتها، لتظهر دولة جديدة (الاتّحاد السّوفياتي) بمبادئ وحدود جديدة وإستراتيجيّة مبنيّة على التّعاليم الماركسيّة ونقد الرأسماليّة

---

[1] ليون تروتسكي، ***تاريخ الثورة الروسية***، تر: أكرم ديري – هيثم الأيوبي، ج.1، (لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د س ن)، ص.19.

*ثوري سياسي بلشفي ماركسي، كان سياسيا مؤثرا في الثورة البلشفية وتكوين الاتحاد السوفييتي، تقلد عدة مناصب سياسية مهمة قبل طرده من الحزب الشيوعي ونفيه من الاتحاد السوفييتي بعد صراع على السلطة مع جوزيف ستالين.

[2] تروتسكي، مرجع سابق، ص.19.

** انتفاضة شعبية قام بها الفلاحون والعمال (الأقنان) في الأورال، خلال ثمانينيات القرن الثامن عشر. لمزيد من المعلومات راجع: تروتسكي، مرجع سابق، ص.25.

الإمبرياليّة وكتاب "فلاديمير لينين" "الدّولة والثّورة"، الّذي قدّم تصوّرا للدّولة الّتي ستقوم بعد ثورة 1917 على تعاليم "ماركس" و"إنجلز" من جهة، ورفض الانزلاق في النّموذج الأوروبيّكإنجلترا والولايات المتّحدة الأمريكيّة رغم ثورتيهما، "فإنجلترا وأمريكا قد انزلقتا بصورة تامّة في المستنقع الأوروبّيّ العام المستنقع القذر والدّاعي للمؤسّسات البيروقراطيّة والعسكريّة"[1].

واعتبر "لينين" أن بناء الاشتراكيّة في بلد واحد سيؤدّي بها إلى عدّة بلدان، كما أكّد على ضرورة التّعايش السّلمي بين الأنظمة المتصارعة، عوض الدّخول في معارك مفتوحة، وصراع عنيف مع الأنظمة الطّبقيّة المعادية[2]. وبدأت الصّعوبات تظهر خاصّة من النّاحية السّياسيّة والإداريّة، وعدم الاتّفاق حول شكل الحكم، فقد اعتبر الدّيمقراطيّون أن العمّال لا يمكنهم إدارة جهاز الدّولة، لكن بعد إنقاذهم للثّورة في معركتها ضدّ "كورنيلوف"* كتب "لينين": "وليستحي الّذين يقولون أنّنا لا نملك جهازا يحلّ محلّ الجهاز القديم"[3]. من النّاحية الإستراتيجيّة لم يعد لروسيا جيش نظامي بين 1917 و1919 أين أعيد تشكيل قوّاته الأساسيّة من البلشفيّين. ونظرا للقوّة الّتي تتمتّع بها رغم كثرة العثرات فإنّها استطاعت دائما العودة بسرعة وقوّة، ما أكسبها عداءَ الغرب، فقد فرض الحلفاء حصارا عليها ولم يكن ممكنا دخول أو خروج أي شيء من روسيا، لذلك قامت بخطوتين لمواجهة هذا الحصار[4]:

- الإسراع في تأميم الصناعة.
- تشجيع الفلاّحين على مساعدة البروليتاريّين لجمع الحبوب والمحاصيل.

لكن هاتين الطريقتين لم تكونا بتلك القوة، لتَدخل الجمهورية السوفييتية الفتية في مجاعة وحرب أهلية بين البلاشفة (الحمر) وما أُطلق عليه اسم البيض (الحُمر ضد البيض). وعاشت فترة تاريخيّة صعبة بين 1917 و1922، بين حرب أهليّة في الدّاخل وغزو القوّات الأجنبيّة لأراضيها، هذه القوات التي جاءت

---

[1] فلاديمير لينين، ***الدولة والثورة،تعاليم الماركسية حول الدولة ومهمات البروليتاريا في الثورة***، مرجع سابق، ص.23.

[2] ***الموسوعة السياسية***، عبد الوهاب الكيالي وآخرون، (لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985)، ج.1 (أ – ث)، "مادة الثورة الاشتراكية"، ص.876.

* عسكري روسي، تم وصفه بالشجاعة، لم يساند ثورة البلاشفة وأعلن أنه جمهوري. لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على: ليون تروتسكي، ***تاريخ الثورة الروسية***، تر: أكرم ديري – هيثم الأيوبي، ج.2، (لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د س ن)، ص ص.144-146.

[3] المرجع نفسه، ص.124.

[4] ريتشارد أبجينانزي، وأوسكار زاريت، ***لينين والثورة الروسية***، تر: محي الدين مزيد، (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 2003)، ص ص .172-174.

لدعم الملَكيّة، ومن جهة أخرى فقد خسرت جزء من مساحتها، فبعد أن كانت مساحة روسيا القيصريّة 23 مليون كلم^2 تراجعت لتصبح 22,4 كلم^2 مع روسيا السّوفياتيّة[1]. بهذا سيكون لانتهاء حكم القياصرة تداعيات على جميع الملَكيّات في أوروبا الّتي تخشى من انتقال التجربة البلشفيّة إليها، وأثّرت في العلاقات الدّولية بصفة عامّة، ثمّ إنّه بانضمام عدّة دول إلى الاتّحاد السّوفياتيّ تغيّرت الخريطة السّياسيّة للعالم واقتراب حدوده من أوروبا الغربية أثّر في بيئتها الأمنية.

شاركت روسيا في عدّة اتفاقيّات سرّيّة على غرار "سايكس – بيكو" التي شارك فيها وزير الخارجية الروسي "سازونوف"[2]، إلا أنّها أعلنت بعد نجاح ثورة البلاشفة عن إلغاء الدّبلوماسيّة السّرّية في العلاقات الدّوليّة، وطالبت أن تكون المفاوضات علنيّة يطّلع عليها الشّعب[3]. واستفادت من الحرب العالميّة الأولى نظرا لانشغال الحلفاء ما ساعدها على تأسيس الاتّحاد السّوفياتيّ الشّيوعيّ/ الاشتراكيّ، الّذي قامت إستراتيجيّته في تلك الفترة على نشر الشّيوعيّة ومعاداة الغرب اللّيبرالي، والمتمثّل في ثلاث قوى رئيسة هي: بريطانيا الّتي كانت قوة كبيرة، والعدوّ الثّاني اليابان بسبب النزاعات الحدودية الكثيرة بينهما، وفنلندا هاتان الأخيرتان كانتا عائقا أمام الخروج إلى المياه الدّافئة المفتوحة التي تسهّل عمليّات النّقل البحري المهمّ اقتصاديّا وإستراتيجيّا. بينما كان الغرب ينظر باستمرار إلى القوّة العسكريّة السّوفياتيّة كمصدر قلق والتّأثير سلبا في استقرار الدّول (الدّيمقراطيّة)[4]. رغم فشلها عدّة مرّات في احتلال فنلندا، وتلقّت هزائم متكرّرة على يد اليابان، كما سعت الدّول الغربيّة قبل الحرب العالميّة الثّانية لإحباط التّحالف الياباني–السّوفياتي–الألماني الذي كان سيشكّل خطرا في حال وقوعه. سنة 1939 سادت قناعة لدى الدّول الغربيّة (الدّيمقراطيّة) أنّه لا يمكن الفوز على ألمانيا في الحرب العالميّة الثّانية إلاّ بضمّ الاتّحاد السّوفياتي (الشّيوعي)، والّذي سيجرّ بدوره حلفاءَه الشّيوعيّين للوقوف معه في هذه الحرب[5]. وبذلك يظهر دوره المحوري في العلاقات الدّوليّة إبّان تلك الفترة، ومن جهة أخرى يظهر أنّ المصالح وحدها غالبا ما تحدّد العلاقات، فالظّاهرُ عداوة بين الشّرق والغرب لكن عندما اقتضت المصلحةُ التّحالفَ تمّ عقدُه، وحقّقت الدّول الغربيّة أهدافها بعدم حصول تحالف روسي (سوفياتي)– ياباني (إمبراطوري)– ألماني (نازي) وحقّق

---

[1] معتمد، مرجع سابق، ص ص.21–23.

[2] محمد بهلول، حكيم غريب، "إستراتيجية روسيا الاتحادية تجاه الحرب في سوريا 2011–2018"، ***مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية***، م16، ع02، (2019)، (ص ص.172–186)، ص.177.

[3] زيدان، مرجع سابق، ص.85.

[4] جورج كنان، ***الدبلوماسية الأمريكية***، تر: عبد الإله الملاح، (سوريا: دار دمشق، 1988)، ص.104.

[5] المرجع نفسه، ص ص.105–106.

السوفييتأهدافهم بهزيمة اليابان العدو التّقليدي.

حقّق الاتّحاد السّوفياتي انتصاره في الحرب العالميّة الثّانية في ظلّ تعاونه مع الغرب، ثمّ ساهم – رغم اختلافه الأيديولوجي– في صياغة النّظام الدّوليّ الّذي شُكّل بعد الحرب العالميّة الثّانية، فشارك في مؤتمر "دومبارتون أوكس"*(Dumbarton Oaks) في 7 أكتوبر 1949 لدراسة إمكانيّة إنشاء منظّمة بديلة عن عصبة الأمم، بل كان سبّاقا من خلال مؤتمر "موسكو" في 1 ديسمبر 1943[1]. ودعّمت حكومته بعد الحرب العالميّة الثّانية التّوجّه نحو الشّيوعيّة سواء في الغرب، أو في المستعمرات عن طريق دعم حقّ الشّعوب في تقرير المصير[2] ما أدّى إلى زيادة الهوة بينهما، رغم التناغم الذي ظهر خلال الحرب ليدخل النّظام الدّوليّ في حرب باردة (Cold War) بين معسكرين، الاتحاد السوفياتيّ وحلفاؤه من جهة، والولايات المتّحدة الأمريكيّة وحلفاؤها من جهة أخرى، وقد استطاع الأوّل فرض منطقه على الدّول الغربيّة رغم "الخطر" الأيديولوجي الذي يحمله، فطوّر تفاعلاته في النّظام الدّوليّ من خلال النّقاط التّالية:

– التّحالف مع "الحلفاء" –خلال الحرب العالمية الثانية– لهزيمة دول المحور خاصة ألمانيا بالنّسبة للحلفاء، واليابان بالنّسبة للاتحاد السوفييتي.

– المساهمة في تحديد ملامح النّظام الدوليّ بعد الحرب العالميّة الثّانية، بالمشاركة في تأسيس الأمم المتحدة من خلال نشر الشّيوعيّة الاشتراكيّة، وضمان دور فعّال خلال فترة ما بعد الحرب.

– تعزيز المكانة التي وصل إليها الاتّحاد السّوفياتيّ من خلال كسب المزيد من الحلفاء وتقوية قدراته العسكريّة، تحسّبا لأي مواجهة مباشرة بين المعسكرين.

واكب الاتّحاد السّوفياتيّ التّطوّرات والتّوتّرات في النّظام الدّولي، فرغم التّوتّر في بعض الأحيان والانفراج في أحيان أخرى، إلاّ أن السّوفييت استطاعوا مواجهة الغرب، وقامت إستراتيجيتهم خلال الحرب الباردة على:

1– **الحرب السّاخنة بالوكالة:**لم تكن نهاية الحرب العالميّة الثّانية سنة 1945 بمثابة نهاية الحروب في النظام الدولي فقد دخل في حرب سنة 1950 بين كوريا الشّماليّة المدعومة من الاتّحاد السّوفياتي

* مؤتمر عُقد في قصر بواشنطن، التقى فيه ممثلو الصين، بريطانيا العظمى، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية. اتفقوا خلاله على تنفيذ الفقرة 04 من إعلان موسكو لسنة 1943، والتي أشارت إلى ضرورة إنشاء منظمة دولية تخلُف عصبة الأمم، وقدّم المجتمعون مقترحا بهيكلة المنظمة. لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على:
https://www.un.org/ar/sections/history-united-nations-charter/1944-1945-dumbarton-oaks-and-yalta/index.html

[1] المرجع نفسه.

[2] هنتنغتون، مرجع سابق، ص ص.231، 232.

والصّين من جهة، وكوريا الجنوبية المدعومة من الدّول الأوروبيّة والولايات المتّحدة الأمريكيّة الّتي قرّرت التّدخل، فتدخّلت الصّين والاتّحاد السّوفياتي أيضا، وانتهت سنة 1953[1]. وانطلاقا من ذلك بقيت الحرب منطقا لدى الدّول، فالاتّحاد السّوفياتي لا يسمح بخسارة الحلفاء ويقابله نفس الموقف لدى الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

2- **التّواجد المباشر في المجال الحيوي للولايات المتّحدة الأمريكيّة:** تفطّن الإستراتيجيّون السّوفيات إلى ضرورة مجاراة الولايات المتّحدة الأمريكيّة خاصة في المناطق ذات الأهميّة الإستراتيجيّة، حيث خضعت عدّة مناطق من العالم لمثل هذا الصراع، على غرار أمريكا اللاّتينية الّتي تنضوي تحت المظلّة الأمريكيّة، إلاّ أنّه خلال نهاية الأربعينيّات من القرن العشرين بدأت قوى شيوعيّة تخترق دول أمريكا اللاتينية، ممّا أثار حفيظة واشنطن وتخوّفها[2]،خاصة في أزمة الصّواريخ الكوبيّة بين المعسكرين سنة 1962، والتي كادت أن تعيد حربا جديدة أوشكت على الاندلاع.

3- **التفوّق على المعسكر الغربي:** سعت إستراتيجية الاتّحاد السّوفياتي إلى الإبقاء على هامش التّفوق بينه وبين الغرب، خاصة على مستوى سباق التسلح، لكن هذا التّفوّق لم يحقّق أهدافه من الناحية الاقتصاديّة، فلم يستطع مجاراة الدّول الغربيّة في حرب ذات تكاليف اقتصاديّة كبيرة تفوق طاقته، سمّيت "حرب النجوم".

4- **الإبقاء على العلاقات الدبلوماسية:** رغم التّوتّر في العلاقات بين المعسكرين، إلاّ أنّ عقلانية الأطراف بسبب توفّر المعلومات سمحت للدّبلوماسيّة بالحفاظ على تجنّب الانتقال من حرب باردة إلى حرب حقيقيّة ميدانيّة، بدليل أنّه رغم عدّة أزمات مثل أزمة إيران، برلين الأولى والثّانية، وأزمة كوبا، ظلّت الاتّصالات قائمة بين المعسكرين سواء الرّسمية أو غير الرّسمية، كما أنّ الاتّحاد السّوفياتي ظل يشارك في جميع المؤتمرات الدّولية، بل كان له صوت مؤثّر فيها.

بدأ الاتّحاد السوفياتي خلال ثمانينيّات القرن العشرين باعتماد إستراتيجيّة مختلفة عن السّنوات السّابقة سواء على الصّعيد الدّاخلي أو الإقليمي أو الدّولي. تقوم على انتهاج إصلاحات على المستوى السّياسي والاقتصادي والاجتماعي، خلّفت ردود أفعال متباينة حول جدواها ومنفعتها، لكنها تتّفق في وجود أزمة

[1]Kathryn Weathersby, « Stalin and the Korean War », in : Melvyn Leffler & David Painter (Editors), ***Origins of the Cold War, An onterion History,*** (Newyork & London : Routledge Taylor Francis group, 2nd Edition, 2005), PP.264, 369.

[2] Leslie Bethell & Ian Roxborough, "The Impact of the Cold War on Latin America" , in : Melvyn Leffler & David Painter (Editors), Ibid,p.312.

كبيرة، وأنه على حافة كارثة، بحيث يرى آخر رؤسائه "ميخائيل غورباتشوف"* (MikhailGorbachev) أن الاتحاد عانى خلال السبعينيّات والثمانينيّات من فشل اقتصاديّ وسياسيّ، ولم تُكلّل محاولات الإصلاح بالنّجاح، فالمجتمع لم يشعر بالرّضا، والشّعب لم يحسّ بالسّعادة، ممّا أدّى إلى احتجاجات متتالية، لذلك كان من الضّروري إعداد مزيد من الإصلاحات[1].

وحاول عن طريق "البريسترويكا" (Prestroika) التي تُعتبر –حسبه– بأنّها مجموعة إصلاحات انجرّ عنها إنجازات ديمقراطيّة، ورأى بأنّ هناك من يسعى إلى الإنقاص منها ، وإعادة تأهيل النّزعة التّسلّطيّة واستعادة أساليبها[2]، ولكنّ "البريسترويكا" استطاعت إنجاز التحرّر من الماضي الشّمولي[2]. وهذا التّحوّل في الاقتصاد الرّوسي لم يُراع الخصوصية المجتمعيّة والأيديولوجية للأمّة، كما أنّه جاء في عزّ ضعف الدّولة، ممّا فسح المجال أمام المعسكر الغربيّ لإحراز التفوق، ولم يقتصر الأمر على الجانب الاقتصادي بل تعدّاه إلى المجال السّياسي فاستمرّ "غورباتشوف" في إستراتيجيّة قائمة على مزيد من الانفتاح عن طريق "الغلاسنوست"* (Glasnost)، لمحاربة الفساد الذي استشرى في الحزب الشيوعيّ والحكومة السوفياتيّة، وتخفيف التّعسّف الممارس من طرف الإدارة[3].

بعد هذه الإصلاحات، التي يرجع سبب التفكّك إليها سنة 1991، عارضها "ديميتري مدفيديف"(Demitry Medvedev) واعتبرها "دواء مهدّئا" ومتخلّفة، إلا أنّ "غورباتشوف" دافع عنها، ورأى أنه بعد مرور عقدين من الزّمن على تلك الإصلاحات فإنّه من المبكّر الحكم عليها، مستدلّا برأي "ريتشارد نيكسون" (Richard Nixon) عندما سُئل عن تقييمه للثّورة الفرنسيّة، بأنّه مازال الوقت مبكّرا جدّا لإطلاق حكم عليها[3]، كما وصف الوضع الإستراتيجي بأن الجيش وجد نفسه خاضعا لسلسلة إصلاحات بعيدة الأثر، نتيجة "التّفكير الجديد" (يقصد الإصلاحات)، وتقليص الأسلحة لحد الدفاع، وتحويل مجمع الصّناعات العسكريّة لغايات مدنيّة تكون لها تبعات سلبيّة كثيرة[4]، في إشارة إلى الإصلاحات التي اتّبعها

---

*شغل منصب رئيس الدولة في الاتحاد السوفييتي بين عامي: 1988–1992، نال جائزة "نوبل" للسلام سنة 1990 بسبب مشاركته الفعالة لإنهاء الحرب الباردة. لمزيد من المعلومات أُنظر: ميخائيل غورباتشوف، ***روسيا..***،مرجع سابق، ص.13.

[1] المرجع نفسه، ص.16.

[2] المرجع نفسه، ص ص.16، 17.

* تعني الانفتاح والشفافية في أنشطة المؤسسات الحكومية في الاتحاد السوفياتي طرحها آخر رؤسائه " غورباتشوف".

المرجع نفسه، ص.09.

[3] المرجع نفسه، ص ص.173، 174.

[4] ميخائيل غورباتشوف، ***غورباتشوف وحكاية الانقلاب.. ثلاثة أيام هزّت العالم***، تر: فؤاد حطيط، (باريس: دار عالم ألفين، 1992)، ص ص.08، 09.

(البريسترويكا والغلاسنوست) ويجب الدّفاع عنها. ولكنّ الأوضاع بعد تلك الإصلاحات آلت إلى الأسوأ إذ ارتفع ثمن الخبز بنسبة 1000 إلى 1500 %، ممّا أدّى إلى انهيار كبير في القدرة الشّرائية للمواطنين السوفييت[1]. ومنه يظهر أنّ الاتّحاد السّوفياتي لم يكن يتمتّع بالقوّة نفسها داخليا، رغم قدرته على المواجهة دوليا، ويمكن وصفه بالدّولة الهشّة خاصّة اقتصاديّا.

المطلب الثّالث: إستراتيجيّة روسيا الاتّحادية بعد الحرب الباردة

لم تتغيّر الخريطة السياسيّة للاتّحاد السّوفياتي منذ المكاسب التي تحصل عليها بعد الحرب العالمية الثّانية حتّى ديسمبر 1991، حيث فقدت روسيا دول البلطيق وأوكرانيا، بيلاروسيا ومولدوفيا، القوقاز الجنوبي، ودول آسيا الوسطى[2]. وذلك كان له أثر سواء من الناحية الاقتصاديّة والمجتمعيّة، بل وحتّى الجيوبوليتيكيّة. وبذلك انتهت الحرب الباردة بانتهاء الوجود السّياسيّ والقانونيّ للاتّحاد السّوفياتي في 25 ديسمبر 1991[3]. هذه النّهاية والتّفكّك لم تكن كغيرها، فعلى غير العادة لم يكن للجيوش والحرب التّقليديّة المباشرة دور في الانهيار أو في إنهاء الحرب الباردة، بل كانت الأسباب الاقتصاديّة والاجتماعيّة والمجتمعيّة هي الأسباب الحقيقيّة في ذلك، وقد وصف رئيس روسيا "فلاديمير بوتين"*(Vladimir Putin) ذلك التّفكّك بأنّه "أكبر كارثة جيوسياسيّة للقرن العشرين"، ومن جهة أخرى نصح الرّئيس الأسبق "بوريس يلتسن"** (Boris Yeltsen) أعوانه بقوله: "خذوا أكبر قسط ممكن من السّيادة"[4]، يظهر من خلال هاتين المقولتين، رغم الاختلاف الظّاهر في توجّه كلّ رئيس، الرّغبة الشّديدة الّتي تحوّلت إلى عقيدة تتمثل في البقاء بقوة في النّظام الدّولي، أين تلعب مساحة الدّولة دورا في تحديد مكانتها.

---

[1] غورباتشوف، ***روسيا..***،مرجع سابق، ص.48.

[2] معتمد، مرجع سابق، ص.22.

[3] عبد الله عبد المالك الصباح، ***الصعود الإستراتيجي لروسيا الاتحادية وأثره على التوازنات الدولية (1991-2015)***، (لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2017)، ص.57.

*رئيس روسيا، عميل سابق في جهاز المخابرات الروسية، تولى رئاسة بلاده لولايتين متتاليتين، ثم أصبح رئيس وزراء قبل العودة إلى الحكم والرئاسة، ليفوز بولاية رابعة عام 2018. لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على كتاب:

vladimir federovski,***Poutine l'itinerere secret***, (France: Editions des Rochet)

** أول رئيس للاتحاد الروسي من 1991 إلى 1999، انتُخب بنسبة 57 بالمائة من الأصوات، ووضع إصلاحات جذرية سنة 1992، أدت إلى تدهور مستوى المعيشة. توفي في 2007/04/23.

[4] رؤساء الاتحاد السوفييتي.. بوريس يلتسن و"العلاج بالصدمة"، مقال منشور بتاريخ: 2018/03/12، مأخوذ من الموقع الإلكتروني: https://arabic.rt.com/russia/931685%D8%B1%D8%A4%D8%B3%D8%A7%D8%A1%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7-%D8%A8%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D9%84%D8%AA%D8%B3%D9%8A%D9%86-%D8%B9%D9%84%D8%A7%D8%AC-%D8%B5%D8%AF%D9%85%D8%A9/، (2019/12/25).

وقامت روسيا الاتّحادية بعد تفكّك الاتّحاد السّوفياتيّ مباشرة بالحفاظ على المكتسبات السّابقة كالتّمسّك بالمقعد في مجلس الأمن، وضمان التّرسانة النّوويّة لدى روسيا والحرص على عدم تمكّن أي دولة مستقلّة عنها من أن تكون قوّة نوويّة، ويمكن تقسيم الإستراتيجيّة الّتي انتهجتها روسيا الاتّحادية في بداية تأسيسها إلى مرحلتين[1]:

1- **المرحلة الأولى:** تحدّدت في الأعوام الأولى من حكم الرّئيس السّابق "يلتسن"، بعد تفكّك الاتّحاد السّوفياتي، والجدل الدّائر بين القوى السّياسية وصنّاع القرار. وانقسم المهتمّون بالشّأن الرّوسيّ إلى اتّجاهين، بين من يدعو إلى الاهتمام بالمشكلات الدّاخلية على غرار "فلاديمير راسبوتين" (Vladimir Rasputin)، ومن يدعو إلى ضرورة الاهتمام بالسّياسة الخارجيّة، والحفاظ على المكانة الدّوليّة الّتي وصلت إليها روسيا، ومن هؤلاء "ألكسندر روسكي" (Alexander Roski).

2- **المرحلة الثّانية:** بدت روسيا بعد عام 1993 أكثر ثباتا، وظهرت البصمة الرّوسية بتظافر العوامل الدّاخليّة والخارجيّة، فأدّت إلى إعادة النّظر في الإستراتيجيّة وإعادة هيكلة أولويّاتها، وارتبطت بالتّطورات الّتي حدثت داخل روسيا أين تغيّرت موازين القوى لمصلحة التّيّارين القوميّ المتطرّف والشيوعي، وتراجع التّيّار اللّيبراليّ الّذي لم يستطع فرض منهجه على إستراتيجيّة روسيا.

ورثت روسيا من الاتّحاد السّوفياتيّ وضعا صعبا، لذلك سارع "يلتسن" إلى إحداث مجموعة من الإصلاحات الاقتصاديّة وُصفت بالقياسيّة وغير المدروسة، وهو ما أكّده خلال خطابه بمناسبة حلول سنة 1992، إذ قال بأنّ هذا العام سيكون استثنائيّا، ويجب وضع أسس جديدة لحياة جديدة، واعتمد على العلاج بالصدمة* لتجاوُز الأوضاع الخطيرة بعد أن نصحه خبراء بنجاحها (أي الصدمة) في أوروبا الشّرقيّة وأمريكا اللّاتينيّة. وكان يعتقد أنّها لن تتجاوز سنة، ولكنّها استمرّت لحوالي خمس عشرة (15) سنة، ارتفعت أسعار الحليب ومشتقّاته بين 1000 و2000 % في المتاجر، و5000 إلى 10000 % في الأسواق، بينما تراوحت زيادة الأجور بين 300 و350 %[2]. تظهر هذه الإحصائيّات الصّعوبة التي

---

[1] لمى مضر الأمارة، ***الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية***، (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009)، ص ص.96-102.

* ظهرت في مجال الطب النفسي، بتعاون بين الاستخبارات الأمريكية والطبيب الكندي "أيون كاميرون" خلال خمسينيات القرن العشرين، وتعلقت الأبحاث باستخدام الصدمة الكهربائية على أدمغة المرضى. ثم نقلها "ميلتون فريدمان" إلى العلوم الاقتصادية، وطبّقها في محاولة لإيجاد إطار نظري لإعادة التوازنات الاقتصادية. لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على: نعومي كلاين، ***عقيدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوارث***، تر: نادين خوري، (لبنان: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 2009).

[2] غورباتشوف، ***روسيا..***، مرجع سابق، ص.48.

واجهها المواطنون الرّوس في بلوغ الحدّ الأدنى من العيش، ومن جهة أخرى عجز صنّاع القرار عن استشراف المستقبل وإيجاد حلول تدريجيّة لا تؤثّر في حياة المواطنين خاصّة بعد الإصلاحات الّتي لم تفصل بينها فترة طويلة (البريسترويكا) ثم الصّدمة، والّتي لاقت اللّوم بشكل كبير.

قامت إستراتيجيّة العلاج بالصّدمة على إصلاحات اقتصاديّة ليبراليّة وأساسا على الخصخصة، من أجل الدخول في اقتصاد السّوق الحرة[1]. وبالتّالي انتقلت روسيا من الاشتراكيّة إلى الليبراليّة مباشرة، أدّىإلى تأثّر أداء السّوق واستقرار قيمة العملة، وهو ما يفسّر الارتفاع الكبير في الأسعار خاصّة في المواد واسعة الاستهلاك، ورغم كلّ المشاكل والأزمات المتتالية إلاّ أنّ صنّاع القرار قد استطاعوا بلورة الإستراتيجيّة في وثيقة ظلّت الأساس الّذي تنطلق منه كل الوثائق المتعلّقة بالعقيدة العسكريّة والأمن القومي.

أصدر مجلس أمن الاتّحاد الرّوسي وثيقة "الأحكام الأساسيّة للعقيدة العسكريّة للاتّحاد الرّوسي"، بعد اجتماعه بتاريخ: 3 و6 أكتوبر 1993، وحظيت بموافقة الرّئيس "يلتسن" الّذي أصدر مرسوما يحمل رقم 1883، المؤرّخ في: 02 نوفمبر 1993، تتألّف الوثيقة من مقدمة وثلاثة أقسام (الأسس العسكريّة والأسس السّياسيّة والأسس التّقنيّة والاقتصاديّة للعقيدة العسكريّة)، وتحمل تصوّرا لفترة إقامة الدّولة الرّوسية[2].

تعتبر هذه الوثيقة من بين أهمّ الرّكائز الّتي يمكن من خلالها فهم إستراتيجيّة روسيا، والّتي ستسير وفقها المراحل القادمة نظرا لما تحتويه من رؤية وتصوّر لمختلف المسائل الدّاخليّة والإقليميّة والعلاقات الدّوليّة، فتطرح كيفيّة تنفيذ إصلاحات ديمقراطيّة، وتشكيل نظام جديد للعلاقات الدّولية، وتبني تصورا واضحا حول النزاعات ومنع الحروب، ومتكاملا لتهديدات الأمن العسكري للدولة وتنظيم التّدابير اللّازمة للدّفاع عن المصالح الحيويّة لروسيا الاتّحاديّة.

لقد قامت وثيقة "الأحكام الأساسيّة للعقيدة العسكريّة للاتّحاد الروسيّ" على النقاط التالية[3]:

1- **الأسس السّياسيّة:** بيّنت هذه النّقطة موقف روسيا من النّزاعات والحروب خاصّة المسلّحة منها الّتي تؤثّر على الأمن والسّلم الدوليّين، ووضّحت من جهة أخرى مصادر الأخطار العسكريّة على رأسها الأسلحة الممنوعة دوليّا، كالسّلاح النّوويّ وأسلحة الدّمار الشّامل، والنّزاعات الدّاخليّة المحتملة، التّهديدات الإرهابيّة وما يتّصل بها من جرائم أخرى. ربطت هذه الوثيقة بين الوضع "السّوسيوسياسي" للدّولة والأمن

[1] رؤساء الاتحاد السوفييتي.. بوريس يلتسن و"العلاج بالصدمة"، مرجع سابق.

[2] The Basic Provision of the Military Doctrine of the Russian Federation, On the site web :https://fas.org/nuke/guide/russia/doctrine/russia-mil-doc.html, (26/12/2019).

[3] Ibid.

العسكريّ ومدى التّرابط بينهما، وحدّدت مهام الدّولة في هذا المجال بما في ذلك الحماية الجنود وأُسرهم والمسرَّحين والمنتهية خدمتهم، وبناء منظومة قانونيّة من شأنها دعم أداء المؤسّسات المسؤولة عن الأمن العسكري.

2- **الأسس العسكرية:** ضبطت الوثيقة أسباب استخدام القوّات المسلّحة وغيرها من القوّات، ومهامّها وكذلك الأهداف والمبادئ، من أجل ردع المعتدين وتحديدهم بشكل سريع، وتحذير المؤسسات المعنيّة فورا وحماية الدّولة برّا وبحرا وجوّا. كما حدّدت الأهداف التي تتطلّب الدّعم التّقنيّ العسكري، ورؤية سبل تطوير الإمكانيّات الصناعيّة العسكريّة ومجالات التّعاون التّقنيّ مع الدّول الأخرى.

3- **الأسس العسكريّة التّقنيّة والاقتصاديّة:** تقوم هذه النّقطة على تحديد أهداف الدّعم التّقني العسكري للأمن العسكري، والاتّجاهات الرّئيسة لتطوير الإمكانات الصّناعيّة الدّفاعيّة والتّعاون العسكري مع الدّول الأجنبيّة، يجب توفير الإمداد الفوري والمواد للقوّات المسلّحة والقوّات التّابعة لها بكميّات كافية من أجل دعم وحماية مضمونة للمصالح ذات الأهميّة الحيويّة للمجتمع والدّولة، وضمان مستوى متقدّم من البحوث التّقنيّة الّتي تساعد في تطوير العمليّات التجريبيّة، والإمكانات الصّناعيّة والبنى التّحتيّة ووضع التّدابير اللاّزمة لذلك. وتنطلق الدّولة في تنظيم التّعاون العسكريّ- التّقنيّ مع الدّول الأجنبيّة من الحاجة إلى ضمان مصالحها العسكريّة والسياسيّة بطريقة متوازنة، ومنظّمة حسب التّشريعات، واستطاع صنّاع القرار صياغة وثيقة تدلّ على رغبة شديدة في إعادة روسيا -بُعيد تفكّك الاتّحاد السّوفياتي- إلى مصافّ الدّول الكبرى ، لكنّ الواقع كان عكس هذه الوثيقة من خلال تردي الأوضاع الاقتصاديّة، وانهيار سعر الصّرف "الرّوبل" إلى 180 "روبل" مقابل 1 دولار أمريكي، ليصل إلى 3850 "روبل" مقابل 1 دولار أمريكي سنة 1995، ثمّ 5400 مقابل 1 دولار في 1996. أثّرت تلك الأوضاع في المستوى المعيشي للمواطنين، كما انخفض الناتج القومي من 506,5 مليار دولار أمريكي سنة 1989 إلى 395,5 مليار دولار سنة 1995[1].

يدرك صنّاعُ القرار أنّ وريثة الاتّحاد السّوفياتي ستظلّ تحت أنظار الغرب العدو، من هذا المنطلق لم تكن البيئة الدّاخلية وحدها العاملَ المؤثّر في الإستراتيجيّة الرّوسيّة، بل كان للوضع الإقليمي دوره فاستقلال دول الاتّحاد السّوفياتي سيجعل أغلبَها دون شكّ غيرَ متّفقة مع موسكو، ممّا يسهّل استمالتها من طرف الولايات المتّحدة الأمريكيّة، فتغيّرت مدركات التّهديدات إلى الدّوائر الأقرب للأمن القومي الرّوسي على غرار أوكرانيا وأفغانستان، إضافة إلى الجمهوريات الإسلاميّة الّتي قد تنتج أنظمة سياسيّة (راديكاليّة)

[1] الصباح، مرجع سابق، ص ص. 59، 63.

سيكون لها تأثير مباشر، وقد تكون معقلا للجماعات الإرهابيّة. ناهيك عن هاجس التّطوّر العسكري والنّووي خاصّة على الحدود، واستمرار الغرب بتقديم مساعدات تقنيّة وماديّة وماليّة لدول الاتّحاد السّوفياتي سابقا، لتضييق الخناق أكثر فأكثر. جاء في هذا الشأن النّسخة الأوّلية للعقيدة الإستراتيجيّة الصّادرة عن وزارة الدّفاع في ماي 1992، أن هناك ثلاثة مصادر للتّهديد هي[1]:

1- استمرار الحلف الأطلسي في زيادة قدراته العسكريّة، واستمرار تواجد الجيش الأمريكي في عدة مناطق قريبة كالشّرق الأقصى مثلا.

2- الاضطرابات القادمة من عالم الجنوب، متمثّلة في عدم الاستقرار السّياسي، وتنامي القدرات العسكريّة لدى عدّة دول من دوله، ما يسهّل الانتشار النّووي والإرهاب النّووي.

3- احتمال نشوب اضطراب داخل "الكومنولث" قد يستدعي تدخّلا عسكريّا روسيا، أو دخول إحدى هذه الدّول في ترتيبات أمنيّة مع دول أجنبيّة أخرى.

صعّب كلّما ذكر من مواجهة كافّة الجبهات مرّة واحدة، لذلك كان يجب ترتيب الأولويّات والأهداف وبقيّ خوف الدّخول في ثورة شعبية أخرى مسيطرا على القيادة الرّوسيّة، خاصّة بعد دخول الرّئيس الأسبق "يلتسن" في معركة داخليّة بعد قراره حلّ البرلمان في سبتمبر 1993، فردّ الأخير بعدم دستوريّة القرار ليتّم التوصّل إلى إقرار دستور جديد بعد قصف البرلمان ومقتل ما بين 123 و157 شخصا داخله[2].

استطاع صنّاع القرار صياغة إستراتيجيّة تحمل تصوّرا لكيفيّة تحقيق الأهداف المسطّرة، ولكنّ الوضع الدّاخليّ وصراع السّلطة في بداية تأسيس روسيا أثّرا في سير هذه الإستراتيجيّة خاصّة في ظلّ التّعدّد الإثني، ومشكلة القوميّة والاتّهامات الّتي طالت آخر رئيس للاتّحاد السّوفياتي "غورباتشوف"، وأوّل رئيس للاتّحاد الرّوسي "يلتسن" بولائهما للغرب وهذا ما عبر عنه "دوغين" بقوله: "غورباتشوف ويلتسن دمّرا البلاد، وكانا مواليين للغرب، مواليين للعولمة، وعرّضا حدود بلادنا للخطر وللأعداء"[3]، ما أدّى إلى تناقص كفاءة مؤسّسات الدّولة، وساعد في تنامي الرّغبة الانفصاليّة لدى بعض الجمهوريّات على غرار الشّيشان بعد إعلان "جوهر دوداييف" استقلال جمهوريّة الشّيشان في 1991/11/01[4]،ما شجّع جمهوريات أخرى على محاولة الانفصال، وعانت روسيا في أزمات أكبر خاصّة أنّه لم يمض وقت طويل

---

[1] الأمارة، مرجع سابق، ص.119.

[2] الصباح، مرجع سابق، ص.60.

[3] مقابلة مع "ألكسندر دوغين"، مرجع سابق.

[4] المرجع نفسه، ص.65.

على تفكّك الاتّحاد السّوفياتي حتّى خاضت حربا مع الشّيشان في ديسمبر 1994، ثمّ وقّع الطّرفان اتّفاق وقف إطلاق النّار بتاريخ: 1996/08/31[1].

فرضت المتغيّرات الدّاخليّة والدوليّة وضعا صعبا على روسيا، فبعد تفكك الدولة ستتصاعد النزعة الانفصالية على غرار تفكك الدولة العثمانية ومحاولة الأكراد الانفصال عن تركيا. وما يمكن ملاحظته هو أن صنّاع القرار الرّوس قد بنَوا إستراتيجيّة قامت على:

1- **الاستمرار في الإصلاحات:** وهذا ما ترجمته الإصلاحات المتتالية للرّئيس الأسبق "يلتسن" بعد الخصخصة ثمّ حلّ البرلمان، وبعدها الوصول إلى وضع دستور 1993 حفاظا على الخريطة السّياسيّةومنع ثاني تفكّك في أقلّ من ثلاث سنوات. وانهيار القدرة الشّرائيّة للمواطنين بشكل كبير، وأصبح الوضع الدّاخليّ يشغل بال السّياسيّين والخبراء خوفا من الاضطرابات الدّاخليّة، بحيث وصفه "جليب بافلوفسكي" (Gleb Pavlovsky) المستشار السّابق لدى "بوتين"، بأنه: "شعور رهيب بالضّعف الشّديد"[2]، إنّ خطر ثورة جديدة تذكّر بثورة 1917 ظلّ راسخا لمدة طويلة، وكان هدف الحكومة من تلك الإصلاحات دعم الاستقرار داخليّا من أجل بعث الدّور الإقليميّ والدولي.

2- **التّعاون مع الغرب:** لم يرَ صنّاع القرار أنّه من الضّروري مواصلة معاداة الغرب، لذلك فمن الضّروري إعادة بناء العلاقة بما يخدم مصلحة جميع الأطراف، خاصّة وأنّ "البيت الرّوسي غير مرتّب" بسبب الوضع الدّاخليّ والإقليميّ اللّذين لا يحتملان مزيدا من المشاكل، وهذا ما عبّر عنه الرّئيس الأسبق "ميخائيل غورباتشوف" بقوله: "سوف أدافع عن اتّجاهات رئيسة: اتجاه السّعي لبلوغ اتفاق، والتّعاون مع الغرب، خاصّة وأنّ الدّول الأخرى ترغب فعلا في التّعاون معنا في هذه المرحلة المصيريّة"[3].

3- **المحافظة على القدرات العسكرية والجغرافية:** تعتبر هذه النّقطة في غاية الأهميّة، حيث سعى الزّعماء الرّوس إلى الخروج من تفكّك الاتّحاد السّوفياتيّ بأكبر قدر من المساحة، وهو ما حثّ عليه"يلتسن" في بداية حكمه، باعتبار أنّ المساحة الجغرافيّة طالما لعبت دورا في صناعة قوّة الدّولة وفعاليتها ضمن نطاقها الإقليميّ أو الدوليّ/العالمي، حاولتموسكو الإبقاء على المكتسبات القبليّة سياسيّا (المحافظة على مقعد في مجلس الأمن)، والاستمرار في وتيرة القوّة العسكرية الّتي وصلت إليها إيقانا منها بأنّ الحرب ستكون مصيرهم، خاصة في بداية تأسيس جمهورية جديدة.

---

[1] المكان نفسه.

[2] Anderew Radin, Clint Reach, ***Russia View of the International Order,*** (USA : RAND Corporation, 2017), P.09.

[3] غورباتشوف، ***غورباتشوف ...***، مرجع سابق، ص ص.19، 20.

نظرا للتعدد الكبير الذي تشهده روسيا سواء على المستوى الديني أو العرقي أو اللغوي، وتنامي الرغبة الانفصالية لدى بغض الأقاليم، زيادة على تدني مستوى المعيشة والارتفاع الكبير في الأسعار، وتراجع الموارد الاقتصادية للدولة، لم "يلتسن" الاستمرار في مشاريعه الإصلاحية، ما أجبره على تقديم استقالته في ديسمبر 1999، وعيّن رئيسَ الوزراء "فلاديمير بوتين" (Vlademir Putin) –آنذاك– رئيسا حسب دستور البلاد إلى حين إجراء انتخابات رئاسيّة[1].

المطلب الرابّع: الإستراتيجيّة "البوتينيّة" الجديدة

استلم "فلاديمير بوتين" السّلطة كرئيس منتخب بعد انتخابات رئاسيّة أُجريت بتاريخ: 2000/03/26 فاز فيها بنسبة 52% في الدّور الأوّل[2]، لتبدأ الإستراتيجيّة الرّوسيّة مرحلة جديدة مع مطلع الألفيّة الثّالثة استهلّها "غورباتشوف" بمقال في صحيفة "أوبشايا غازيتا" (Obshchaya Gazeta) اعتبر فيه أنّ البلاد لم ترتكب خطأ يوم 26 مارس، بل على العكس من ذلك، فإنّ هذه الانتخابات الرّئاسيّة تبشّر بحدوث تغييرات أساسيّة، لا بسبب الرّئيس الجديد، وإنّما بسبب المزاج العام الّذي يسود المجتمع[3].

تولّى "بوتين" الرّئاسة ليتحمّل مشاكل خلّفها الرّئيس السّابق، سواء على المستوى الاقتصاديّ بسبب نتائج "سياسة العلاج بالصّدمة"، أو الوضع المجتمعيّ بعد ارتفاع النّزاعات الانفصاليّة، والعسكريّ بضعف المؤسسة العسكريّة وانتشار الفساد في مؤسّسات الدّولة، والعلاقة السيّئة بين السّلطتين التّشريعية والتّنفيذيّة.

كلّ هذه الوقائع صعّبت من مهمّة الرّئيس الجديد (سنة 2000)، وجعلت البعض يتنبّأ بقدوم ما هو أسوأ رغم الرّضا العام لدى المواطنين وأملهم في مستقبل أفضل، إلّا أن بعض المتفائلين اعتبروا أن السّياسات الّتي اعتمدها بوتين أوقفت كل ما فعله سابقوه وجنّبت البلاد الانهيار، بل تم تشبيهه باللون الأبيض إذا ما قورن بهم، لأنّهم يمثّلون السّواد[4].

عمل "بوتين" حتّى قبل تولّيه رئاسة روسيا على تهدئة الأوضاع داخليّا، فقد رأى من خلال مقال نشره سنة 1999 في مجلة "نيزافيسيمايا غازيتا" عنوانه: "روسيا على منعطف الألفيّة"،انخفاضا في مستوى التّنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة: "نشهد تناقصا مستمرّا في دخل السّكّان خلال سنوات الإصلاح" وأضاف: "علينا أن نحوّل الدّولة الرّوسيّة إلى منسّق فعّال للقوى الاقتصاديّة والاجتماعيّة في البلاد بصورة تحافظ

---

[1] الصباح، مرجع سابق، ص.73.

[2] المكان نفسه.

[3] غورباتشوف، ***روسيا*** ...، مرجع سابق، ص.166.

[4] مقابلة دوغين، مرجع سابق.

على التّوازن بين مصالحها"، مشيرا إلى ضرورة محاربة الفقر خاصّة، وتوفير الحريّة للأفراد. لأنّ الفوضى كانت تدفع الاتّحاد الفيدراليّ الرّوسي نحو تفكّك آخر، فقد عمدت عدّة أقاليم إلى إصدار قوانين تخالف الدّستور الفيدرالي، وكان الوضع متوتّرا في القوقاز، إضافة إلى انتشار الجريمة، ونسف المباني من طرف عصابات مخلّفا عشرات القتلى[1].

لم يكن مجيء "بوتين" وليد الصدفة، وإنّما المرحلة كانت تستدعي وجود شخص قويّ يحظى بالإجماع ويلتفّ حوله الشّعب والمسؤولون من أجل إعادة روسيا إلى مكانها الصّحيح الّذي يجب أن تكون فيه بوتين جعل من بلاده قطبا حقيقيّا وتحوّلت من مفعول فيه إلى فاعل[2].

لم يدم وصول "بوتين" إلى السّلطة طويلا حتّى حدث ما هزّ العالم، وحوّل وجهة نظر الدّول الكبرى بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، فأعلن عن تحالف روسيا مع الولايات المتّحدة الأمريكيّة في مواجهة الإرهاب، دون طلب أيّ شيء حتّى المساواة الّتي اعتاد السّوفيات عليها عند تقديمهم تنازلات للغرب لم تطلب هذه المرة[3]، بالمقابل اتّفق 58% من الرّوس الّذين شملهم استطلاع للرّأي على تعارض النّموذج الغربيّ والنّموذج الروسي[4]، انطلاقا من ذلك التّاريخ فتحت روسيا صفحة جديدة مغلقةً الخلاف الّذي ساد لفترة طويلة مع غرب يرى فيها صورة سوداء وأنها راديكالية معادية له، عزّز ذلك كون "بوتين" أنّه ليبراليّ اقتصاديّا وليس محافظا ـ رغم إعجابه بالمحافظين ـ، وواقعيّ أيضا، ما يجعله يشقّ طريقه دون إفراط في تتبّعه النّظام الغربيّ ودون تفريط في الأيديولوجيّة الّتي نشأ فيها، ويفرض وجوده، وعلى الغرب تقبّل (لوجه المزدوج لسياسات بوتين)[5]، إنهما الوجهان اللذان يحملهما بكل ما فيهما من تناقضات، إلّا أنهما واقع يجب تقبلهما والتعايش معهما حتى وإن كانا متناقضين لكنهما يحملان نمطا جديدا مغايرا ومختلفا.

أظهر "بوتين" بعد أسابيع قليلة من انتخابه رغبة شديدة في إعادة بلاده إلى مسارها الصّحيح، انطلاقا من مسارعته إلى إصدار مرسوم رئاسي يحمل رقم 24في 24 جانفي 2000، تضمّن الخطوط العريضة للمستقبل أطلق عليها: "مفهوم الأمن القومي لروسيا الاتحادية" (Concept of the National Security Russian Federation)، تقوم على النقاط التالية[6]:

---

[1] غورباتشوف، ***روسيا ..***، مرجع سابق، ص ص.166-167.

[2] مقابلة مع "دوغين"، مرجع سابق.

[3] ليليا شيفتسوفا، ***روسيا بوتين***، تر: بسام شيحا، (لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2006)، ص.07.

[4] المرجع نفسه، ص. 214.

[5] مقابلة مع "دوغين"، مرجع سابق.

[6] Russian Federation, Kremlin, ***National Security Concept of the Russia Federation,*** https://www.mid.ru/en/foreign_policy/official_documents/-/asset_publisher/CptICkB6BZ29/content/id/589768, (16/01/2020).

1- روسيا في المجتمع الدّولي: ترى هذه الوثيقة أنّ النّظام الدّولي يمرّ بمرحلة تحوّل ديناميكي – في تلك الفترة– بعد انتهاء المواجهة بين الشّرق والغرب (الثّنائيّة القطبيّة)،مع وجود تصوّرين، يرى الأوّل أنّ النّظام الدّوليّ متعدّد الأقطاب تساهم روسيا في تكوينه، أمّا الثّاني فيرى أنّ هناك محاولات دوليّة لإنشاء نظام قائم على هيمنة الدّول الغربية بقيادة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، يعتمد على القوّة العسكريّة والتحايل على قواعد القانون الدّوليّ في حلّ القضايا المهمّة في العلاقات الدّوليّة.

2- المصالح القوميّة لروسيا: تهتمّ هذه النّقطة بمعالجة وتحديد المصالح المتعلّقة بالأفراد والمجتمع والدّولة في المجالات الاقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والدّوليّة والإعلاميّة والعسكريّة والحدود والبيئة وغيرها من المجالات الّتي تعتبر أهدافا إستراتيجيّة تضمنها مصالح الدّولة على المستويين الدّاخلي والخارجي، ويحميها الدّستور وقوانين روسيا الاتّحادية.

3- مهدّدات الأمن القومي الرّوسي: كلّ ما من شأنه المساس باستقرار الاتّحاد هو بمثابة تهديد سواء في المجال الاقتصادي، من حيث العلاقة بين الشّعب ومؤسّسات الدّولة، نمو الجريمة المنظّمة والإرهاب تفاقم الرّغبة الانفصالية على أساس عرقي، كما توجد تفاعلات على مستوى العلاقات الدّولية تشكّل تهديدات داخليّة وخارجيّة للأمن القومي للبلاد.

4- ضمان الأمن القومي للاتّحاد الرّوسي: يشمل كلّ التّدابير اللاّزمة لضمان أمن واستقرار ووحدة الاتّحاد، والتّنبّؤ وتحديد التّهديدات الدّاخليّة والخارجيّة في كلّ القطاعات والمجالات من أجل ضبط ووضع إستراتيجيّة لمواجهة هذه التّهديدات، وكلّ ذلك تضمنه مؤسّسات الدّولة في إطار الدّستور وقوانين الاتّحاد.

بعد التّعرّف على أهمّ النّقاط الّتي جاءت في وثيقة "مفهوم الأمن القومي للاتّحاد الرّوسي"، يظهر مدى بساطتها من الخارج في حين أنّها تركيبة معقّدة من التّصوّرات والتّرتيبات، والضمانات الّتي تتفاعل فيما بينها لترسم معالم الإستراتيجيّة، والّتي لا تُظهر عداءً وتحدّيا مباشرا للدّول الغربيّة، ولكنّ صنّاع القرار يعتبرون النّظام الدّولي متعدّدا وليس أحادي القطبيّة لا يعترفون فيه بانفراد الولايات المتّحدة الأمريكيّة لقيادة النّظام الدّولي، كما يعتبرون بأن التّدخّلات العسكريّة الغربيّة ليست حلاّ للأزمات والمشاكل الدّوليّة بقدر ما تزيد من تفاقمها، ويُدينون التّعدي على قواعد القانون الدّولي. ووضّحت الوثيقة النّقاط الآتية:

- تعريف النّظام الدّولي، كي يعرف الرّوس وغيرهم طبيعة البيئة الّتي تتواجد فيها بلادهم على مستوى النّظام الدّولي.
- تحديد المصالح القوميّة للمواطنين والمجتمع والدّولة، سواء على المستوى الدّاخلي أو الخارجي بناء على التّصوّر القائم للنّظام الدّولي لتوضيح العقلانيّة في صياغة الوثيقة.

- بعد التّعرف على البيئة، ثمّ تحديد المصالح، يأتي دور ضبط التّهديدات الّتي ستؤثّر في مصالح روسيا داخليّا أو خارجيّا.

- ضمان الأمن القومي، أين يظهر التّرابط الكبير بين خطوات الإستراتيجيّة، ويزيد دقتها ويسهّل التّعامل مع التّهديدات التّقليديّة وغير التقليدية (أُنظر الشكل رقم 2).

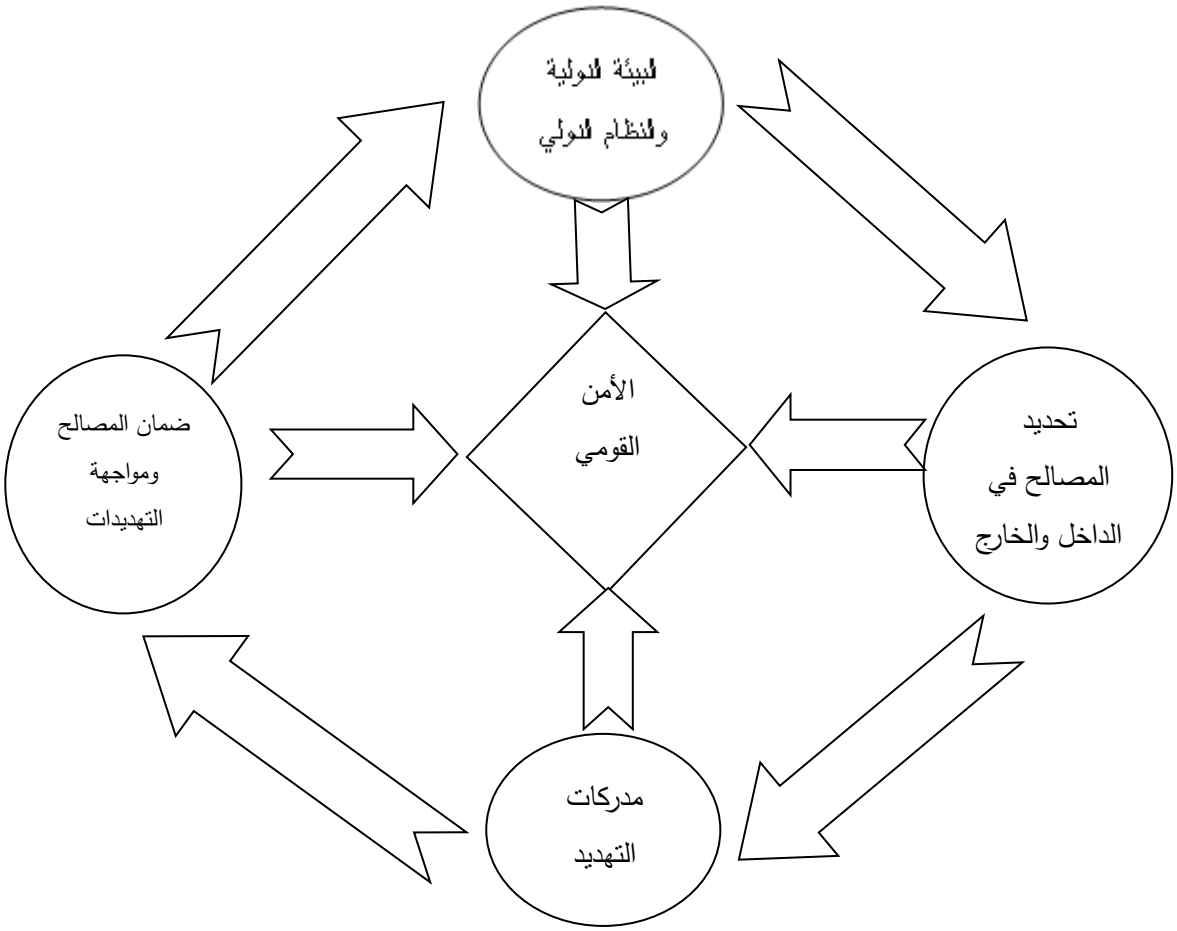

شكل رقم 02: تفاعل متغيرات إستراتيجية روسيا الاتحادية لضمان الأمن القومي.

المصدر: تصميم الباحث.

حقّقت روسيا أرقاما مقبولة اقتصاديّا في بداية عهدة "بوتين" الأولى، أين بلغ معدّل التّضخّم الشّهري ما بين 0,7 و0,8%، وارتفع الإنتاج بنسبة 11% ممّا انعكس إيجابا على الميزانيّة[1]، كلّ هذه العوامل ساعدت الرّئيس على تحقيق برنامجه وإخراج روسيا من النّظام النّقدي العالمي ومؤسّساته، البنك الدّولي صندوق النّقد الدّولي وأصبحت مستقلّة أكثر فأكثر عن النّظام الاقتصادي والمالي الغربي، الّذي يفرض

[1] شيفتسوفا، مرجع سابق، ص ص.105-106.

عليها عقوبات كلّ مرّة ورغم ذلك يمكن ملاحظة تعافيها تدريجيّاً على المستوى الدّاخلي صناعيّاً، وتتّمتع بسيادة اقتصاديّاً[1].

أمّا من النّاحية السّياسيّة كانت حرب الشّيشان من أهمّ الملفّات الّتي ورثها الرّئيس، ورغم كلّ هذه العقبات إلّا أنّه عمل على استعادة المكانة الدّولية، اعتمادا على النّقاط التّالية[2]:

1. **إعادة بناء الجيش ومؤسّسات الدّولة:** خُصّص مبلغ 189 مليار دولار سنة 2000، لإعادة الهيبة للمؤسّسة العسكريّة والسّلاح الرّوسي، كما تمّ التّركيز على إصلاح المؤسّسات الكبرى والحسّاسة مثل مؤسّسة "غاز بروم" (Gaz Prom)، والتّخفيف من البيروقراطية.
2. **وضع اليد على المواد الأولية:** تعتبر روسيا من أهمّ الدّول من حيث امتلاكها للمواد الأوّليّة باحتلالها مرتبة سابع احتياطي نفط (74,4 مليار برميل حسب تقديرات 2005)، أوّل قوّة في احتياطي وتصدير الغاز، رابع منتج للكهرباء، ولديها أكبر عدد من المفاعلات النّوويّة (31 مفاعلا).

ركز "بوتين" على تحقيق مصالح روسيا في مجال الطاقة مع دول الجوار والدّول الأوروبية (62%من صادرات الغاز، و53 % من النّفط نحو أوروبا)، وتستخدم موسكو الاتّحاديّة العديد من الأدوات والأساليب، فلم تعد هذه الإستراتيجيّة محصورة في الوسائل العسكريّة، ولا يمكن للجيش أن يضمن تحقيق جميع المصالح. أيضا بعث "بوتين" الدّور الدّبلوماسي خلال العهدتين اللتين قضاهما على رأس "الكرملين" (2000 – 2008).

استمرّ الرّئيس "ميدفيديف" على نفس نهج "بوتين"، بوصوله إلى الرّئاسة وقّع وثيقة "مفهوم السّياسة الخارجيّة" (Forgien Policy Concept) (FPC) بتاريخ: 21 جويلية 2008، والّتي ركّزت على تفاعل روسيا مع الأطراف الدّوليّة على غرار الهياكل الأمنيّة الأورو – أطلسيّة وكذلك التّعاون الأمني مع الفواعل الشّرقيّة، وصنّفت الوثيقة روسيا كقوة عظمى (Super-Power) ترغب في إنشاء نظام أمن جماعي يختلف عن المطبّق من طرف الغرب، وترفض من خلاله توسيع منظّمة حلف النّاتو، خاصّة جورجيا وأوكرانيا، مع رفض "موسكو" لمنظومة الدّفاع الصّاروخي الأمريكيّة في أوروبا[3]، واعتبر "ميدفيديف" أن روسيا منهمكة في إعادة تعريف النّظام الإقليمي والعالمي، ولا يمكن اعتبارها في مسعى لإحياء الاتحاد

---

[1] مقابلة دوغين، مرجع سابق.

[2] محمد بهلول، "إستراتيجية روسيا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010"، ***مجلة العلوم القانونية والسياسية***، م10، ع1، 2019، (ص ص.370-381)، ص ص.374-375.

[3]Marsel de Haas, ***Medvedev's Security Policy : A Provisional Assessement,*** Russian analytical degguest, Russia, N68, June 2009, P.03.

السوفييتي أو الإمبراطورية، بل تحاول تكوين بنية مؤسّسيّة تكون "موسكو" وسطها. واستندت الوثيقة على النّقاط التّالية[1]:

- لابدّ من تفعيل قواعد القانون الدّولي الّذي يجب أن يكون له الأولويّة، وستكون مبادئه محدّدا للعلاقات بين الشعوب، وستبني روسيا علاقتها بالدّول الأخرى في إطار القانون الدّولي.
- التّعدّديّة القطبيّة الّتي يجب أن تحلّ محلّ الأحاديّة القطبيّة في نظام تسيطر عليه الولايات المتّحدة الأمريكيّة، فالهيمنة أمر غير مقبول ولا يمكن السّماح بها، ولا يمكن القبول بنظام عالميّ تنفرد فيه دولة واحدة باتّخاذ جميع القرارات، ما سيؤدّي إلى عدم استقرار وصراعات.
- روسيا لا تريد المواجهة مع أيّ بلد آخر، وليس لديها نيّة لعزل نفسها، وسوف تطوّر علاقات ودّية مع أوروبا والولايات المتّحدة الأمريكيّة وبلدان أخرى قدر الإمكان.
- حماية أرواح وكرامة المواطنين في أيّ مكان، وهذا أمر لا جدال فيه، وستقوم سياسة روسيا الخارجيّة على هذه الحاجة، كما ستحمي مصالح مجتمع الأعمال في الخارج، ويجب أن يكون واضحا للجميع أنّ روسيا سترّد على أيّة أعمال عدوانيّة ارتُكبت ضدّها.
- تملك روسيا كغيرها من الدّول مصالح متميّزة في عدّة مناطق تشترك معها في العلاقات التّاريخيّة الخاصّة، وترتبط معها بعلاقات ودّية كأصدقاء وجيران قريبين.

يمكن ملاحظة أن فترة رئاسة "ميدفيديف" لم تختلف عن عهدتي "بوتين"، بل كانت امتدادا لها سواء على المستوى الدّاخلي أو الخارجي، ويمكن وصفها بولاية "بوتين" الثّالثة، لكنّها لم تكن مباشرة بسبب مانع دستوري لشغل منصب الرّئيس أكثر من ولايتين على التّوالي، وهذا حسب المادة 81 في النّقطة الثّالثة: "لا يجوز لنفس الشّخص أن يشغل منصب رئيس الاتّحاد الرّوسي لأكثر من ولايتين متتاليّتين"[2]. عـــاد "بوتين" إلى رأس هرم السلطة بعد انتخابات مارس 2012، وفاز بنسبة 64% ، أين حاولت صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكيّة معالجة موضوع فوزه من زاوية أخرى، بحيث أظهرت في مقال نُشر بتاريخ: 2012/03/12، بعنوان: "بوتين يفوز بالانتخابات كرئيس روسي، والمعارضون يدّعون الاحتيال عليهم

[1] بهلول، إستراتيجية روسيا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010، مرجع سابق، ص ص.373-374.

[2] الاتحاد الروسي، ***دستور 1993 شاملا لتعديلاته لغاية 2014***، "المادة 81"، ص.17.

على نطاق واسع" وحالة الغضب الدّاخلي والمظاهرات الّتي شهدتها البلاد[1]. استمرّت الإستراتيجيّة على نفس النّهج والتّدرّج والتّعافي حتّى بعد إعادة انتخابه في 18 مارس 2018 بنسبة 76,69%[2].

[1] Kathy Daly & Will England, ***Putin wins election as Russian president; opponents claim widespread fraud***, The Washington Post, March 04, 2012, On web site : https://www.washingtonpost.com/world/russians-voting--and-watching/2012/03/04/gIQA3j6CqR_story.html.(28, 05,2019)

[2] Results of Russian Presidential elections 2018, Central Election Commission of the Russian Federation, On web site : http://www.cikrly.ru/eng/information-center/results-of-russian-presidential-elections-2018.php(28 , 05,2019)

المبحث الثاني: أبعاد إستراتيجيّة روسيا الاتّحاديّة

تسعى روسيا إلى احتلال مكانة فعّالة في النّظام الدّولي/العالمي، لتحقق بها أهدافها ومصالحها ويكون ذلك عن طريق وضع إستراتيجيّة متكاملة الأبعاد وعقلانيّة، مستفيدة من تجارب التّاريخ، يحرّكها طموح الجغرافيا، مستمرة في التطلع نحو القوة العظمى، ولفهم هذه الإستراتيجية لابد من البحث في أبعادها الأساسية المتمثّلة في: البعد الجيوبوليتيكي، البعد العسكري والبعد الاقتصادي.

المطلب الأول: البعد الجيوبوليتيكي في إستراتيجية روسيا

تلعب المساحة والموقع دورا بالغ الأهمّية في جيوبوليتيكا روسيا لأنّها تعاني دوما للخروج نحو البحر الأبيض المتوسّط (المياه الدّافئة). يعتبر "تجميع الإمبراطوريّة" أهمّ هدف إستراتيجي لموسكو، حيث يرى "دوغين" أنّ الخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف لا تكون إلاّ عن طريق انفتاح بلاده على البحار الدافئة كون السّواحل الرّوسيّة تلاصق البحار الباردة الّتي تؤثّر في الملاحة البحريّة وتعيق التّطوّر الاقتصادي والتّجاري. ويمكن تحقيق ذلك بالتّوسّع جنوبا ليس عن طريق الحروب، بل من خلال عقد تحالفات: "الاندفاع نحو الجنوب يمثّل ضرورة حياتيّة لروسيا.. أن تعود في صورة حليف، وحام صديق، أفضل من أن تعود في صورة جلّاد غليظ... والخروج إلى المياه الدّافئة يمكن التّوصّل إليه ليس فقط عن طريق الحروب الدّامية، بل ومن خلال سلام عقلانيّ مفيد للمصالح الجيوبوليتيكيّة لجميع الدّول القارّيّة"[1].

ويتّفق "دوغين" مع "هالفورد ماكيندر"* (Halford Mackinder) في أنّ أوراسيا (Eurassia) هي أهمّ المناطق الجيوبوليتيكيّة، حسب "ماكيندر" فإنّ السّيطرة على أوراسيا هي سيطرة على قلب الأرض (Heart Land) بفضل مواردها الكبيرة والموقع الإستراتيجي المركزي، وهي مفتاح القيادة العالميّة، أمّا "دوغين" يرى أن أوراسيا توسّع طبيعيّ وضرورة لروسيا لأنّها من المنطقة وليست غريبة عنها، وهذا ما أكده قبل ذلك "نيوتر نيكولافيتش سافيتسكي"* سنة 1933 في مقال بعنوان: "الأسس الجغرافيّة والجيوبوليتيكيّة للأوراسيا" اعتبر فيه روسيا دولة متوسّطة، وتوسّطها هذا يجعلها منفردة تاريخيّا، فهي ليست جزء من أوروبا ولا امتدادا لآسيا، بل هي عالم مستقلّ بذاته وواقع جيوبوليتيكيّ روحي، تاريخيّ مستقل[2]، كما أن التّوسع

---

[1] دوغين، ***أسس..***، تر: عماد حاتم، (لبنان: دار الكتاب الحديث، 2004)، ص.217.

* مفكر بريطاني عاش بين 1861-1947، صاحب النظرية الجيوبوليتيكية "قلب الأرض"، ومن أهم مقالاته: "المحور الجغرافي للتاريخ".

* مفكر روسي عاش بين (1895- 1968) متخصص في الاقتصاد من مؤسسي الحركة الأوراسية

[2] دوغين، ***أسس..***، مرجع سابق، ص.128.

الجيوبوليتيكيّ كان ولازال عاملا محرّكا في إستراتيجية روسيا التي تبحث عن الأمن من خلال التّوسع المستمر، وهذا ما توضّحه الخريطة التّالية:

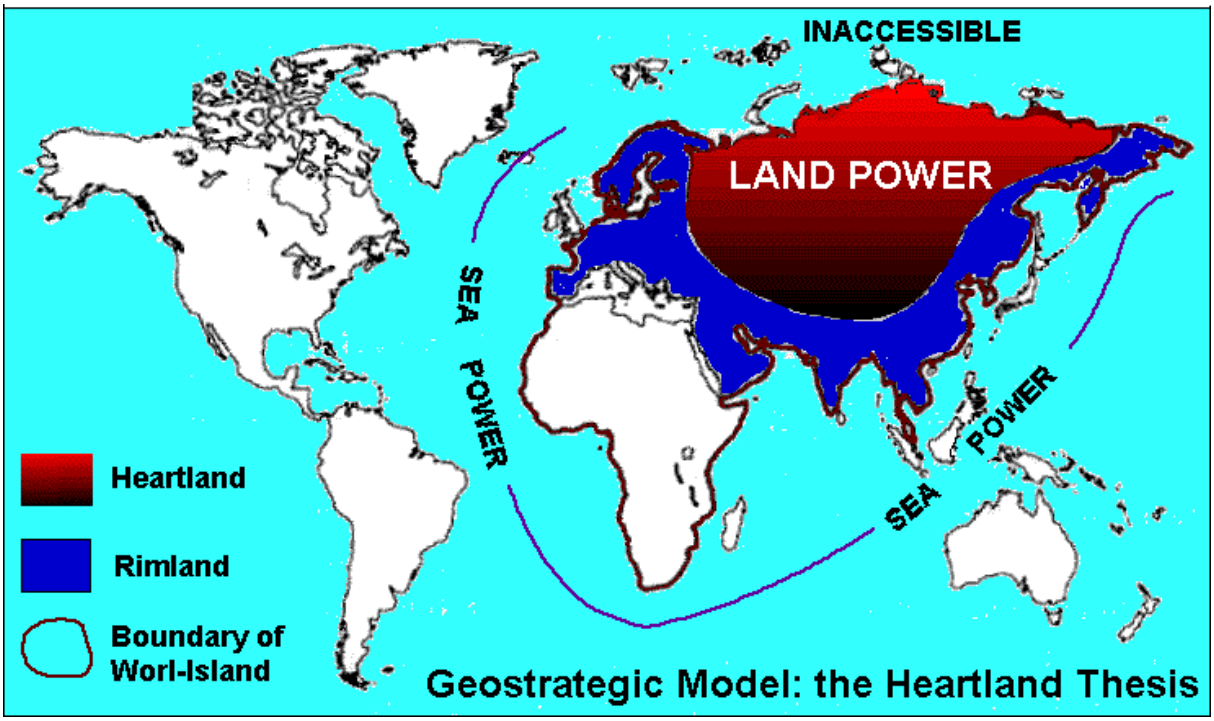

خريطة رقم 01: أطروحة قلب الأرض عند "هالفورد ماكندر".

تشرح هذه الخريطة أفكار "ماكندر" حول نظرية "قلب الأرض"، وعند التفحّص يمكن استنتاج ما يلي:

1. تدور الفكرة الرئيسة لهذه النظرية حول منطقة "أوراسيا" بالدرجة الاولى الموضحة باللونين الأحمر والأزرق.

2. تمثّل منطقة "قلب الأرض" الملونة بالأحمر تقريبا خريطة الاتّحاد السّوفياتي (سابقا)، وهي نفسها الّتي يحلم "دوغين" بإعادة إحيائها.

3. تأتي أغلب دول الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا ضمن المنطقة الملوّنة باللّون الأزرق "الحواف" لذلك لا عجب في أن تكون ضمن المشروع الجيوبوليتيكي الروسي.

4. تحيط بالمشروع الرّوسي قوى أطلسيّة ستكون عائقا في وجه قيام الإمبراطوريّة.

اعتبر "زبيغنيو بريجنسكي"*(Zbigniew Brezizinski) أنّ الصّراع السّياسيّ داخل روسيا يدور حول ما إذا ستكون دولة قومية وأوروبيّة أو أورو– آسيوية أو مرّة أخرى إمبراطوريّة[1]، في إشارة إلى أهميّة العالم الجيوبوليتيكي لدى صنّاع القرار لأنّ بلادهم قوّة عظمى (Super-Power)، وأنها "المحور الجغرافي للتاريخ"، ومادامت موجودة فستبقى محور القطاع الأوراسي في بُعده الكوني[2]، ولا يرتبط البعد الجيوبوليتيكي بالأرض والجغرافيا وحدها، بل تعدّاه للقوميّة والعرق منطلقا من الفكر "السّلافيوفيلي" الثّوري المتمركز حول خصوصيّة التّميّز التّاريخي لأبناء روسيا الكبرى، وهنا لا يجب النّظر بأن سكّان روسيا الكبرى مجرّد فرع من السلافيّين الشرقيّين، بل تكوينا إمبراطوريا خاصّا يلتقي فيه الأساسان "السّلافي" و"التّركي"[3].

لا يقتصر الجيوبوليتيك على الفكر فقط، بل تمّ العمل على تجسيد الأهداف الجيوبوليتيكيّة على أرض الواقع بالتّدخل عسكريّا في جورجيا سنة 2008، وأوكرانيا بضمّ شبه جزيرة القرم سنة 2014، ثمّ التأزم الإستراتيجي 2021 على مستوى الحدود الروسية الأوكرانية، وتهديد بوتين باجتياح الأخيرة إذا ما استمرت الدول الغربية في استفزاز بلاده، واستمرار حلف الناتو بضمّ دول تراها موسكو ضمن مداها الإستراتيجي وامتدادا لأمنها القومي، لذلك يلاحظ أن الجيش الروسي يصعّد اللهجة في هذا النطاق خلال مدة زمنية بين سبع (من 2008 حتّى 20014) وثماني سنوات (من 2014 إلى 2021)، لتكون سنة 2027 أو 2028، تاريخا متوقعا للتصعيد القادم، ثمّ الانطلاق نحو البحر الأبيض المتوسّط وتمرير أنابيب الغاز نحو أوروبا، دون إغفال طموح الإمبراطوريّة الأوراسيّة الجديدة، والّذي يبدأ بتحديد الهوية الجيوبوليتيكيّة لروسيا المعاصرة بشكل دقيق، من خلال ضبط التوجّهات الفكريّة والمجتمعيّة المختلفة في نموذج فكريّ وثقافيّ واجتماعيّ موحّد، وينتهي بتحديد مكان الاتّحاد الرّوسي المعاصر على الخارطة الجيوسياسيّة للعالم الّذي يرتبط بقلب الأرض، والهيكل التّاريخي للمجتمع. يقوم مشروع الإمبراطوريّة الرّوسية "الأوراسيّة" على المبادئ التالية[4]:

1– يجب ألّا تكون "دولة جهويّة" ولا "دولة– أمّة"، إنما دولة ترسي مبادئ الإمبراطوريّة الّتي تحتوي على كلّ التّناقضات الجيوبوليتيكيّة والإثنيّة والاجتماعيّة والثقافيّة في قالب واحد تحوّله لخدمة مصالحها.

---

* مستشار الأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس "جيمي كارتر" (1977–1981). أستاذ لمادة السياسة الخارجية الأمريكية بجامعة "جونز هوبكتر".

[1] دوغين، ***أسس..***،مرجع سابق، ص.128.

[2] R.C.Nation, Op.Cit, pp.2-3.

[3] دوغين، ***الخلاص ..***، ص.08.

[4] دوغين، ***أسس..***، مرجع سابق، ص.256.

2- يجب أن تقام هذه الإمبراطوريّة دفعة واحدة، إذ لا يمكن قيام إمبراطوريّة بانتظار توفّر الظّروف المواتية أو عبر التّطوّر الجهوي نحو الدّولة – الأمّة، حتّى يصل إلى شكله النّهائي ليس عن طريق التّطوّر الاجتماعي بل الجيوبوليتيكي.

3- أن تكون مواكبة للتّطوّرات الاقتصاديّة، وذات اقتصاد لا مركزي، ولها حدود بحرية، أو أحلاف صديقة مطلّة على المياه "الدّافئة" ثمّ تضفي الطّابع القانوني على الخصوصيّات الدينيّة والعرقيّة والمشاركة الشّعبيّة، ومعالجة الاختلالات الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

4- حلّ خلافاتها التّاريخيّة مع ألمانيا في الغرب، واليابان في الشّرق، فلا يمكن أن تقوم هذه الإمبراطوريّة إلّا بعد تأمين نفسها وانطلاقها في محيط آمن.

أمّا المفكّر "نيرازيجكوف" (Neoeurazijcov) اعتبر أن الرّوس هم سكّان قلب الأرض، ويجب اتّحاد الأمّة الأوراسيّة، فهي أمة طبيعيّة تنضج من خلالها فكرة الدّفاع وإنشاء الإمبراطوريّة، ولا يتّفق معه في ذلك المفكّر "ف.ل.سيمبورسكي" (Cymbursky) الذي قدّم مشروع "جزيرة روسيا" يرتكز على استغلال الأراضي الواسعة خاصّة في سيبيريا والشّرق الأقصى، وعليها التّخلّي عن الجهود لاستعادة الإمبراطوريّة و"مهمّتها العالميّة"، بل يجب التّركيز على حلّ مشاكلها الجيوبوليتيكيّة الدّاخليّة بالتّركيز على استغلال الأراضي جيّدا، ليؤدّي ذلك إلى تعزيز أمن الدّولة[1].

لا يراود حلم الإمبراطورية جميع المفكرين الرّوس، ولكن يتّفقون في ضرورة التوسّع والاستحواذ على الأراضي خاصّة الفارغة من أجل استغلالها، ويتّفقون أيضا في ضرورة السّيطرة على "أوراسيا" الّتي تضمن البقاء والرّخاء، بالإضافة إلى ذلك فإنّ الإطلال على البحار سيضمن المزيد من الديناميكيّة المهمّة إستراتيجيّا، والّتي شكّلت تحديا لصناع القرار والمفكّرين. وبذلك يتحقق هدف "جزيرة روسيا" بحيث إذا ما حدث وضُمّت هذه الأجزاء فعلا في شكل إمبراطوريّة أوراسيّة فسيكون البحر محيطا بها من جميع الجهات.

سيكون الصّراع الجيوبوليتيكي بين: القوى البريّة محورها روسيا والقوى البحريّة الأورو- أطلسية محورها الولايات المتحدة الأمريكية.لا تعتبر فكرة الأوراسيا استثناءً سواء بالنسبة للغربيين من أمثال "ماكيندر" الذي اعتبر أن السّيطرة على العالم خدمة للإستراتيجية الغربية ومحاصرة روسيا، أو بالنسبة للرّوس الّذين يسعون لإحياء أمجاد الإمبراطوريّة انطلاقا من أوراسيا، ومن جهة أخرى، يوجد العديد من

[1]Robert Istob, Dominaka Plawcanorka, **Russian Geopolitics and Geopolitics of Russia : Phenomenon of Space**, Europe, European Journal of Geopolitics, 1, 2013, (P P.61-94), (P P.76-77).

القوى الفاعلة في المنطقة الّتي تبني فكرها وسياستها الجيوبوليتيكيّة على الفكرة نفسها، على غرار تركيا الّتي ترى أن أوراسيا هي تلك المناطق التي تستوطنها الشعوب التركية بشكل أساسي (البلقان، آسيا الوسطى، مناطق الفولقا وأفغانستان)[1]. أما بالنسبة لكازاخستان فيرى مفكروها وصناع قرارها أن المنطقة "فريدة من نوعها يعيش فيها جميع الجماعات العرقية والثقافية والدينية وتتعايش بسلام"، وهي مفهوم مثير للجدل وليس هناك إجماع بين الكتّاب حول معانيه حسب رئيس كازاخستان "نور سلطان"*[1].

كما تمثّل أوراسيا أهمية في حسابات الولايات المتّحدة الأمريكيّة باعتبارها قلب الأرض الّتي تحتوي على عدوّين رئيسَين هما: روسيا والصّين، وأعداء ثانويّين: الهند والدّول الإسلاميّة، بالإضافة إلى الأهميّة الاقتصاديّة والطاقويّة للمنطقة، ومن جهة أخرى فإن التّواجد العسكري الأمريكي سيزيد من عزلة روسيا وتفرُّد الولايات المتّحدة الأمريكية بقيادة عالم جيوبوليتيكي مؤمَّن شرقا وغربا.

5- يقوم تصوّر الإمبراطوريّة الأوراسيّة الجديدة على شحن المعادلة الدينيّة الممتدّة عبر التّاريخ الرّوسي: الاعتماد على القيصريّة المقدّسة الصّافية من أجل ثورة أرثوذكسيّة محافظة تعود بالشّعب الرّوسي إلى النّظرة المسيحيّة الصّرفة الّتي ضاعت بسبب تأثيرات الغرب والعولمة.يسعىالمفكّرون في روسيا إلى استعادة "الإرث" التّاريخي الذي تستحقّه، ويظهر بالمقابل حجم التّحدّيات الّتي ستواجههم، فلا يمكن الاستمرار في التّوسع دون حروب قد تؤدي إلى حرب عالمية ثالثة، وسيولّد هذا التّوسّع موجة غضب دوليّة ستزيد من عزلة موسكو وتُكسبها أعداء كانوا حلفاء، وقد يؤدي هذا الطموح إلى "انفجار داخلي" يفكّكها بدل توسّعها.

حذّر "جورج كنان"*(George Kennan) من إغماض العين على روسيا"الجديدة"، واعتبر أنّها ستكون مصدر خطر على انفراد الولايات المتّحدة الأمريكيّة بزعامة العالم، ولن توقف القوة العسكرية وحدها الطّموح الرّوسي، ولكن يجب دمجها مع العديد من الأمور الأخرى، "من هنا كانت صلتنا بمستقبل روسيا جديرة بأن نُوليها أقصى طاقاتنا من التّفكير". ولكبح ذلك الطّموح لابدّ من القيام بأمرين هما[2]:

- توضيح هدف الولايات المتّحدة الأمريكيّة تجاه المنطقة وروسيا.

---

* نور سلطان أبيشولي نازاربابيف، ولد في 6 جويلية 1940، رئيس كازاخستان من 1990 إلى 2019.

[1]Golam Mostafa, "The concept of Eurassia : Kazakhstan's Eurassian Policy & its implications" ,***Journal of Eurassian Studies***, N04, (2013), PP(160-170), PP.160, 163.

*مختص في الشأن الروسي، سفير واشنطن في موسكو خلال خمسينيات القرن العشرين.سفير واشنطن لدى موسكو في خمسينيات القرن العشرين.

[2] كنان، ***مرجع سابق***، ص.161.

- وضع نهج لتسيير الأوضاع من أجل تحقيق الهدف المنشود.

وعلى عكس "دوغين"، يرى "كنان" ضرورة بناء روسيا جديدة على النمط الغربي الليبرالي الرأسمالي بمؤسسات شبيهة بتلك القائمة فيه، كما أنّ "بريجنسكي" اعتبر أن أوراسيا هي "الجائزة الجيوبوليتيكيّة لأمريكا، وبالتّالي فإنّ السّيطرة العالميّة تعتمد بشكل مباشر على أوراسيا "محور العالم جغرافيّا"، وتأتي هذه السّيطرة من الاعتماد الاقتصادي المتبادل، والدّبلوماسيّة وإقامة تحالفات، "كلّ هذه أصبحت عناصر رئيسة في الممارسة النّاجحة للقوّة الجيواستراتيجيّة على رقعة الشطرنج الأوراسيّة"[1]، هذه الرقعة لا تقوم على لاعبَين فقط لأنّهم أكثر في الحقيقة، رغم أنّها لا تظهر إلاّ روسيا والولايات المتحدة الأمريكيّة.

شكّل الجيوبوليتيك هاجسا لدى صناع القرار الرّوس، بسبب القصور الكبير الّذي تشهده بلادهم في الخروج إلى المياه الدّافئة، ما جعلها تعيش شبه عزلة على مستوى التّجارة الدّوليّة، لذلك تجد نفسها تعاني من "عقدة الجيوبوليتيك" تلاحق أيّ رئيس يحلّ على الكرملين، وستكون المعركة على أشُدّها خاصّة إذا أخلّت تركيا بالاتفاقيّات الموقّعة بخصوص حرّية الملاحة في مضيقي "البوسفور" و"الدّردنيل" على غرار اتفاقية "مونترو"**،ويمكن تلخيص الأهداف الجيوبوليتيكيّة الّتي تقوم عليها إستراتيجية روسيا في الآتي:

1. **إعادة تجميع الإمبراطرية:** نبّه "كنان" إلى الجهود الّتي تبذلها روسيا لإعادة رسم الحدود وأنّها قد تفرض وصاية وهيمنة على الدّول المجاورة، خاصة دول بحر البلطيق وأوكرانيا ذات الأهميّة الاقتصاديّة وتجميع الإمبراطوريّة القيصريّة أسمى هدف جيوبوليتيكي بالنّسبة لموسكو، ولن يكون ذلك إلّا من خلال السّيطرة على "أوراسيا" الّتي تضمن الانفتاح على المياه الدّافئة، وهذا ما اعتبره "دوغين" ضرورة حياتيّة ملحّة تكون عن طريق التوسع جنوبا. ويقول في ذلك: "عندما يصبح الخطّ الساحلي حدودا جنوبية وغربية لروسيا يمكن الحديث عن الاكتمال النهائي لبنيانها الإستراتيجي" ورأى أنه كما وحّد مبدأ مونرو القوى الأطلسية فإن التّكامل الأوراسي يمكنه أن يوحد روسيا وحلفاءها[2].

تزاوج موسكو بين القوّتين الصّلبة والنّاعمة لتحقيق هذا الهدف، لكن الاحتلال المباشر لم يعد مقبولا في النّظام العالمي الحالي، ولن يسمح الغرب بتحقيق ذلك، ما سيصعّب المهمّة على صنّاع القرار الرّوس ويجعلهم يميلون إلى التّعاون وبناء تحالفات تحقق هذا الهدف ولو بطريقة غير مباشرة، وتحقيق سلام قد

---

[1] زبيغنيو بريجنسكي، ***رقعة الشطرنج الكبرى: السيطرة الأمريكية وما يترتب عليها جيواستراتيجيا***، ط:2، تر: مركز الدراسات العسكرية، د ب ن، 1999، ص ص.32-37.

** وقعت سنة 1936 بسويسرا، تحدد حرية الملاحة في المضايق التركية.

[2] دوغين، أسس..، مرجع سابق، ص.217.

يكون أفضل من الحرب ويحقّق معادلة رابح– رابح، لكنّ "هيلاري كلينتون"* (Hillary Clinton) ترى أن الرّوس يريدون إحياء أمجاد الإمبراطوريّة القيصريّة، وقد سعوا لمواجهة الولايات المتّحدة الأمريكيّة والغرب للحدّ من نفوذها في أوروبا الشّرقية والوسطى، ومناطق يعتبرونها جزء من المجال الرّوسي، وأن الجيوبوليتيك لعبة صفريّة، إذا فاز أحد أطرافها لابدّ أن يكون الآخر خاسرا[1].

2. **إعادة التّعدّدية القطبيّة:** ترفض روسيا الهيمنة الأمريكيّة على العالم وتسعى إلى استعادة مكانتها المعتادة والمألوفة، فهي لم تكن يوما قوة ثانويّة، لذلك تعتمد على الجيوبوليتيك لتحقيق ذلك، باعتقادها أنّها "المحور الجغرافي للتاريخ"، وأنّ سيطرتها على قلب العالم ستكون أسهل، وهو أكثر من ضروري كونها تنتمي إليه، ولن تسمح لقوة أو قوى غريبة بمزاحمتها في مجالها الحيوي. ودليل ذلك مذكور في المبادئ التي جاء بها الرئيس السابق "ديميتري ميدفيديف" كون الهيمنة غير مقبولة، وأنّ لروسيا مصالح خارج إقليمها ستحافظ عليها بكلّ قوّة. وليس ذلك فقط، فقد ظهر الرّئيس "بوتين" عدّة مرّات بتصريحات تدلّ على نظرتهم للنّظام العالمي على أنه متعدد الأقطاب.

3. **مواجهة الغرب الأطلنطي:** ينظر المفكرون الرّوس إلى أنّ الحرب بين روسيا والغرب جيوبوليتيكيّة بامتياز، تجسّدها القوّة البرّية لروسيا ضدّ القوّة البحرية، تتصادم هاتان الكتلتان من أجل السّيطرة على العالم، من هنا تظهر أهمّية الصّراع الجيوبوليتيكي بين روسيا والغرب حتّى بالنسبة لصناع القرار في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، رغم إدراك الطرفين أنّ روسيا ليست بحجم ولا قوّة الأخيرة سواء اقتصاديّا أو عسكريّا، ومع ذلك، سعت موسكو إلى التّقدّم في آسيا الوسطى والقوقاز، فالبلقان ثمّ أوروبا الشّرقيّة وإسكندنافيا والبلطيق، ووصلت إلى حدّ التّوسّع في المساحة بمتوسّط سنوي قدره حوالي 100 ألف كم^2 سنويا حتى عام 1917[2]. وتأتي مواجهة الغرب في الرّفض القاطع لتوسيع منظّمة حلف النّاتو (NATO) خاصة في المناطق المحيطة بروسيا، وخلق الدّول الغربيّة للتّوتّرات في منطقة أوراسيا، ما يؤثّر سلبا في المصالح الرّوسيّة بالمنطقة[3].

---

* وزيرة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية سابقا، وزوجة الرئيس الأمريكي الأسبق "بيل كلينتون".

[1] هيلاري كلينتون، **خيارات صعبة**، تر: ميراي يونس، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2015، ص ص. 227–228.

[2] هنري كسينجر، ***النظام العالمي: أفكار حول طبيعة الأمم ومسار التاريخ***، تر: أشرف راضي، مصر: كنوز للنشر، 2015، ص.62.

[3] Europe Parliament, ***Russian's National Security Strategy and Military Doctrine and their implications on the EU***, Europe Union, 2017, P.09.

المطلب الثاني: البعد العسكري في الإستراتيجية الروسية

تعتمد إستراتيجيّة روسيا الاتّحاديّة على الجانب العسكري لما له من أهمّية جعلته يحتل أولوية. ويقوم هذا البعد على طبيعة إدراك التّهديدات، ومدى انخراط الجيش في تحقيق الأهداف وتماشيه مع باقي الأبعاد الأخرى، وتفاعله مع المتغيّرات الدّاخليّة والخارجيّة، في ظلّ ازدياد محاولات عزل روسيا على المستوى الدّولي، وتوسيع حلف النّاتو نحو الدّوائر الإستراتيجيّة للأمن الرّوسي. ومع ذلك يبقى هذا التّصوّر قائما دون كسب عداء للغرب واستفزازه. ونظرا لأهميّة هذا البعد فقد عمل الرئيس "بوتين" على إعادة بناء الجيش بتخصيص مبلغ 189 مليار دولار أمريكي لتقويته من سنة 2000 حتى 2015[1]، أي بمعدل 12,6 مليار دولار سنويا. يعتبر الجيش قيمة ثابتة في إستراتيجية روسيا وممتدا عبر التاريخ، ليس هذا وحسب، بل من أهم أبعادها فقد صرح ستالين بسخرية حول قوة دولة الفاتيكان: "كم فرقة عسكرية يملك البابا؟"[2] في إشارة إلى النظرة التي يمتلكها حول القوة المحصورة في القوة العسكرية ـ حسبه ـ، رغم وجود عدة أوجه للقوة.

أولا: مدركات التهديدات والأخطار العسكرية التي تواجه روسيا

لا يمكن وضع إستراتيجيّة دون وجود عقيدة عسكرية توضّح من خلالها روسيا صورة التّهديدات الّتي تواجهها، فالنّظام الدّولي المعقّد، والتّفاعل بين مختلف الأقاليم الدّاخلية، والتّنافس الاقتصادي، تؤدي إلى الشكّ على الصّعيدين الإقليمي والعالمي، كما أنّ كثرة الصراعات الإقليمية خاصة المتاخمة لروسيا لها تأثيرها في البعد العسكري، من هنا يمكن تقسيم التّهديدات إلى خارجيّة وداخليّة.

1. **التهديدات الخارجية:** تنظر روسيا الاتّحادية إلى زيادة القدرات العسكرية للدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي (NATO)، وزيادة عددها، خاصة على الحدود الروسية، كعامل زعزعة للاستقرار الداخلي وتقويض للاستقرار العالمي والإقليمي، إضافة إلى الانتشار العسكري في المناطق والمياه المجاورة[3]، يظهر حلف الناتو على أنّه أوّل تهديد عسكري، خاصّة بتوسيع عضويته وضمّ دول شرق أوروبا على الحدود الروسية، وبذلك تزيد فرصة محاصرتها. يضاف إلى ذلك انتشار قوّات غربيّة (أمريكيّة خاصّة) في بحر الصّين، ودول جنوب شرق آسيا، ناهيك عن الأسلحة الإستراتيجيّة وانتشار أسلحة

[1] بهلول، إستراتيجية روسيا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010، مرجع سابق، ص.380.

[2] جوزيف ناي، ***القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية***، تر: محمد توفيق البحيرين، (الإمارات: دار العبيكان، 2007)، ص. 30.

[3] Russian Federation, ***Military Doctrine of the Russian Federation***, 2014, PP.2-3.

الدّمار الشّامل والدّقيقة، إنشاء ونشر أنظمة الدّفاع الصّاروخي الإستراتيجيّة في انتهاك جليّ للمعاهدات الدّولية المبرمة في مجال حظر والحدّ من التّسلح.

أخذت موسكو في الحسبان تصاعد تهديد التّطرف العالمي وانتشار الجماعات الإرهابيّة، وإمكانيّة وصول أسلحة إستراتيجيّة لهذه الجماعات في ظلّ غياب تعاون دوليّ فعّال ضدّها، وانتشار الجريمة المنظّمة العابرة للحدود خاصة المخدّرات وتجارة السّلاح. إضافة إلى انتشار بؤر التّوتّر العرقيّ والدينيّ على حدود روسيا واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات في الأغراض العسكريّة والسّياسية، بهدف خلق الفوضى ضمن دول الجوار[1].

كل هذه التّصورات تعتبر تهديدات للأمن القومي الرّوسي على الصّعيد الخارجي، والملاحظ أن كل هذه التّهديدات تشير ضمنيّا إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحلفائها، وتركّز روسيا على التّهديدات العسكريّة المحضة رغم الإشارة إلى بعض التّهديدات الأخرى، واعتمادا على طبيعتها طوّرت موسكو قدراتها للدّفاع عن إقليمها، خاصّة القوّات الجوية والدّفاع الجوي عن الإقليم، وتضع دائما احتمال الحرب ضد الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحلف النّاتو في الحسبان، لذلك بنى الإستراتيجيّون والعسكريّون والمنظّرون الأفكار والعقيدة العسكريّة على أساس ذلك، بالتركيز على الخبرة المستقاة من دراسات الحرب منذ 1991، ومنه تسعى للحد من قدرة الخصم على القيام بضربات جوّية أو فضائيّة على أرضها[2].

يمثّل أبسط تحديد للتهديدات الخارجية للأمن القومي الرّوسي في كلّ ما يهدّد حياة المواطنين أو أهداف الدولة المسطّرة، أو سلامة حدودها، أو مجالها الحيوي سواء كانت عسكريّة أو غير عسكريّة ماديّة أو معنويّة، منظورة أو غير منظورة، آنيّة أو مستقبليّة.

2. التّهديدات الدّاخليّة: تتمثّل في الأنشطة الّتي تهدف إلى تغيير عنيف للنّظام الدّستوري في روسيا وضرب الاستقرار السّياسي والاجتماعي، وكل ما من شأنه المساس بسلامة الدّولة ومؤسّساتها، بما في ذلك النّشاط الإرهابي، وكلّ نشاط يهدف إلى زعزعة النّظام المجتمعي والقيمي للدّولة، وإثارة التّوتّرات العرقيّة والدينيّة[3].

بعد الاطّلاع على مدركات التّهديدات لدى صنّاع القرار في روسيا وطبيعة السّلاح لدى الجيش، يبدو أن نوعية التّسلح موجهة نحو التّهديدات الخارجيّة أكثر من الدّاخلية، وذلك شيء طبيعي بالنّظر إلى الدّور

[1]Ibid.

[2]Russia Federation, ***Russian Military Power,*** Defense Intelligence Agency, 2017, P.32.

[3]Russian Federation, ***Military Doctrine of the Russian Federation***, Op.Cit, P.03.

الّذي يضطلع به، والنّابع من بناء تصوّر تهديد من طرف دول أكثر من التّهديدات الأخرى دون تغييبها، تتخوّف روسيا من تفاقم الوضع العسكري (العلاقات بين الدّول)، ممّا يؤدّي إلى ارتفاع احتمال وقوع الحروب، ومن جهة أخرى تتخوّف من أي اختراق يعطّل عمل أنظمة الحماية العسكريّة (كالنّظام الصّاروخي) والطّاقة الذّريّة، وكلّ المواد والأسلحة الخطيرة، وإنشاء جماعات مسلّحة غير مشروعة وتدريبها على الأراضي الرّوسيّة أو أراضي حلفائها التي تُستخدم ضدّها[1].

تعتمد وزارة الدّفاع الرّوسيّة بشكل كبير على جهاز الاستخبارات والأمن الّذي يعمل تحت غطاء دبلوماسي أو صحفي أو اقتصادي أو منظّمات غير حكوميّة، من أجل جمع المعلومات اللّازمة الّتي تشكّل صورة واضحة لكلّ ما يهدّد الأمن القومي، يتفاعل كلّ من جهاز المخابرات الخارجيّة الرّوسيّة "Russian Foreign Intelligence Service"، وجهاز الأمن الفيدرالي "Federal Security Service" ومديريّة المخابرات العامة "Federation Ditectorate of General Staff Armed Forces of the Russian" من أجل التّجسّس بسبب التّوتّرات المتزايدة مع الغرب ضدّ الاتّحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي، على غرار توظيف المواطنين اللّيتوانيّين للحصول على المعلومات، وليست ليتوانيا وحدها بل حتى أوكرانيا وبيلاروسيا وجورجيا وأعضاء حلف الناتو[2].

ثانيا: التصور الروسي للأمن العسكري: أدرك الكرملين أنّ عصر الحروب العالميّة الواسعة قد انتهى بعد الحرب الباردة وأنّ الجيش الرّوسي سيكون ملزما بخوض حروب إقليميّة في منطقة الاتّحاد السّوفياتي سابقا، فحافظ على الاستعداد لهذا النّوع من الحروب بجيش قائم على التّعبئة الجماهيريّة، عند تغيير الحكومة في أوكرانيا في فبراير 2014، نشرت روسيا 25000 جندي في شبه جزيرة القرم، ثمّ عزّزتهم في مارس من السنة نفسها ليصلوا إلى 150 ألف، تأتي هذه القدرات بعد الإصلاح الّذي قاده "بوتين" في مؤسّسة الجيش، فأصبح الفيلق يضمّ من 50000 إلى 65000 جندي مجهّزين بأحدث التّقنيات والأسلحة[3]، لم يكتف صنّاع القرار بتصوّر الأمن العسكري فحسب، إنّما أقاموا إستراتيجيّة على مدى 5 إلى 10 سنوات، بدليل وثيقة "إستراتيجيّة الأمن القومي للاتّحاد الرّوسي" إلى غاية 2020 (National Security of the Russian Federation to 2020)، الصّادرة سنة 2015،ومن كلّ ما سبق فإنّ الأمن العسكري يرتكز على النّقاط التّالية:

---

[1] Ibid.

[2] Republic of Lithuania, ***State Security Departement of the Republic of Lithuania, National Security Threat Assessment,*** 2016, PP.23-24.

[3] Hiski Haukkala & Nicu Popesco, ***Russian Future Horizon 2025,*** France, EU Institute for Security Studies, Report N26, March 2016, P.32.

- تطوير وتحسين التّنظيم العسكري، والإمكانات الدّفاعية، وتخصيص موارد ماليّة كافية لضمان ذلك.
- بناء مؤسّسة عسكريّة قائمة على التّكنولوجيا، وتطوير البنية التحتيّة، واتّخاذ كافّة التّدابير اللّازمة من أجل رفع هيبة الخدمة العسكريّة[1].
- تحديد المخاطر والتّهديدات العسكريّة، وتجهيز القوّات المسلّحة، وتشجيع الابتكار وتطوير "مجمّع الصّناعات العسكريّة"[2].

تعتمد روسيا على العامل العسكري باعتباره محدّدا وبُعدا رئيسا في إستراتيجيّتها الّتي تحاول من خلالها الحفاظ على أمنها القومي، بالتّسويق لنفسها على أنها دائما مستهدَفة في مجالها الحيوي، وحتّى من الدّاخل، لذلك تظهر في شكل دفاعي أكثر منه هجومي، لكن الواقع يؤكّد غير ذلك، فتدخّلها في جورجيا أوكرانيا، سوريا وليبيا لا يعكس هذه الصّورة، ويبيّن أنّ العقيدة العسكريّة المبنيّة على التّوسّع خارج الحدود لا زالت مسيطرة على التّفكير الإستراتيجي في روسيا.

ثالثا: العقيدة العسكرية لروسيا الاتحادية: حسب وثيقة "العقيدة العسكرية للاتّحاد الرّوسي" لسنة 2014 فإنّ العقيدة العسكريّة هي: "نظام للنّظرة الرّسمية للدّولة وتوجّهها لإعداد الدّفاع المسلّح والحماية المسلّحة لروسيا الاتّحاديّة"[3]، أي أنّ كلّ ما يراه المسؤولون تهديدا للأمن القومي، أو من شأنه أن يكون كذلك في المستقبل، يدخل ضمن الإعدادات لمواجهته حسب الرّأي الرّسمي، ممّا يستدعي مواجهته.

تبنى العقيدة العسكريّة على تحليل التّهديدات العسكريّة الّتي تمسّ مصالح روسيا وحلفاءها، بتوفير الدّعم الاقتصادي والعسكري للدّفاع عن الدّولة، كما تستمدّ هذه العقيدة أسسها القانونية من الدّستور والمعاهدات الدّولية المصادق عليها في مجالات الدّفاع ومراقبة التّسلّح[4]، من هنا يظهر التّرابط بين العقيدة العسكريّة وقطاعات حياتيّة أخرى، فلا يمكن وضع إستراتيجيّة دون معرفة التّهديد ومصادره، ومدى ملاءَمة سبل المواجهة مع الأطر القانونيّة في إطار الدّولة والقانون الدّولي، تعكس هذه العقيدة التزاما تجاه المواطنين والحلفاء وستبذل ما يلزم وتنتهج السّبل السّلمية الدّبلوماسيّة والقانونيّة والاقتصاديّة والمعلوماتيّة ولن يكون العمل العسكريّ إلّا بعد استنفاذ كلّ ذلك[5]، تستخدم روسيا كلّ الطّرق لتظهر بأنّها ميّالة للسّلام ولا تسعى إلى استثارة أيّ طرف أو دولة، سواء من خلال إظهار تمسّكها بالقانون الدّولي أو مكانة المواطنين في السّياسة الرّوسيّة.

[1] Russian Federation, ***National Security Strategy of the Russian Federation to 2020***, Decree of the President, N537, May 12, 2009, PP.8-9.
[2] Russian Federation**, *Russian National Security Strategy***, Presidential Edict, N683, December 31, 2015, PP.7-8.
[3] Russian Federation, ***Military Doctrine of the Russian Federation***, Op.Cit, P.01.
[4] Ibid.
[5] Ibid.

المطلب الثالث: البعد الاقتصادي لإستراتيجيّة روسيا

لا يقلّ البعد الاقتصادي أهميّة عن البعدين الجيوليتيكي والعسكري، فالاقتصاد عصب حياة الدّول وكلّما تنوّعت المواد الاقتصاديّة زاد الرّخاء والانتعاش الاقتصادي، لذلك يهدف صنّاع القرار إلى بلوغ أعلى معدّلات نموّ ما سينعكس على التّنمية، لكنّ الصّراع داخل روسيا ظلّ قائما حول اتّباع المنهج الاقتصادي الّذي تعتمده دول أوروبّا، أم بناء نظام خاص كون روسيا ليست دولة أوروبيّة.

قام اقتصاد الإمبراطوريّة القيصريّة بصورة كبيرة على الزّراعة، لكنّها كانت بدائيّة رغم شساعة المساحات الصّالحة لذلك، ولعب انتشار المسلمين دورا كبيرا في نهضة الصّناعة ومدّها بالمواد الأوّليّة وأخذت تنتقل من مجال لآخر فانتشرت أساطيل صيد السمك، السّكك الحديديّة والصّناعات الغذائيّة والكحول، وانتشرت في القرن التّاسع عشر مناجم الفحم الحجري والحديد والنّحاس والذّهب[1].

لم تكن الإمبراطوريّة متقدمّة بصورة كبيرة تجعلها تزاحم القوى الأوروبيّة صناعيّا وتقنيّا، ومع ذلك كان التّطوّر الصّناعي خلال القرن الثّامن عشر والتّاسع عشر الّذي شهدته بروسيا واليابان أعداء الإمبراطوريّة يلزمها بمواكبة هذا التّطوّر بدافع الخوف من التّفوّق عليها، وأخذت الزّراعة تتطوّر تدريجيّا، فاتّسعت المساحات الزّراعيّة وارتفعت مقارنة بأراضي الملّاك العقاريّين الّذين انخفضت مساحة أراضيهم إلى النّصف[2]، إلّا أنّ الملاحظ في تلك الفترة هو التّفاوت الطّبقي بين الملّاك والفلّاحين، ما أثّر على الحياة الاقتصاديّة بصورة كبيرة، وانعكس على المجالات الأخرى، لكنّ مستوى الزراعة في إمبراطوريّة روسيا بقي منخفضا مقارنة بالولايات المتّحدة أو الدّول الأوروبيّة.

ضربت المجاعات روسيا دوريّا (كلّ خمس سنوات تقريبا)، بالمقابل لم يظهر دور كبير للدّولة في تطوير الفلاحة، بل أدّت الدّكتاتوريّة الممارسة على الفلاحين إلى انتفاضات في عدة مرات ترجمت في حرق المحاصيل وإتلاف الغابات[3].

تطوّرت الصناعة منذ عهد "ألكسندر الثّالث"، واشتدّت في عهد "نيقولا الثّاني" قامت على توفّر مادة الفحم، وازداد شحن البضائع وإنتاج الحديد إلى 3 مليون طن بين 1881-1904 وارتفع إنتاج الفحم من 3 مليون طن إلى 18 طن سنويّا وامتلكت 40000 ميلا من الخطوط الحديديّة ساهمت في دفع عجلة

---

[1] زيدان، مرجع سابق، ص، ص 21-22.

[2] إيناس سعدي عبد الله، ***روسيا 1894 -1905***، (العراق: أشربانيال للكتاب، 2015)، ص ص .10،30.

[3] المرجع نفسه، ص ص . 28-30.

التّنمية[1]، ساهمت هذه المواد في الازدهار التّدريجي للصّناعة، وقد عملت الإمبراطوريّة على إقامة مراكز صناعيّة سواء في المدن الكبرى بغرض دفع الصّناعة أو في مناطق أين تتجمّع المواد الأوّلية واليد العاملة الرّخيصة، على غرار مدينة "طاشقند" و"سان بطرسبرغ"، و"كاراغندا"[2].

أدّت هذه الاختلالات في التّنمية إلى اشتداد الطّبقيّة وازدياد ظروف الطّبقة العاملة صعوبة واتّساع الهوة بين الأغنياء والفقراء الّذين أصبحوا يمثّلون في تلك الفترة أغلبيّة ساحقة، ما ولّد ضغطا أدّى إلى ثورة " البروليتاريّين" ضدّ الإمبراطور أو ما يعرف بثورة البلاشفة.

دخل البعد الاقتصادي مرحلة جديدة تقوم على بناء ينطلق من القاعدة أي العمّال، إذ يجب أن يقوم الجهاز الذي ينظّم الإنتاج على النّقابات العمّالية الّتي تدير الصّناعة، ومجمل الحياة الاقتصاديّة والإدارة وحثّ العمّال على المشاركة المباشرة في شؤون الدّولة الاقتصاديّة[3]، وعانى النّظام الاقتصادي في بداياته بعد الثّورة من عدّة نقائص وصعوبات، كما أصيب الاتّحاد السّوفياتي في بدايته بـ"فوضى النّظام ونظام الفوضى" أخرجت بعد مدّة نظاما فريدا أصبح منافسا للرّأسماليّة الغربيّة.

بدأت الأمور تبدو أكثر وضوحا، بعد ما تمّ وضع تعريف رسمي لنظام الإدارة بأنه: "لكلّ مصنع قائد –مدير– ممنوح سلطة اتّخاذ القرار الكاملة، وبالتّالي مسؤول بالكامل عن كلّ شيء" والأكثر من ذلك تم التّسويق للقانون الاقتصادي السّوفياتي على أنّه يقوم على الهرميّة: "إدارة الرّجل الواحد أهم مبادئ تنظيم الاقتصاد الاشتراكي"[4]. لكن "تروتسكي" خالف هذا التّوجه ووضّح أن التّحوّل من الرّأسماليّة إلى الاشتراكيّة سيكون له عواقبه ، فهناك فئة نافذة لن تضحّي بامتيازاتها وستفضّل استعادة الرأسماليّة[5]، ما أدّى إلى اضطراب اقتصادي كبير، وأعتبر أن الهزّات المتتالية الّتي أصابت الاقتصاد السوفياتي، لم تكن بسبب الثّورة بحدّ ذاتها، بل بسبب التراكمات الّتي مسّت قواعد المجتمع خلال الفترة الملكيّة ووصفها بـ"ضعف التّفسير الاقتصادي العام الخاطئ للتّاريخ"[6] أي أنّ الّذين يعتقدون بأنّ العثرات المتتاليّة للاقتصاد السّوفياتي سببها الثّورة مخطئون في فهم وتفسير التّاريخ خاصة الاقتصادي منه، ما يظهر تشبع "تروتسكي" بالأفكار الماركسية في فهمه للأحداث التّاريخية.

---

[1] المرجع نفسه، ص ص .32-33.

[2] محمود شاكر، التاريخ المعاصر للمسلمين في الإمبراطورية الروسية، (سوريا، لبنان، الأردن: المكتب الإسلامي، 1994) ص .273.

[3] توني كليف، ***رأسمالية الدولة في روسيا***، تر: عمر الشافعي، (مصر: مركز الدراسات الاشتراكية، 1998)، ص ص .6-7.

[4] المكان نفسه.

[5] طارق علي، فل إيفانز، ***تروتسكي والماركسية***، تر: جمال الجزيري، (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 2003) ص .09.

[6] تروتسكي، ***تاريخ الثورة الروسية***، ج2، مرجع سابق، ص .05.

يظهر الاتّحاد السّوفياتي كقوة لها وزن في العلاقات الدّولية وقادر على مواجهة أعتى الدّول، إلّا أنّه يعاني في موازاة ذلك على المستوى الدّاخلي من عدّة أزمات اقتصادية أثّرت على الحياة العامة، فقد اعترف "غورباتشوف" أنّه: "منذ أوائل السّبعينيّات أصبحت الصّعوبات ملموسة أكثر في مجال التّنمية الاقتصادية"، وأضاف: "في السّنوات الأخيرة لبريجنيف ..... شاهدنا تعمّق الهوة بين الكلام والأفعال وتزايد الآليّات السلبيّة في الاقتصاد الّتي ولّدت وضعيّة تنذر حقيقة بالأزمة"[1].

استطاع الاتّحاد السّوفياتي التّفوّق في بعض الصّناعات خاصّة الثّقيلة والصّناعات الفضائيّة والعسكريّة والتّوازن الإستراتيجي مع الولايات المتّحدة الأمريكية وكسب مزيد من الحلفاء وتصدير النّمط الشيوعي الاشتراكي، لكنّ الإنتاج الفعلي لا يبدو صالحا لدرجة أنّ وكالة الاستخبارات الأمريكيّة (CIA) قدّمت تقارير أنّ الاقتصاد السّوفياتي لم يعرف أي نموّ من سنة 1980 حتّى سنة 1985 وبلغ نمو الدّخل القومي سنة 1987 2.3% مقابل 4.1% سنة 1986،بل أكثر من ذلك فالتّذبذب طال ثلاثيّات السّنة الواحدة فتجاوز 5% خلال الفصل الأوّل من سنة 1989 مقابل 0 خلال الفصل الثّالث من نفس السّنة[2] لذلك وجب الدّخول مباشرة في إصلاحات اقتصاديّة تستوعب هذه الاختلالات التي ستؤثّر على وحدة الاتّحاد السّوفياتي.

أدرك "غورباتشوف" في أواخر الثّمانينيّات أنّ المسائل الإستراتيجيّة الّتي تعتمد عليها بلاده كسباق التّسلّح لم تعد تؤت أكلها خاصّة مع تدهور الوضع الاقتصادي، ويجب إجراء إصلاحات جديدة من النّاحية الاقتصاديّة، هذا التّحوّل لا يخلو من المخاطر بتقدير الخبراء في تلك الفترة أنّ الموارد المنقولة من التّسلّح إلى الإنتاج والخدمات يصعب ظهور أثرها قبل فترة تتراوح بين 5 و10 سنوات[3]، وفي المقابل لا يمكن الاستغناء عن الصّناعة العسكريّة التي أنتجت بين سنتي 1985-1988 من الآليات والأسلحة أكثر من إنتاج فرنسا وألمانيا مجتمعتين (700 طائرة مقاتلة، غواصة نووية كل 37 يوما، 3400 دبّابة t-80 خلال سنة)، كما أنّ المساعدات التي يقدّمها الاتّحاد السّوفياتي لدول مثل أفغانستان لا تعكس تماما حجم المعاناة من النّاحية الاقتصاديّة على المستوى الدّاخلي (قرابة 300 مليون دولار شهريا) قدّم للحكومة الأفغانيّة خلال النّصف الأوّل لسنة 1989 حوالي 1800 مليون دولار أمريكي[4]، إذ كان من

---

[1] ميشال هيلر، ***السكرتير السابع والأخير غرباتشوف من العظمة إلي البؤس نشوء وانهيار الإمبراطورية الشيوعية***، ط2، تر: نظير جاهل، حسين الصيقة، (لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،1992)، ص.70.

[2] المرجع نفسه، ص ص.75-76.

[3] هيكل، مرجع سابق، ص 14.

[4] هيلر، مرجع سابق ص 339.

الأفضل احتواء التّصدّعات الدّاخلية قبل التّوجّه للمسائل الدّولية، وتحقيق التّوازن الاقتصادي حتّى يطال الأرياف قدر من التّنمية الّتي طالت المدن وضرورة "إعادة بناء تطال العلاقات الاقتصاديّة في الأرياف"[1] فأخذ غورباتشوف على عاتقه الإصلاحات "البريسترويكا" الّتي اعتبرها ضرورة ملحّة نشأت عن التّطوّرات العميقة في المجتمع الاشتراكي، وأيّ تأخّر فيها سيزيد من تفاقم الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة بسبب اتّساع الفجوة في كفاءة وجودة الإنتاج، والتّكنولوجيا المتقدّمة واستخدامها[2]، يبدو هذا الدّفاع منطقيّا، فكلّ المؤشّرات كانت تدلّ على وجود خلل ما ووجب الإسراع في إصلاحات وهذا أدّى بغورباتشوف إلى تحمّل سقوط وتفكّك الاتّحاد السّوفياتي بنسبة كبيرة لوحده. ويمكن تلخيص الاختلالات الّتي واجهت الاتّحاد السّوفياتي وأثّرت على استقراره، وعجّلت في تفكّكه فيما يلي:

- قام الاقتصاد السّوفياتي على المخطّطات الخماسيّة (5 سنوات) ما يسمح باكتشاف الأخطاء وتداركها نظرا لقصر فترتها الزّمنية، واعتمد بالمقابل على الصّناعات الثّقيلة الّتي تتطلّب استثمارات كبيرة وطويلة لا يمكن أن تتماشى مع خمس سنوات.

- قوّة الاتّحاد السّوفياتي على مستوى العلاقات الدّولية خاصة الإستراتيجيّة والأيديولوجيّة منها انعكست على المستوى الاقتصادي وأدّت إلى انخفاض المستوى المعيشي للأفراد بسبب ارتفاع ميزانية الدّفاع والإعانات المقدّمة لدعم الاشتراكيّة والشّيوعيّة، وأثّرت سلبا على التّماسك المجتمعي والوضع الاجتماعي، ما أدى إلى انتفاضات شعبية عجّلت بالانهيار أخيرا.

- عرف الاتّحاد السّوفياتي تركيزا للسّلطة خاصّة في الأمانة العامة للحزب، لكن مات بين عامي 1982-1985 ثلاثة أمناء عامون (بريجنيف، أندروبوف، تشيرنينكو) وهذا أحدث قطيعة وفراغا لم يكن محسوبا، لذلك كانت هناك تحوّلات أثّرت على بنية الاتّحاد في حدّ ذاته.

استمرّ الوضع الاقتصادي في التّدهور بعد الانهيار حيث لم يحقّق العلاج بالصّدمة الأهداف المرجوة منه، ما يدلّ على غياب النّظرة المستقبليّة وغياب خطة بديلة، فلا يمكن اعتبار هذا العلاج إستراتيجية بل يمكن وصفها بالخطوة الجريئة غير المدروسة، فلا تستطيع أيّ دولة تحمّل تحوّلين كبيرين من قبيل البريسترويكا والعلاج بالصدمة في فترة وجيزة جدا (07 سنوات) بين 1985 و1992.

كتب "يلتسن" في ديسمبر 1992: "اطّلعت على البيانات الإحصائيّة الاقتصاديّة للأشهر التّسعة الأولى، وكانت مفزعة" ويضيف: "..... اتّضح مع نهاية الصّيف أنّ الاقتصاد قد أخذ بالانهيار ..... وقد

---

[1] المرجع نفسه، ص 70.

[2] مخائيل غورباتشوف، **البيروسترويكا، تفكير جديد لبلادنا والعالم**، تر: حمدي عبد الجواد، ط4، (لبنان: دار الشروق، 1990) ص ص .15. 13.

بدأت شرائح كاملة من السّكّان تنزلق إلى خطوط الفقر"[1]. وكانت لها تداعيات خطيرة، فقد ارتفعت الأسعار بنسبة 2600% وتزايد التّضخّم من 5 إلي7% أسبوعيّا وانخفض النّاتج المحلي الإجمالي بنسبة 20% والإنتاج الصّناعي ب 18%[2]، كل ذلك في أقل من سنة ما مهّد لإمكانية تفكك جديد لروسيا الاتحادية خاصّة في الحرب الشيشانية سنة 1994.

ورث "بوتين" ميراثا صعبا على جميع الأصعدة ، فالخضخضة أفضت إلى إثراء فئة قليلة من المجتمع وكان يجب عليه رفع مستوى معيشة أغلبيّة الشعب وإعادة الرّوح للمؤسّسات الاقتصاديّة ما أدّى به، إلى تسريع وتيرة الدّخول للمنظّمة العالميّة للتّجارة، ساعده في ذلك ارتفاع أسعار النّفط، عندما بلغ النّمو الاقتصادي سنة 2000 حوالي 8.3%، وفائضا في الميزان التّجاري، ومثّلت أوّل حصيلة عام من حكمه الأفضل على مدى 25 سنة، ثمّ دخلت روسيا لمجموعة السّبعة[3] (الدول الصناعية الكبرى) (G7)التي أصبحت(G8)، وحقّق الاقتصاد قفزة كبيرة من سنة لأخرى.

أفاد المصرف المركزي الرّوسي أنّ حجم الاستثمارات المباشرة ارتفعت بنسبة 9.2% سنة 2008 مقارنة بسنة 2007 (خلال الرّبع الأول من السنة)، في حين ارتفعت قيمة الاستثمارات المباشرة إلى20191 مليار دولار مقابل 18484 خلال نفس الفترة[4]. بالرّغم من التّطور في الاقتصاد الرّوسي إلّا أنّه لم يستطع خلال العهدة الأولى من حكم "بوتين" وضع إستراتيجيّة متماسكة لتحديث هذا الاقتصاد والتّغلّب على التّبعية لتصدير المواد الخام الّتي واصلت الارتفاع في الأسعار ما وفّر الإمكانيات الماديّة لدعم قطاعات أخرى وبنى تحتيّة، وتكوين العلوم والرّعاية الصّحّية والمجال الاجتماعي، لكن ذلك لم يحدث[5]، وأعطت النّظرة العامة انطباعا بأنّ روسيا بدأت تتعافى تدريجيّا وتتخلّص من أزماتها المتتالية والمتوارثة منذ قيام الدّولة وحتّى قبل ذلك.

كانت الألفيّة الجديدة بمثابة بداية لروسيا جديدة مع رئيس جديد فقد تحولت إلى ثامن أقوى اقتصاد عالمي، انخفضت الدّيون الخارجيّة ب 70%، وارتفع الدّخل القومي من 200 مليار دولار سنة 1999 إلى 920 مليار عام 2006، واحتلت المركز الثّالث من حيث احتياطات العملات الأجنبية الصعبة بـ

---

[1] غورباتشوف، ***روسيا*** ..، مرجع سابق، ص .72.

[2] المكان نفسه.

[3] زيدان، مرجع سابق، ص .191.

[4] الأمارة، مرجع سابق، ص 149.

[5] غورباتشوف، ***روسيا***..، مرجع سابق ص .214.

404 مليار دولار أمريكي سنة 2007[1] ثم 426 مليار دولار سنة 2009[2]، إضافة إلى تسديد ما يفوق 60% من الدّيون الدّاخلية (في حدود 50 مليار دولار إجمالي الديون الخارجية سنة 2010)[3].

تعتمد روسيا على قطاعين مهمّين في تحريك وتطوير باقي القطاعات، فقد أدّت ارتفاع أسعار النّفط إلى توفير مزيد من السّيولة والانتعاش الاقتصادي، وتملك روسيا إمكانيّات طاقويّة كبيرة، قدّرت بحوالي 47.8 ترليون متر مكعّب من الغاز و80 مليار برميل من النفط الخام كاحتياطي حسب تقديرات 2018، وتأتي روسيا في المرتبة الثّامنة عالميا من حيث الاحتياطي[4] حسب تقرير لوكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA)، وأكبر منتج للبترول حوالي 10.53 مليون برميل يوميّا حسب إحصائيّات 2018 الصّادرة عن منظّمة الدّول المصدرة للنفط (OPEC)[5]، وعمل "بوتين" على إعادة الدّيناميكيّة للاقتصاد الرّوسي مستغلّا هذه المؤهّلات الطّبيعية.

أمّا القطاع الثّاني الّذي يقوم عليه الاقتصاد الرّوسي فهو القطاع العسكري ، أو بالأحرى صناعة السّلاح، فالهند والصّين أكبر مستوردين للأسلحة، بحوالي 20%من صادرات الأسلحة على مستوى العالم الثالث ، تتوزع بـ 62% في آسيا ،15في العالم العربي ، 9 إفريقيا، 2 %لأمريكا اللاتينية[6]، لذلك يبقى من مصلحة روسيا بقاء الأوضاع متوتّرة خاصة في آسيا والعالم العربي لضمان تصدير مستمرّ للسّلاح وتطويره من جهة أخرى فأفضل وسيلة لاكتشاف نقاط ضعف السلاح وتحسينه هي الحرب الحقيقية ومن جهة ثالثة فإن نجاحه السلاح الروسي ونجاحه في أي حرب يعتبر إشهارا مجانيا يضمن التسويق.

تصدّر روسيا أسلحة لحوالي 80 دولة، بقيمة تراوحت بين 7 و9 مليار دولار بين 2008 –2009 لكنّها ارتفعت سنة 2015 لتصل إلى 15 مليار دولار[7].وحسب تقرير صادر من معهد ستوكهولم العالمي للسّلام (SIPRI) فقد ارتفعت نسبة المبيعات بـ 6.3 %سنة 2015 وارتفعت النسبة الإجمالية للتصدير في العالم إلي 23 % خلال 2017 بعد أن كانت 22 % في 2013 [8]

---

[1] زيدان، مرجع سابق، ص ص .191–192.

[2] الأمارة، مرجع سابق، ص .151.

[3] تامر هاشم، ***السياسة الدولية والإستراتيجية***، (مصر: المكتب العربي للمعارف ،2013) ص ص .120–121.

[4] UNITED STETES OF AMERICA ***"، THE WORLD FACT BOOK*** ، "CIA LIBERTY ، ON .WEB SIT :http ://WWW.CIA.GOV/LIBRARY/ PUBLICATION / THE WORLD –yearBOOK /GEOS /RS. HTML(20/02/2020)

[5] الموقع الرسمي للأوبك
http :// SSB .OPEC.ORG /NDEX.PHP/COMPONET /SEARCH !؟ SEACHWOELD_RVSSIA ,(20/02/ 2020)

[6] معتمد، مرجع سابق، ص ص .67. 70.

[7] المرجع نفسه، ص ص .70–71.

[8] Stockholm international peace research institute ،***sipri year book ،2018 armement and disanmement and international seanity*** ،http ://www sipri-org /year book 05/26/07/2018, (02, 04, 2020)

الملاحظ من الإحصائيّات المقدّمة أنّ روسيا استطاعت فرض منطقها في تجارة الأسلحة بعد تدخّلها العسكري في سوريا، فبعد أن أوشك نظام بشار الأسد على السّقوط واستنجاده بروسيا أستطاع تغيير معادلة الحرب وموازين القوى فيها ضدّ التّحالف الدّولي الّذي تقوده الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ما أكسب السّلاح الرّوسي مزيدا من الثّقة، ودليل ذلك صفقات السّلاح مع مصر والجزائر فكلّ الارتفاعات في النّسب المذكورة سابقا لم تأت إلي بعد سنة 2015 أي بعد دخول الحرب في سوريا.

يظهر متغير آخر ضمن البعد الاقتصادي لإستراتيجية روسيا يتمثل في البقاء ضمن التّكتّلات الأقوى على غرار "بريكس" (BRICS) و(RIC) اللذين يضمّان أقوى اقتصاديات العالم، وأكبر الأسواق وأكبر المساحات وأكبر عدد سكاني على غرار الصين والهند ما فتح آفاقا واسعة للاستهلاك وأسواقا بعيدا عن الدّول الغربية غير الموثوقة.

يبلغ النّاتج المحلي الإجمالي لروسيا 2,5 ترليون دولار أي 1/7 من ناتج الولايات المتّحدة الأمريكيّة ومتّوسط دخل الفرد 18000 دولار سنويا ما يقارب 1/3 تقريبا من دخل الفرد الأمريكي، ويمثّل قطاع الطاقة 2/3 من صادراتها، ونصف عائداتها، و20% من النّاتج الإجمالي المحلي.[1] ومع ذلك فإن طموح إنشاء قوة اقتصادية ليس بالأمر السهل، إذ تحتلّ المرتبة 43 في مؤشّر التّنافسية العالمية.

انخفضت قيمة الأصول الثّابتة في الصّناعة الرّوسية بشكل عام 48.7% لسنة 2016[2] ورغم كل هذه العقبات، إلا أنّ المؤشّرات الاقتصادية عرفت تحسّنا وتصاعدا مستمرّين منذ سنة 2010 حتى سنة 2019 والجدول التّالي يبيّن نصيب الفرد من إجمالي الدّخل القومي، ونموّه ونسبة لبطالة. وهذا ما يبيّنه الجدول الآتي:

[1] جوزيف ناي، ***هل إنتهى القرن الأمريكي؟***، تر: محمد العبد الله، (السعودية: العبيكان للنشر ،2015)، ص .36.

[2] Igor suty agin ،***russia in the middle east and north africa –some driving forces,***(spain :ministry of foreign and cooporation,2017) p.106.

جدول رقم 01: تطور مؤشرات نصيب الفرد من الدخل الوطني الإجمالي والبطالة في روسيا بين سنتي (2010 -2019).

المؤشر	2010	2011	2012	2013	2014	2015	2016	2017	2018	2019
نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي الوحدة دولار	9980	11060	13490	15190	14630	11780	9730	9210	10250	11260
نمو نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي %	4.43	4.19	3.71	1.12	0.82-	1.42-	0.11	1.76	2.57	0.75
البطالة من إجمالي القوى العاملة %	5.92	5.8	5.77	5.77	5.63	5.64	5.67	5.57	5.39	5.40

المصدر: تصميم شخصي للباحث بالاعتماد على تقارير البنك الدولي.

يوضّح الجدول السّابق التغيّرات الّتي شملت نصيب الفرد الرّوسي من الدّخل القومي منذ سنة 2010 حتّى 2019، حيث ارتفع من 9980 دولار أمريكي إلى 11260 في 2019. الملاحظ أنّه حقّق نموا قدره 12,82%، إلّا أنّه لم يعرف استقرارا خلال هده الفترة، فقد ظلّ يرتفع سنة وينخفض في أخرى.

ارتفع نصيب الفرد من الدّخل الوطني الإجمالي إلى 15190 دولار سنة 2013 لكنّه انخفض انخفاضا متتاليا حتّى سنة 2017 الّتي وصل فيها لحدود 9210 في أكبر انخفاض له خلال السّبعة سنوات الأخيرة، ثمّ عاود الارتفاع إلى 11260 دولار في 2019.

عرفت نسبة البطالة استقرارا بين 2010 و2019، ما يمكن ملاحظته من خلال الإحصائيات المقدّمة أنّها لم تتجاوز 6%، كما عرفت انخفاضا قدره 0,52% بين 2010 و2019.

لقد تأثّر الاقتصاد الرّوسي كغيره بالأزمة الاقتصاديّة سنة 2013 ما أثّر سلبا على نصيب الفرد من الدّخل الوطني الإجمالي، إلّا أنّ نسبة البطالة استمرّت في الانخفاض حتّى سنة 2019.

تحسّنت التّجارة الدّولية في روسيا منذ 2010 إلى 2019، أين بلغت 659 مليار دولار سنة 2010 موزّعة بين 393 مليار صادرات 246 مليار واردات، لتصل إلى 673 مليار دولار في 2019 تشمل 419 مليار صادرات و254 مليار دولار واردات[1]. الملاحظ تحسّن التّجارة الخارجيّة الرّوسية قليلا خلال العشرة سنوات (2010 -2019) بحوالي 34 مليار دولار زيادة، بينما لم ترتفع قيمة الواردات كثيرا، بلغت

[1] ***لماذا تتاجر روسيا***، مأخوذ من الموقع الإلكتروني:
http//:www.rosbalt .ru /blogs/ 2020/02/26/1829788 .html ، (05/09/2020)

خلال نفس الفترة زيادة قدرها 8 مليار دولار، ما يدلّ على أن الاقتصاد الرّوسي في طريقه الصّحيح للتّعافي التّدريجي.

شكّلت عائدات الوقود 68% من عائدات التّصدير أي 272 مليار دولار سنة 2010، بينما بلغت 62% من عائدات التّصدير سنة 2019 أي ما يعادل 262 مليار دولار، كما ارتفعت عائدات الصّادرات خارج قطاع المحروقات من 121 مليار سنة 2010 إلي غاية 155 سنة 2019 وهذا حسب وكالة الأنباء الروسية المستقلة "روسبالت" (ROSBALT)[1]. وممّا سبق يمكن تلخيص النّقاط الّتي يقوم عليها البعد الاقتصادي في إستراتيجيّة روسيا:

- الاعتماد بشكل كبير على موارد الطّاقة، الّتي تستخدم في دعم الميزانيّة والاقتصاد الوطني، وتستعمله كورقة ضغط سياسيّة.
- سيطرة الدّولة على المؤسّسات الكبرى في الدّولة، ودعم القطاع الخاص في الوقت نفسه.
- يلعب المركّب الصّناعي العسكري دورا في تطوير باقي القطاعات الاقتصاديّة، عن طريق تصنيع وتصدير الأسلحة.

ـ الدّخول في تكتّلات اقتصاديّة خاصّة الّتي لا تسيطر عليها الولايات المتّحدة الأمريكيّة بصورة كبيرة يضمن تعدّد الخيارات الاقتصادية أمام روسيا.

ـ التّعاون الاقتصادي مع الدّول الّتي تنافس روسيا خاصة في مجال الطاقة، على غرار دول الشّرق الأوسط، فتحاول موسكو بناء شراكة اقتصاديّة قويّة، تحافظ على المصالح، والتّعاون مع المنظّمات الّتي من شأنها تعزيز القوّة الاقتصاديّة، على غرار منظّمة الدّول المصدّرة للنّفط (OPEC) والغاز (OPEP) ومنظّمة التّعاون الإسلامي.

المبحث الثالث: مقارنة إستراتيجية روسيا بين الإمبراطورية، الاتّحاد السوفياتي، وروسيا الاتحادية

استدعت ضرورة البحث في التطور التاريخي لاستراتيجية روسيا خلال أهم المراحل التي مرت بها خاصة في مرحلة الإمبراطورية الروسية، والاتحاد السوفياتي، وروسيا الاتحادية، ثم التطرق إلى الأبعاد التي تقوم عليها الإستراتيجية، البعد الجيوبوليتيكي، البعد الاقتصادي، والبعد العسكري، وستتم المقارنة بين الإستراتيجية خلال المراحل المذكورة بالاعتماد على هذه الأبعاد، بغرض التعمق أكثر في فهم إستراتيجية روسيا.

المطلب الأول: مقارنة جيوبوليتيكية لإستراتيجية روسيا

يؤثّر الموقع والمساحة في صنع الإستراتيجية سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، حيث اعتبر "تروتسكي" أنّ الإمبراطوريّة لم تختلف عن غيرها من القوى التّوسّعية القائمة على نهب غيرها من البلاد الأكثر تخلفا وضعفا، هكذا كانت الإمبرياليّة البرجوازيّة الرّوسيّة عبارة عن عميل في خدمة الدّول الكبرى العالميّة[1].

وصلت مساحة الإمبراطوريّة لتفوق 22 مليون كلم^2، امتدّت على أكثر من 50% من أراضي القارّة الأوروبية، وحوالي 40% من أراضي آسيا[2]، ويظهر "التّفكير الجيوبوليتيكي"* إبّان الإمبراطوريّة من خلال نقل العاصمة الّتي يتغيّر معها في كلّ مرّة التّطلّع والرّؤية الجيوبوليتيكيّة للحكّام الرّوس ورغبتهم في التّوسع. فقد كانت العاصمة على "الدّنيبر" عندما كانوا يتطلّعون إلى بيزنطة، ولمّا أصبحت على "الفلكا" أصبحوا يتطلّعون شرقا، وبعد ما صارت "بطرسبورغ" المطلّة على البلطيق، تحوّل التطلّع نحو الغرب[3]. إن نقل العاصمة يعني أن الدولة تحاول توسيع نطاق حكمها أكثر، واستمر القياصرة بضمّ أقاليم أوروبيّة وآسيويّة إلى حكمهم يراودهم طموح أن تكون إمبراطوريتهم ذات أهمّية في النظام الدولي، وامتزج البعد الجيوبوليتيكي بالبعد الدّيني في بعض الأحيان، وبالبعد الإثني والعرقي في أحيان أخرى.

يعود التّوسّع الكبير للإمبراطوريّة إلى الفكر الإستراتيجي السّائد – في تلك الفترة – بأنّ الدّولة تنمو بنمو أقاليمها وزيادة عدد سكّانها وإعمار المناطق الخالية، من هذا المنطلق كان الهدف الإستراتيجي هو زيادة المساحة ومواجهة الأعداء بالمساحة الكبيرة عن طريق "ابتلاع الأعداء" (انظر المطلب الأوّل من المبحث الأوّل) خاصة الكيانات الصّغيرة والضّعيفة. ولا تظهر الأهمية الجيوبوليتيكيّة لروسيا من نّاحية الممارسة السياسيّة فقط، إنّما شملت أيضا النّاحية التّنظيريّة، فقد اعتبرها "هارفولد ماكيندر" (Harfold Makinder) في مقاله "المرتكز الجغرافي للتّاريخ" (The geographical pivot of history) الصادر سنة 1904، بأنّها "قلب الأرض" (Heart of land) ومن يسيطر عليها سيسيطر على جزيرة العالم ثم العالم[4]، نبّه صناع القرار في بريطانيا (التي كانت إمبراطورية في تلك الفترة) إلى ضرورة التّوسّع في

---

[1] تروتسكي، ***تاريخ ...***، ج1، مرجع سابق، ص.30.

[2] عبد الوهاب الكيالي، ***موسوعة السياسة***، ج1 من الألف إلى الثاء، (لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985)، ص.293.

*عند طرح هذا المصطلح لا يعني بأنه كان موجودا في تلك الفترة (الامبراطورية الروسية)، ولكن واقع التخطيط التوسعي، يمكن النظر إليه نظرة جيوبوليتيكية

[3] جفري برون، ***تاريخ أوروبا الحديث***، تر: علي المرزوق، (الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 2006)، ص.315.

[4] H G Makinder, the geographical pivot of history (1904) ***"the geografical journal***, "vol 23,n 04, April 1904, pp .422 –444.

أوروبا لضمان التّواصل الجيوبوليتيكي مع مستعمراتها، في المقابل يتعامل المنظرّون الرّوس بطريقة مختلفة ويوظّفون الجيوبوليتيك في خدمة سياسة بلادهم.

ورثت الإمبراطوريّة القيصريّة الأراضي المغوليّة في آسيا الوسطى، واستغلّت التناقضات بين شعوب المنطقة، والصّراع الإيراني التّركي، فاستولت على "قرغيزيا"، و"أوزباكستان"[1]، وبعد ثورة 1917 تغيّرت المعطيات، فظهر كيان جديد (الاتحاد السوفياتي) بطموح جديد، لكن المعطيات الدولية كذلك تغيّرت بتفكّك الغريم التقليدي (الدّولة العثمانية)، بذلك فتح المجال للتّقدم جيوبوليتيكيا إلّا أنّ هذا التّفكّك تزامن مع ثورة "البلاشفة"، ما قزّم دور السّوفييت في صناعة نظام جديد يخدم مصالحهم وطموحهم انطلاقا من مفهوم راسخ وهدف استراتيجي واضح بأنّه إمبراطوريّة عالمية تمتدّ حدوده من بحر البلطيق إلى المحيط الهادي وتصل إلى الصين والنرويج، فنلندا، البحر الأسود، تشيكوسلوفاكيا، هنغاريا، تركيا، وإيران ومنغوليا وكوريا وبلغت مساحته حوالي 22402200 كم^2 وكثافة سكانية 11,5 نسمة/كلم^2[2].

يظهر عند التّدقيق في المساحة الّتي احتلّها الاتّحاد السّوفياتي وحدوده، وكذا الكثافة السّكّانيّة أنّ كافة حدوده دول قويّة، وكانت إمبراطوريّات في فترة ما (الإمبراطوريّة الفارسيّة، الإمبراطوريّة العثمانيّة إمبراطوريّة المغول، الإمبراطوريّة اليابانيّة، الإمبراطوريّة الصّينيّة، وحتّى فنلندا)، وهذا دليل على الصّراع الجيوبوليتيكي بينها، وعدم ثبات الحدود، نظرا لطموح استعادة "المجد الضائع"، ومن جهة أخرى فإنّ المساحة الشّاسعة والكثافة السّكّانيّة المنخفضة تحمل أخطارا جيوبوليتيكية، بسبب شساعة الأراضي غير المأهولة ما يعجّل بالتفكّك، وسهولة غزوها من طرف دول أخرى.

تكوّن الاتّحاد السّوفياتي من خمس عشرة (15) جمهوريّة تقع في آسيا وأوروبا، جعله في صدام مع ألمانيا أسفرت عن إبرام اتفاقية "برست ليتوفسك" للسلام بتاريخ 3 مارس 1918 لالتقاط الأنفاس والتّفرّغ للشّأن الداخلي (بسبب الحرب العالميّة الأولى، والثّورة البلشفيّة)، واحتلّ في أوت 1939 أراض من بولندا، وفنلندا ورومانيا واستونيا، ليتوانيا ولاتفيا[3]، ليبدأ البعد الجيوبوليتيكي مرحلة جديدة تختلف عن إستراتيجيّة الإمبراطوريّة، وامتزج الاحتلال المباشر للأرض مع البعد الثقافي بقوّة يتمثّل في نشر الفكر الشّيوعي الاشتراكي، وخلق حلفاء لمواجهة الغرب اللّيبرالي الرّأسمالي.

لم يختلف الاتّحاد السّوفياتي عن الإمبراطوريّة القيصريّة في طريقة توسيع الحدود عن طريق احتلال أراض أوروبيّة وآسيويّة، وهو النّهج نفسه الّذي انتهجته ألمانيا وجعلها تعاني حروبا عديدة. من هذا

---

[1] زيدان، مرجع سابق، ص.35.

[2] الكيالي، ***الموسوعة***...، ج1، مرجع سابق، ص.31.

[3] المرجع نفسه، ص ص .31 ـ 32.

المنطلق سعى الاتّحاد السّوفياتي إلى التواجد خارج حدوده الطّبيعيّة (أوروبا وآسيا) ليس عن طريق الاحتلال، بل عن طريق خلق حلفاء على غرار "كوبا"، وكوريا الشّمالية، وألمانيا الشّرقية.

بعد تفكّك الاتّحاد السوفياتي استقلّت عدة جمهوريات تاركة روسيا بمساحة 17,075200 كلم^2 (انظر الخريطة رقم 02)، تمتدّ من بحر البلطيق غربا حتّى المحيط الهادي شرقا، ومن حدود القطب الشّمالي حتّى منغوليا جنوبا.[1] وظهرت وريثة الاتحاد السّوفياتي منهكة وفاقدة لمكانتها الدّولية المعتادة ما فسح المجال أمام الولايات المتّحدة الأمريكية لتتزعّم النّظام الدّولي وتقوده منفردة، لكن ما لبثت موسكو تعود تدريجيا لمكانتها الّتي تراها طبيعيّة. ودخلت الطّاقة وخطوط إمداد الغاز ضمن الإستراتيجيّة التي تبنّتها روسيا، ظهر ذلك من خلال التّدخّل في شبه جزيرة القرم سنة 2014، وهي تعني كثيرا حتى من النّاحية التّاريخيّة، فهذه المنطقة تعتبر مهد المسيحيّة الأرثوذوكسيّة الّتي بدأت منها لتصل روسيا، وموطن صراع بين مع العثمانيّين الّذين استولوا عليها سنة 1773[2]، واعتمد الكرملين على التّعاون الإستراتيجي مع دول وفاعلين يضمنون استمرار مصالحه في مناطق مختلفة من العالم على غرار الصّين ودول الشّرق الأوسط والبريكس ومنظمة التّعاون الإسلامي وتتكيّف مع المتغيّرات الدّولية، فعصر الاحتلال المباشر والضّم بالقوّة لم يعد كما كان في السابق، وتتضمن الخريطة التّالية مقارنة لتقلّص المساحة خلال مراحل تطوّر روسيا:

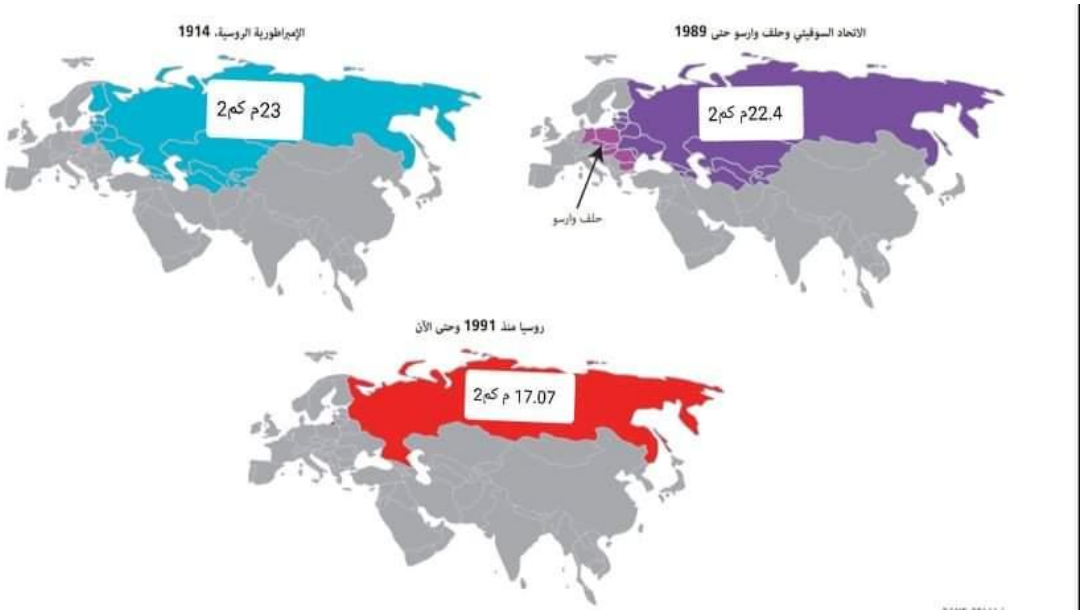

خريطة رقم 02: توضح خرائط مقارنة لمساحة روسيا من مرحلة لأخرى.

Source: Olga Oliker, Russian foreighn policyin historical and current context, RAND corporation, 2015, p.03. بعد إدخال تعديلات من طرف الباحث

[1] الأمارة، مرجع سابق، ص.136.

[2] بشير نافع، ***الأزمة الأوكرانية تفجر الصراع على أوروبا من جديد***، (الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2014)، ص.05.

جيوبوليتيك البحار: يأتي عنصر البحر في تحليل الإستراتيجية الروسية في بعدها الجيوبوليتيكي منذ الإمبراطورية الروسية، فقد ظلت البحار ومعركة الوصول إلى المفتوحة منها والبحر الأبيض المتوسّط تمثّل هاجس صنّاع القرار "عقدة الخروج إلى المياه الدافئة"، خاضت روسيا معارك شرسة عسكريا وسياسيا خلال القرن التّاسع عشر والعشرين، وحتّى قبل ذلك، عندما سيطر التّتار خلال القرن السّادس على بحر قزوين، أفقد روسيا أي اتصال بالبحر الأسود* وبحر قزوين، وانتقل التواجد في هذا البحر للأتراك خلال القرن السّابع عشر، لكنّ الرّوس أوجدوا موطئ قدم خلال القرن الثّامن عشر في هذا البحر في عهد "أنا آيفانوفا"** من خلال وقوفها ضد بلغاريا التي حاولت تهديد الدولة العثمانية سنة 1913، لعدم قبولها خروج المضايق عن سيطرة هذه الأخيرة[1]. من هنا تظهر أهمية المياه بالنسبة لروسيا.

ولم يتمنّ السوفيات أكثر من انتصارهم في الحرب العالميّة الأولى وهم في بداية تأسيس الدولة، خاصة أن أحلامهم الجيوبوليتيكية في الخروج إلى "المياه الدافئة" يمكن تحقيقها بعد هزيمة اليابان والدّولة العثمانيّة (تركيا) معا، وفي مؤتمر يالطا (المنتجع الرّوسي المطل على البحر الأسود) أين اجتمع الرّئيس الأمريكي "فرانكلين روزفلت" والزّعيم السّوفياتي "جوزيف ستالين"، ورئيس وزراء بريطانيا "ونستون تشرشل" وافقوا على تقسيم النّفوذ في عالم ما بعد الحرب العالميّة الثّانية، حصل بموجبه الاتّحاد السّوفياتي على نفوذ كامل شرق أوروبا، وحصلت الولايات المتّحدة على نفوذ كامل غربها، لكن بعض الدّول وجدت نفسها مقسّمة بين الطرفين مثل "يوغزلافيا" الّتي قسّمت أيديولوجيا بنسبة 75 % لصالح الولايات المتّحدة الأمريكيّة، 25% لصالح الاتّحاد السّوفياتي[2]، يبدو مؤتمر "يالطا" لتوزيع النفوذ، فكان همّ الولايات المتحدة الأمريكية البقاء في المجال الحيوي للاتّحاد السوفياتي، والإبقاء عليه ضمن قدراتها الإستراتيجيّة (مدى الأسلحة الإستراتيجية)، بينما كان الهمّ الأكبر لموسكو الحصول على منافذ بحرية نحو البحر الأبيض المتوسّط خاصة عبر البحر الأسود.

كان الطموح الجيوبوليتيكي كبيرا، لكنّ نهاية الحرب الباردة أنهت هذا الطرح، لأنّ الاتحاد السّوفياتي لم يعد بتلك القوة الّتي كان عليها بتلقّيه صدمة كبيرة أنقصت مساحته بعد انفصال عدة دول وإعلان

---

[1] زيدان، مرجع سابق، ص.30.

* بحر داخلي يقع بين الجزء الجنوبي الشرقي لأوروبا وآسيا الصغرى، ويتصل بالبحر المتوسط عن طريق مضيق البوسفور وبحر مرمرة، لذلك يشغل أهمية في الفكر الإستراتيجي لدى عدة دول مثل روسيا وتركيا وأوكرانيا.

** إمبراطورة روسية عاشت بين 1693 و1740، تقلدت الحكم بين 1730 و1740 خاضت عدة حروب ضد العثمانيين خلال الفترة (1735-1739).

[2] محمد حسنين هيكل، ***الزلزال السوفياتي***، (مصر: دار الشروق، 1990)، ص ص.4-5.

استقلالها عنه، وخسر حوالي 24 % من مساحته (5,5 مليون كلم^2 تقريبا) بالإضافة إلى ظهوره ضعيفا أمام القوى الغربيّة، وبالتّالي انتهى حلم التّوسّع، وظهرت العديد من العقبات أمام روسيا، ففي منتصف التسعينيات ظهر تيار يدعو إلى إعادة إحياء الإمبراطوريّة الأوراسيّة الّتي أسّس لها "سافيتسكي".

وقد حدّد "دوغين" المبادئ الجيوبوليتيكية التي يجب أن تقوم عليها إمبراطورية الروس الجديدة فيما يلي[1]:

- يجب أن تكون لها حدود بحريّة، أو لها حلفاء أصدقاء على الأراضي القارية (لها حدود بحرية) بحيث لا يفصل بين هذه الإمبراطوريّة والبحار المفتوحة عدو أو خصم.

- استبدال الجيوبوليتيكا السّلوفانوفية القائمة على معاداة الألمان في الغرب واليابانيين في الشرق والإيمان بالعرق السّلافي النّقي، بالجيوبوليتيكا الأوراسيّة الّتي ترفض كلّ هذه العداءات، وتقوم على المشاريع الّتي تحقّق المصالح في المنطقة.

- الإبداع القاري بخلق فضاء جغرافي لا يقوم على القوميّة الرّوسيّة، ولا يهدف إلى إقامة دولة-أمّة، بل إمبراطوريّة جديدة أوراسية قارية: "لن يغدو الرّوس شعبا إلّا في إطار الإمبراطوريّة الجديدة".

- يجب على الإمبراطوريّة، وفق المنطق الجيوبوليتيكي، أن تتفوّق من النّاحية الإستراتيجيّة، بكونها قوة قارية كبرى على إقليم أوراسيا، وأن تكون عالمية في المستقبل، وهذا هو الهدف الأسمى لإستراتيجية روسيا "فمعركة الرّوس من أجل السّيادة على العالم لم تنته بعد".

- يجب أن تقام الإمبراطوريّة الرّوسيّة (لا الدّولة الرّوسيّة) على الثّورة الجيوبوليتيكيّة، وليس التّطوّر السّياسي، أو الاجتماعي.

قامت هذه المبادئ على قراءة وتحليل الأسئلة الّتي أدّت إلى انهيار الإمبراطوريّة عن طريق الثّورة البلشفيّة، فالإمبراطوريّة لم تستطع احتواء الاختلافات، بالإضافة إلى تأثّرها بالنّمط الغربي وعجزها عن اختراع النّمط الخاص بها، هذا من جهة، ولم يستطع من جهة أخرى النّموذج السّوفياتي فرض نمطه "الشّيوعي الاشتراكي" حتّى داخله في ظلّ وجود مسيحيّين، ومسلمين، ويهود متديّنين، ومن الصّعب عليهم اتّباع هذا الفكر، وهذه الأخطاء جسّدت أسباب فشل قيام الإمبراطورية، ويجب عدم تكرارها في "الإمبراطورية الجديدة".

[1] دوغين، ***أسس*** ...، مرجع سابق، ص ص .256-258.

جاء هذا الطّموح ليعيد الأمجاد والاستفادة من أخطاء الإمبراطوريّة والاتّحاد السّوفياتي، ومع ذلك بقي الأخير يتقلّص من حيث المساحة ويفقد مزيدا من المكانة، وخاض عدّة حروب مع دول استقلت عنه لكن "بوتين" حاول –ولا زال كذلك – إصلاح الأوضاع واستعادة المكانة، ولم يغب الجيوبوليتيك عنه.

انخرطت روسيا في الحرب على الإرهاب بعد 2001، وأصبحت حليفة للولايات المتّحدة الأمريكيّة دون طلب شيء في المقابل[1]، وهذه الطّريقة لم تكن معهودة خلال فترة الاتّحاد السّوفياتي المتعوّد على المساومة، وحساب الخسائر ومقارنتها مع الأرباح، فلا يعني ذلك أنّ روسيا لم تستغل التوجّه العالمي لمواجهة الإرهاب في حرب الشّيشان سنة 2004، ثمّ جورجيا 2008، وبعدهما أوكرانيا 2014 بحجّة حماية الأقلّية الرّوسيّة، والحرب ضدّ التطرف والإرهاب، فهذه الحجّة الظّاهرة أمّا الباطنة لا تخلو من الرّغبة في التّوسّع وإحياء الإمبراطوريّة الرّوسيّة من جديد، وحماية أهدافها الإستراتيجيّة، كما أنّ الغاز والطاقة يعتبران ورقة في يد "بوتين" يصحّح من خلالهما تموقع بلاده والعلاقات مع الدّول الأوروبيّة الّتي اتهمته عدة مرّات باستعمال ورقة الطّاقة للضّغط عليها.

وممّا سبق يمكن استنتاج النّقاط الّتي تشابهت فيها إستراتيجيّة روسيا من النّاحية الجيوبوليتيكيّة خلال الفترات الزّمنيّة، وتوضيح الاختلاف في تنفيذها.

– الاهتمام بالبعد الجيوبوليتيكي: ما يميّز إستراتيجيّة روسيا أنّها لم تتخلّ أبدا عن هذا البعد في تحقيق مصالحها، لكنّها تختلف من فترة لأخرى ومن حاكم لآخر، فالتّوسع الجغرافي لمواجهة الأعداء خاصة أنّها كانت محاطة بالإمبراطوريات القويّة. واستمرّ ذلك في مرحلة الاتّحاد السوفياتي الّذي سعى للمحافظة على مكاسب الإمبراطوريّة. كما ظهر هذا البعد بطريقة مغايرة مع روسيا، فالتّوسّع لم يعد مقبولا في النّظام الدولي، لذلك سعت إلى تحقيق مصالحها عن طريق التّحالفات أو التّدخّلات العسكريّة، مثل ما حدث مع جورجيا وأوكرانيا ثمّ سوريا وليبيا (تدخّلات عسكريّة)، لإقامة حكومات موالية لموسكو، أو بناء تحالفات على غرار تركيا وإيران. والمثير للانتباه، أنّ روسيا تتحرّك دائما ضمن رقعة أوراسيا.

- القوّة العسكريّة لتحقيق الأهداف الجيوبوليتيكيّة: لعبت القوّة العسكريّة دورا كبيرا، حيث خاضت روسيا على مرّ التّاريخ حروبا للتّوسّع، أو لحسم وكسب المعارك لكسر الأعداء حيث تشابهت الإمبراطوريّة الرّوسيّة والاتّحاد السّوفياتي في الاحتلال المباشر وضمّ الأراضي والأقاليم وزيادة المساحة وكذلك روسيا الاتحادية تحقّق الأهداف عن طريق بناء تحالفات وتوطيد علاقات الصّداقة مع الدّول والفواعل المختلفة.

[1] ليليا شيفتسوفا، ***روسيا بوتين***، تر: بسام شيحا، (لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2006)، ص.7.

- إحياء الإمبراطوريّة الرّوسيّة: تشابهت إستراتيجيّة الإمبراطوريّة في هذه النقطة والاتّحاد السّوفياتي وروسيا الاتّحاديّة، فالأولى سعت للحفاظ على المكاسب وزيادتها، وسعت الثّانية والثّالثة إلى استرجاع ما فقداه وتعويض خسائرهما، لكنّ الاتّحاد السّوفياتي لم يستطع الاستفادة من أخطاء الإمبراطوريّة، بينما تحاول روسيا عدم تكرار نفس الأخطاء.
- المياه الدافئة: تشابهت المراحل التّاريخيّة الثّلاث الّتي مرّت بها روسيا في محاولة الخروج للبحار المفتوحة، فقد خاضت الإمبراطوريّة الرّوسيّة حروبا مع اليابان، فلندا والإمبراطوريّة العثمانيّة في محاولة التّخلّص من العزلة البحريّة الّتي تعاني منها واستمرّ الاتّحاد السّوفياتي في ذلك ولم تختلف روسيا عنهما بدليل ضمّها لشبه جزيرة القرم لسنة 2014، وتدخّلها في حرب سوريا لضمان تواجدها في البحر الأبيض المتوسّط.

المطلب الثاني: البعد السّياسي للمقارنة بين إستراتيجيّة روسيا خلال المراحل التاريخية

لعب البعد السّياسي دورا في إستراتيجيّة روسيا عبر التّاريخ ولفهم أهمية هذا البعد سيتمّ مقارنته خلال فترات الإمبراطوريّة والاتّحاد السّوفياتي وروسيا، وستكون هذه المقارنة بالاعتماد على المستوى الدّاخلي والمستوى الخارجي.

أوّلا: المستوى الدّاخلي

اختلف نوع النّظام السّياسي في روسيا، بعد أن كان قيصريّا قام على سلطة مطلقة للقيصر لا يأخذ الشّعب فيها شيء في تنظيم الدّولة أو إدارتها أو المشاركة في الحكم، فسلطة القيصر غير محدودة وفي عزلة عن الشّعب، وهو من يسنّ القوانين ويعيّن جميع الموظّفين، كما أنّه محاط بـ 900000 من النّبلاء وحوالي 550000 من الموظّفين[1]، لذلك حدث شرخ بين الحاكم والمحكوم أدّى إلى العديد من المشكلات والثّورات السّياسيّة على غرار ثورة الطّبقة الثّالثة* وثورة البلاشفة الّتي قلبت نظام الحكم فأصبح جمهوريّا وقامت بذلك دولة جديدة باسم جديد الاتّحاد السّوفياتي، بعد ثورة وتجاذبات سياسيّة كبيرة بين أنصار الملكيّة، والطّبقة البورجوازيّة المالكة، اللذين يشكلان أقلّية، والطبقة العمّالية (الأغلبية) من جهة أخرى وفي

[1] عبد الله، مرجع سابق، ص ص .11-12.

* ثورة في روسيا قبل الثورة الفرنسية تمثلت في حركة القوقاز والفلاحين والعمال في الاورال، وأطلق على هذه الحركة اسم انتفاضة بوغاتشيف بسبب غياب الديموقراطية. لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على: تروتسكي، ***تاريخ الثورة الروسية***،ج1 ،مرجع سابق ص.25.

الأخير مالت الكفّة لصالح البرجوازيّين ما اعتبره "تروتسكي" "جريمة ضدّ الثّورة" ووصفه" بالمؤامرة السّرية ضدّ السّلطة وحقوق الشّعب"[1].

ورغم اختلاف شكل الحكم إلّا أنّه لم يختلف كثيرا في الممارسة إذ بقي الحكم في يد زمرة، واستمرّت معاناة الشّعب، ومع ذلك فسح المجال أمام التّداول على السلطة الّذي لم يكن موجودا في مرحلة الإمبراطوريّة، وهذا ما عمل عليه "لينين" لإنشاء حزب ثوري يكون بمثابة تعبير منظّم للعمل الجمعي وتأسيس نظام اشتراكي قادر على اجتذاب الجماهير[2]، وتأسيس حكومة يكون لطبقة العمّال دور فيها فالحكومة حسبه "ليست قوّة مرسلة من خارج دائرة الهيمنة الاجتماعية"[3]، أي أنّها طرف ينبثق من المجتمع، قائمة على أفراده، وهنا يظهر الاختلاف بين "تروتسكي" و"لينين" في نظرتهما إلى قيام حكومة بعد ثورة 1917، وهذا يرجع الى الخلافات السّياسيّة بينهما، كما أنّ الشّعب الّذي لم يكن له دور يذكر من النّاحية السّياسيّة سوى كونه مصدر لقوة الدّولة وزيادة لقوّة القيصر، أصبح له دور بعد إسقاطه للإمبراطوريّة، كما أتاح النّظام السّياسي خلال فترة الاتّحاد السّوفياتي أو روسيا الفرصة العامة للمشاركة في السّلطة.

تشابهت جميع فترات حياة الدّولة في روسيا بالفوضى السّياسية، سواء خلال الفترة القيصريّة، على غرار تدخل "الكسندرا فيودوفنا"* في شؤون الدولة حتى العسكريّة منها، ومشاركة "ألكسندر الأول"**في اغتيال القيصر "بولس الأول" ***[4]، والبحث عن كبش فداء خلال فترة الاتّحاد السّوفياتي أيام "غوباتشوف" عند محاولة عزله ومحاكمته[5] مثل ما عمدت إليه عشرات الأقاليم، أي سنّ قوانين تناقض دستور الفيدرالية

---

[1] المرجع نفسه، ص.130.

[2] ريتشارد ابجيتانزي، اوسكار زاريت، ***لينين و الثورة الروسية*** :تر: محي الدين مزيد،(مصر: المجلس الأعلى للثقافة،2003)، ص.22.

[3] فلاديمير لينين، ***مذكرات لينين عن الحروب الأوروبية ماضيها وحاضرها***، تر: احمد رفعت، (المملكة المتحدة مؤسسة هنداوي أي سي، 2017)، ص.17.

* زوجة القيصر نيكولاي الثاني وقيصرة روسيا.

** قيصر روسيا لقبه " القيصر المجنون" لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على: الكيالي، ***الموسوعة ...***، ج 1، ص.262.

***قيصر روسيا من 1801 الى 1825، لمزيد من المعلومات: المكان نفسه.

[4] عبد الله، مرجع سابق، ص.15.

[5] غورباتشوف، ***روسيا...***، مرجع سابق، ص.150.

الروسية[1]، والتّمرّد الّذي جاء من نواب البرلمان في 3 و4 /1993/10 ضدّ الرّئيس يلتسن وانتهى بقصف مبنى البرلمان وحله[2]، لذلك كانت محاولات الانقلاب والأزمات السّياسية ملازمة لروسيا.

تشابهت مراحل روسيا في النّزعة التّسلّطية لدى القيصر أو رئيس الاتّحاد السّوفياتي، أو رئيس روسيا وهذا ما اعتبره "غورباتشوف": "قدرا من النّزعة التّسلّطية يجب ألّا يثير الذّعر إذا كانت البلاد تحتاج في مرحلة من المراحل الى زعامة قوية"[3] فالتّفرّد باتخاذ القرارات دائما ما يسبّب مشاكل سياسية، وفي أغلب الأحيان يظهر قرارا منفردا تسلّطيا بالرغم من أن روسيا تخضع دائما لحكم مجموعة من الفواعل والأطراف، وغالبا ما يصل الأمر في روسيا إلى مبدأ مهمّ "القمة لم تعد تستطيع، والقاعدة لم تعد تريد" بدليل الثّورات الدّورية الّتي كانت تحدث من فترة لأخرى.

ويعتقد "دوغين" أن بوتين هو الرّجل المناسب لقيادة هذه المرحلة إذ تلتقي فيه القيصريّة والسّوفياتيّة فهو وليد هذين النّظامين، ولحماية الدّولة لابد من الاستبداد، ويرى بأنّه مثل الميكانيكي الذي سيحول الأسود إلى الأبيض، وقد وصل للّون الرّمادي في الوقت الحالي[4] في إشارة إلى الصّعوبات الّتي وجدها بوتين عند وصوله إلى السّلطة وحتّى نهاية عهدته الثّانية وعودته بعد فترة "ميدفيديف" يتّفق معه "غوبارتشوف" في مقابلة صحفية مع صحيفة "لاريبيليكا" (la republica) الإيطالية بقوله: "على فلاديمير بوتين أن يختار بين العمل لمصلحة الدّيموقراطية، أو اللّعب ببطاقة النّزعة التّسلطيّة"[5] وفي كل هذا تظهر النّزعة التّسلّطيّة الّتي تشابه فيها زعماء روسيا عبر المراحل التّاريخية المختلفة.

من بين نقاط الالتقاء التي ساهمت في تشكيل البعد السياسي لإستراتيجية روسيا الاتحادية الأوضاع الصعبة التي واجهها الشعب الرّوسي وعلاقته بمؤسّسات الدّولة، فقد كان الناس يكرهون القيصر وحكومته[6]، كما أسهمت الدّكتاتوريّة في قيام الشّعب بعدّة انتفاضات نتيجة تردّي الأوضاع، كان آخرها سنة 1917 خلال فترة الإمبراطورية، لم يكن الحال أحسن خلال مرحلة الاتّحاد السّوفياتي، فالسّخط ومشاعر النّقد الّتي يوجّهها الشّعب للسّلطة لأنّه لم يكن يوما راضيا عن أوضاعه، ما سبّب أزمات كثيرة على المستوى السّياسي، وقد كان للاحتياجات دور في سقوط الاتّحاد وتفكّكه داخليا، واستمرّ الشغب في

---

[1] المرجع نفسه، ص.166.

[2] وسيم قلعجية، ***روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين***، (لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016) ص.56.

[3] المرجع نفسه، ص .169.

[4] Alexander Dugin, ***putin vs putin vlademir putin viewed from the right***, (Russia: ARKTOS, 2014), pp.5-7.

[5] غورباتشوف، ***روسيا..***، مرجع سابق، ص.169.

[6] عبد الله، مرجع سابق، ص.15.

ساحة "بولوتينا " وميدان "زاخاروف"[1] ما طرح إمكانية تفكّك جديد لروسي إن لم تتحسّن الظّروف السّياسيّة والاجتماعيّة للمواطنين، بدليل ما أقرّه الرّئيس السّابق "ميدفيديف" بتساؤله: "إنّنا في روسيا لا نفهم ما المقصود بالمجتمع المدني"، وأصدر قرارا في جانفي 2009 يصنّف أي تجمهر أو ثورة أو تمرّد جرائم ضدّ الدّولة[2]. رغم أنّ الدّستور يكفل ذلك في مادته 13 الفقرة الثّالثة: "يجب الاعتراف بالتّنوّع السّياسي والتّعدّدية الحزبيّة في الاتّحاد الرّوسي"[3].

يعتبر التّعدّد الإثني والعرقي والدّيني نقطة ثابتة في تاريخ روسيا ساهم في تشكيل إستراتيجيّتها، أدّى ذلك إلى تماسك هشّ أثّر في نسيجها الثّقافي، فاقت الجماعات العرقيّة 130 جماعة[4]، إضافة إلى الأديان السّماويّة والوضعيّة واللّغات واللّهجات، وقد أيد هذا التّعدد دستوريا عدّة مرّات في الدّيباجة "نحن الشعب متعدّد القوميّات في الاتّحاد الروسي" ثم في المادة الثّالثة في فقرتها الأولى "شعب الاتّحاد الرّوسي متعدّد القوميات ..."[5]، يظهر في خضمّ كل الاختلافات فرق بين الإمبراطورية والاتّحاد وروسيا، فالأولى كانت تعتمد المسيحية الأرثودوكسية ديانة رسمية، بل أكثر من ذلك فقد كانت تعتبر نفسها عاصمة للأرثودوكس، حامية لحقوقهم عبر العالم، انتقلت بعدها إلى النقيض خلال فترة الاتحاد فأصبح الإلحاد السّمة الغالبة باعتبار الشّيوعية تقوم عليه، ولكن روسيا أصبحت علمانية دستوريا لاسيما في المادة 14 الفقرة الأولى : "يكون الاتّحاد الروسي دولة علمانيّة ولا يجوز اعتماد أي ديانة كدين للدّولة أو اعتبارها ملزمة"[6].

يختلف "دوغين" فكريا مع صنّاع القرار، أين يبني تصوّره للإمبراطوريّة الّتي يدعو لإحيائها على فكرة الدّين، ويرى أنّها يجب أن تكون مسيحيّة أرثودوكسيّة، لذلك كان من الصّعب على النظام السّياسي والاجتماعي في روسيا التّأقلم مع التّحوّل الّذي تشهده كلّ مرّة، و يضع صورة واضحة للهزّات الّتي تتعرّض لها، والأزمات الدّورية الّتي تواجهها، فالتّحوّل المفاجئ دائما ينتج عنه صعوبة التّكيّف لذلك كان من الصّعب على الشّعب مواكبة الأحداث في فترات قصيرة سواء من النّاحية الاقتصاديّة مركنتيلي ليبرالي ثمّ اشتراكي وبعدها اقتصاد السّوق، أو النّاحية السّياسيّة من قيصري إلى شيوعي إلى ديموقراطي لكن يميل إلى الشّمولية أكثر، وحتى من الناحية الثقافية من ثقافية ممزوجة تحاول اللّحاق بالغرب إلى ثقافة

---

[1] غورباتشوف، ***روسيا..***، مرجع سابق، ص .17.

[2] معتمد، مرجع سابق، ص.31.

[3] روسيا الفيدرالية، ***دستور 2014***، مرجع سابق، ص.05.

[4] نورهان الشيخ، ***صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية الروسية***، (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009)، ص .16.

[5] روسيا الفيدرالية، ***دستور 2014***، مرجع سابق، ص .05.

[6] المرجع نفسه، ص.05.

ثورية ضده ونظام خاص ثم العودة إلى الحالة الأولى القائمة على مسايرة الغرب مع المحافظة على الخصوصية، ثم يأتي الجانب الدّيني من مسيحيّة أرثودوكسيّة إلى شيوعيّة قائمة على الإلحاد إلى علمانية تفصل الدّين عن الدّولة، ناهيك عن التاريخ المليء بالحروب والأجناس والأعراق المختلفة جعلت ما يحدث في روسيا صعب الفهم، مع ذلك يظهر بوضوح سبب هذا الصّعود والنّزول والقوّة و الضّعف الّتي تشهدها في كل مرة، وكان لهذه الاختلالات الداخلية تداعياتها على المستوى الخارجي.

ثانيا: المستوى الخارجي

سيتمّ في هذا العنصر مقارنة البعد السّياسي لإستراتيجيّة روسيا خلال الفترات المختلفة بالاعتماد على المستوى الخارجي المتعلّق بالسياسة الخارجيّة والعلاقات الدّوليّة.

الملاحظ في بادئ الأمر تشابه النّظرة الّتي يحملها الغرب لروسيا حيث لم تكن يوما مرحّبا بها في النّظام الدّولي، رغم حضورها الدّائم والّذي غالبا ما كان رغما عن العديد من الدّول، فالاختلاف بين الشرق والغرب نتج عن اختلاف الكنيسة الارثودوكسية الشّرقية والكاثوليكيّة الغربيّة منذ سنة 1054 [1] لذلك تشابهت الإستراتيجية الروسية في العداء للغرب منذ الإمبراطوريّة والمواجهة بين الاتّحاد السّوفياتي والغرب خلال الحرب الباردة واليوم تدخّل روسيا عسكريّا لدعم نظام بشّار الأسد في سوريا الّذي يواجه التّحالف الدّولي الغربي، تشابهت أيضا في الإبقاء على هذه العلاقات مع الغرب رغم كلّ المشاكل ودليل ذلك حضور الإمبراطورية أغلب الاتفاقيات الدولية وانخراط الاتحاد في الحرب العالمية الثانية ضد المانيا "النازية" واليوم روسيا تنخرط في الحرب الدولية ضد الإرهاب .

تختلف إستراتيجيّة روسيا بين الإمبراطوريّة التي كانت تسعى للتّوسع الجغرافي، بضم أقاليم جديدة رغم أنّها لم تكن من القوى الاستعماريّة، إلّا أنها حاولت التّوسّع على المستوى الجيوبوليتيكي فقد حاربت اليابان وفلندا، والدّولة العثمانيّة من أجل التّوسّع وكلّ هذه الدّول تربطها حدود جغرافيّة مع إمبراطوريّة روسيا، أمّا الاتّحاد السّوفياتي فكان يهدف إلى التّوسّع الأيديولوجي نشر تعاليم الشّيوعية الاشتراكية فانصبّ الاهتمام الإستراتيجي على نشرها خاصة في المجال الحيوي للدّول الغربيّة مثل أمريكا اللّاتينيّة أمّا روسيا فلا تسعى كما سعت الأولى، ولا تهدف كما هدف الثاني، بل تحاول تحقيق أكبر قدر من المصلحة دون خسارة أي طرف في إطار معادلة رابح – رابح، مع احتفاظها بخصوصيّتها وأحلامها في أن تكون قوّة حقيقيّة يمكنها مواجهة الغرب.

[1] زيدان،مرجع سابق، ص.145.

اختلفت روسيا تاريخيّا من النّاحية الإستراتيجيّة بين الإمبراطوريّة الّتي كانتتسعى لزيادة مساحتها في محيط مليء بالإمبراطوريّات القويّة، حيث كانت المساحة محدّدا لقوّة الدّولة، بينما نشر الشّيوعيّة كان هدف الاتّحاد السّوفياتي عكس روسيا الّتي تطالب بنظام دولي متعدّد الأقطاب يقوم على تفعيل قواعد القانون الدّولي ومواجهة محاولات توسيع حلف النّاتو في الدّول المجاورة، إضافة إلى أن الروس يعتبرون أن فضلهم على البشريّة ليس له حدود فلولاهم لما استطاعت الدّول الأوروبيّة هزيمة النّازيّة خلال الحرب العالميّة الثّانية.

يمثّل تصنيع وتوريد الأسلحة نقطة إستراتيجية أخرى اختلفت فيها روسيا عبر التّاريخ، بين الإمبراطوريّة الّتي نظرت نظرة عالميّة لأمنها "الزّماني" القومي من النّاحية الأيديولوجيّة المتمثّلة في حماية الأرثودوكس عبر العالم، وإقليميّة لأمنها "المكاني" (المجال القريب المتاخم لحدودها)، تشابهت مع الاتحاد السّوفياتي "زمانيّا" عندما كان نشر الشّيوعيّة عبر العالم مرتبط بالأمن القومي السّوفياتي، لكنّها اختلفت معه "مكانيّا" فقد كان الاتّحاد السّوفياتي يعتبر أمن حلفائه من أمنه، برز ذلك في عدّة مواقف كالأزمة الكوبية وأزمة السويس والحرب الكورية، لكنّ روسيا الاتّحاديّة اختلفت من الناحية "الزّمانية" فلم يعد الجانب الدّيني ذو أهمية كبيرة نظرا لعلمانيّة الدّولة، و"المكانية" لأنّ الأمن القومي أصبح إقليميّا أوراسيّا بالتي باقي الأقاليم وهذا تشابه مع الإمبراطوريّة.

تشابهت روسيا مع الإمبراطوريّة في التّكيّف والتّأقلم مع المتغيّرات الدّولية، حيث طوّرت إستراتيجيّة قامت على التّحالفات على غرار الإمبراطوريّة في تحالف القياصرة الثّلاثة لكل من روسيا، وألمانيا والنّمسا، حيّدت هاتين الدّولتين في حالة خوضها حربا مع قوّة أوروبيّة أخرى. وتجاوز الخلافات الجيوبوليتيكيّة خاصة في البلقان الذي قسم بين روسيا شمالا والنمسا جنوبا[1]. اعتمد الاتّحاد السّوفياتي الطّريقة نفسها مع الإمبراطوريّة في الاعتماد على التّحالفات لتحقيق الأهداف الإستراتيجيّة، فقد كان ركنا أساسا في التّحالف الدّولي ضدّ الفاشيّة والنّازيّة واليابان، ومؤتمر يالطا الّذي تقاسم فيه النّفوذ مع كلّ من الولايات المتّحدة الأمريكيّة وبريطانيا[2]، رغم الاختلاف الأيديولوجي بينهم إلّا أنّ الغرب لم يستطع اقصاء الاتّحاد السّوفياتي.

---

[1] عمر عبد العزيز عمر، ***تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815-1919)***، (مصر: دار المعرفة الجامعية،2000)، ص ص 214-215.

[2] سميح عبد الفتاح، ***انهيار الإمبراطورية السوفياتية نظام عالمي جديد احادي القطب***، (الأردن :دار الشروق للنشر والتوزيع،1996)، ص.47.

ضمّ الاتّحاد السّوفياتي عدّة دول تحت لواء الشّيوعيّة لمواجهة الغرب اللّيبرالي في أماكن مختلفة من العالم، كوبا، فينزويلا، كوريا الشّمالية، مصر والصّين، كلّ هذه الدّول كانت حليفة الاتّحاد السوفياتي. واستمرّت روسيا على نفس الخط بعد انهيار الأخير وإدراك القيادة الرّوسيّة أنّ العداء لازال قائما، لذلك اعتمدت على نفسها في خلق حلفاء جدد خاصّة في المجال الخارجي القريب، ومن أهمّ التّحالفات عرف باسم "مبدأ بريماكوف"* يضمّ المثلّث الإستراتيجي "الصين والهند، وروسيا"[1](RIC).

المطلب الثالث: مقارنة البعد الاقتصادي للإستراتيجيّة الرّوسية

يعتبر الاقتصاد مصدر قوّة الدّول، وعامل مهم لضمان استمراريتها ومكانتها الدّولية، ولفهم البعد الاقتصادي لإستراتيجية روسيا أكثر لابد من مقارنته عبر مراحل تطوّر الدّولة.

أوّل نقطة يمكن تسجيلها تستحقّ المقارنة هي النّظام الاقتصادي الّذي تميّز بالغموض، كان النّظام الإقطاعي سائدا في الإمبراطوريّة، أي رأسمالي على حد تعبير "تروتسكي"، وكانت تحاول مواكبة الغرب المتقدّم "مختلفة عن الغرب الأوروبي ومتميّزة في الوقت نفسه عن الشّرق الآسيوي"[2]، قائمة على الزّراعة بدل الصناعة، وارتبطت البورجوازيّة الرّوسيّة بالزّراعة عكس البورجوازيّة الغربيّة المرتبطة بالصّناعة[3]، وقد سقط هذا النّظام عن طريق "ثورة" أحدثت قطيعة مع النّظام السّابق، كما اعتبر الاشتراكيّون والدّيموقراطيّون أنّ روسيا القيصريّة "سجن الشعوب" وتمارس الامبرياليّة القيصريّة لتوسيع سلطتها[4].

صاغ الاتّحاد السّوفياتي انطلاقا من الثّورة والقطيعة نظاما اقتصاديا خاصا به قام على تمركز رأس المال من ناحية، وإضفاء الطّابع الاجتماعي على العمل من ناحية أخرى، خلقت الشّروط المادية الضّرورية للاشتراكيّة... والعمّال المتّحدون من خلال مراحل الإنتاج القائمة في ظلّ الرّأسماليّة يتمّ القضاء

* "يفغيني بيرماكوف" وزير خارجية روسيا سابقا، لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على قلعجية ، روسيا الاوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، (لبنان:دار العربية للعلوم ناشرون، 2016) ص ص .44-45.

[1] المكان نفسه.

[2] تروتسكي، تاريخ الثورة الروسية، ج 1، مرجع سابق، ص .22.

[3] المرجع نفسه، ص .24.

[4] كليف، مرجع سابق، ص .139.

عليها تماما بواسطة الاشتراكيّة من خلال إلغاء الرأسماليّين[1]، إضافة إلى ذلك كان الانصهار بين المؤسّسات الرّأسماليّة والإقطاع والأرستقراطيّة في بوتقة واحدة أمرا غريبا ومتناقضا أنتج نموذجا فريدا[2].

وبذلك اختلف النّظام الاقتصادي من رأسمالي إقطاعي خلال فترة الإمبراطوريّة، قائم على ملكيّة الطّبقة النّبيلة "النّبلاء" ورجال الدّين لوسائل الإنتاج خاصّة الأرض، إلى نظام اشتراكي يقوم على ملكيّة جماعيّة "البروليتاريا"لوسائل الإنتاج، وهذا أمر طبيعي فالثورة تحدث قطيعة عادة بعد قيامها مع كلّ أشكال الحكم في النّظام السابق، وقد اعتبر "غورباتشوف" أنّ: "الملكيّة الخاصة هي كما هو معلوم أساس استغلال الانسان للإنسان"، وأبدى قلقه عندما كان سكرتيرا عاما للحزب من اعتراف "إستونيا" بالملكيّة الخاصة واعتبره مخالفا للدّستور[3]، وإذا ما طرح سؤال ما إذا كان الاقتصاد السّوفياتي رأسماليّا أم اشتراكيّا، فلا يمكن الإجابة كونه انتقالي من رأسمالي الى اشتراكي في كنف رأسماليّة الدّولة[4].

انطلق النّظام الاقتصادي في روسيا الاتحادية من إصلاحات البريسترويكا قبل تفكّك الاتّحاد السّوفياتي، ثمّ العلاج بالصّدمة في بداية التّسعينيّات وبذلك خضعت الدّولة لعمليتي اصلاح اقتصادي جذري شامل خلال أقلّ من عشرة سنوات، ما أثّر على باقي القطاعات والمجالات الأخرى، دخلت روسيا اقتصاد السّوق وإنشاء قوّة شرائيّة للمستهلكين، ودعم المؤسّسات المتوسّطة والصّغيرة بغرض جلب الاستثمارات الأجنبيّة[5]، لكنّ البداية كانت صعبة فالخصخصة أثّرت على المؤسّسات الّتي بيعت للخواص بأثمان ضئيلة وخسرت روسيا إلى غاية 1999 حوالي 3 تريليون دولار جرّاء ذلك ما يعادل ضعف ميزانية الولايات المتحدة الامريكية[6]، وقام النّظام الاقتصادي لروسيا على النقاط التالية:[7] (كان ذلك بعد مجيء "بوتين).

1. الانضباط المالي الصارم، والميزانيّات المتوازنة من خلال إصلاحات في هذا الشأن.
2. تخفيض العبء الضريبي، ساهم في ارتفاع مجموع التحصيلات الضريبية.

---

[1] المرجع نفسه، ص.76.

[2] ريتشارد ابجينانزي، اوسكارزاريت، ***لينين و الثورة الروسية***، تر: محي الدين مزيد (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 2003)، ص 29.

[3] هيلبر، مرجع سابق، ص.195.

[4] كليف، مرجع سابق، ص.110.

[5] الامارة، مرجع سابق، ص.195.

[6] تامر هاشم، ***السياسة الدولية والاستراتيجية***، (مصر: المكتب العربي للمعارف،2013)، ص.116.

[7] محمود جودة، ***البحث عن المكانة روسيا بوتين وميلاد نظام علمي جديد***، (مصر: الكتب العربي للمعارف،2016)، ص ص 62-63.

3. خصخصة أنصبة الدّولة في الشّركات، لزيادة الشفافيّة والمنافسة.
4. رفض فكرة الاستغناء عن دور الدّولة في النشاط الاقتصادي.
5. التّركيز على البعد الاجتماعي في السّياسة الاقتصاديّة، حسّن المستوى الاجتماعي للمواطنين.

يبدو خلال هذه النّقاط أنّ النّظام الاقتصادي لروسيا قد قام على ثنائيّتين "ترغيب وترهيب" و"ازدواجية الرّأسمالية والقطاع الخاص" فالانضباط المالي والميزانيّة المتوازنة تعني بالضّرورة تدابير تقشّف تمنع التّبذير وتدعو للتّخلص من الأعباء غير الضّرورية وتخفيف المصاريف للمخالفين، وتحفيز المتعاملين عن طريق تخفيض الأعباء الضريبيّة، وانتقلت روسيا من نمط الدّولة المتدخّلة إلى نمط الدّولة الحارسة، فخصخصة أسهمها سيزيد من المنافسة كما أنّ دخولها كفاعل أو متعامل سيحافظ على التّوازنات الاقتصاديّة، ويجنّب السّوق والاقتصاد الوطني الأزمات والتّقلّبات ويضمن استقراره.

لعبت عدّة قطاعات دورا في تطوير اقتصاد روسيا، فقد كانت الزّراعة أهمّ مورد للاقتصاد خلال فترة الإمبراطوريّة، رغم ذلك لم تحقّق المطلوب، ولم تكن المحرّك الأساس، بل صاحبتها بعض الصناعات والتجارة خاصة بعد المصالحة الّتي قامت بها الإمبراطورة "كاترين الثانية" بين مختلف الفواعل داخل المجتمع، وازدهر الاقتصاد بعد التّحرك العسكري للجيش وضمه لأقاليم في آسيا الوسطى خلال أواخر القرن التّاسع عشر[1].

شهدت روسيا أواخر القرن التّاسع عشر وأوائل القرن العشرين تطوّرا صناعيّا بزيادة إنتاج الحديد حتّى وصل الى 3 ملايين طن في السّنة خلال سنة 1904[2]. منح هذا دفعة للاقتصاد الوطني، وسهّل انتقال الأشخاص والبضائع وخلق حركة تجاريّة، ومع ذلك بقيت الصّناعة متخلّفة عن الزّراعة، كما قرّرت النّقابات العمّاليّة بعد ثورة البلاشفة مباشرة أن تكون وسائل الإنتاج في يدها، حسب ما أعلن برنامج الحزب الشّيوعي في المؤتمر الثّامن للحزب المنعقد بين 8 و13 مارس 1949[3].

استمرّ الاقتصاد السّوفياتي في الاعتماد على الزّراعة، بإنشاء المزارع الجماعية الّتي لاقت معارضة شديدة من طرف ملّاك الأراضي الخواص الّذين كانوا يخفون جزء من إنتاجهم بغرض بيعه لصالحهم بعيدا عن الدّولة[4]، وبذلك دخل الاقتصاد في أزمات عديدة أثّرت على الدّولة وتماسكها، ومع ذلك شهد

---

[1] زيدان، مرجع سابق، ص.22.
[2] محمد صالح، ***تاريخ أوروبا الحديث، (العراق: مطبعة شفيق، 1968)***، ص ص .120-121.
[3] كليف، مرجع سابق، ص.06.
[4] خاطر، مرجع سابق، ص.178.

تطوّرا ملحوظا انتقل فيه من دولة تعتمد على الزّراعة إلى دولة صناعيّة خاصّة بعد اكتشاف ثروات معدنيّة والنّفط[1]. ومع مرور الوقت اشتهر الاتّحاد السّوفياتي بالصّناعات الثّقيلة وصناعات الحديد والصّلب.

نمت الصّناعة العسكريّة في الاتّحاد السّوفياتي وحرّكت الاقتصاد، كما انتقلت إلى لقطاعات الأخرى، رغم ضخامة الاستثمار في القطاع العسكري وتأثيره على خزينة الدّولة بسبب ضخامة الاستثمارات[2]، أدّت الحرب الباردة إلى اعتماد الاتّحاد السّوفياتي على نفسه وحلفائه في تحقيق التّطوّر الاقتصادي القائم على الزّراعة والصّناعة[3]، فالسّياسة الزّراعيّة حسب "غورباتشوف" أثبتت فعاليتها بقوله: "لقد اثبتت الحياة فعاليّة السّياسة الزّراعيّة الّتي انتهجها الحزب"[4] خلال بداية الثمانينيات، ولم يكتف بهذه العبارة بل قدّم أدلّة إحصائيّة تثبت ذلك بقوله "إن معدّل نمو الإنتاج الزّراعي هو أعلى في بلادنا من البلدان الرأسماليّة المتطوّرة، بين عامي 1976 و1980 بلغ المعدل 150% للاتّحاد السوفياتي، 131% للولايات المتّحدة الأمريكيّة، 125% لألمانيا، 127% لإنجلترا" وأضاف في مقال نشرته مجلّة "مشكلات السّلم والاشتراكيّة" أرقاما إحصائيّة حول انتاج الاتّحاد السّوفياتي من القمح بين سنتي 1965 و1980 الّذي زاد بنسبة 57% متخطّيا الولايات المتّحدة الأمريكيّة[5]، وحصد 210 مليون طن سنة 1987، لكنّه تدنّى إلى 195 مليون سنة 1988[6].

أمّا على مستوى الصّناعة حقّق تفوّقا في صناعة الحصّادات الّذي فاق 16 مرّة ما تنتجه الولايات المتّحدة الأمريكيّة، 6.4 مرات من الجرّافات[7]، واستعان بالخبرة الأوروبيّة في الصّناعة فقد استثمرت شركة "فيات" الإيطاليّة ما قيمته 900 مليون دولار أمريكي، وبدى الاتّحاد السّوفياتي كأرض متعطّشة للتّكنولوجيا أو كأرض ميعاد بالنّسبة للباحثين عن فرص الاستثمار[8]، صحيح أنّ الاتّحاد السّوفياتي حقّق نتائج لابأس بها ومع ذلك خلال الثّمانينيّات بدأ يسوده نوع من الغموض بتنامي الانقطاعات عن العمل ما أدّى إلى كبح الاقتصاد، وجمود التطوّر الاقتصادي وانخفاض الدّخل القومي، إلى درجة كاد أن يلامس

---

[1] المكان نفسه.

[2] عبد الفتاح، مرجع سابق، ص.43.

[3] المرجع نفسه، ص.54.

[4] هيلر، مرجع سابق، ص.212.

[5] المرجع نفسه، ص ص 212-213.

[6] المرجع نفسه، ص.210.

[7] المرجع نفسه، ص.215.

[8] هيكل، ص.13.

الركود[1]، وهو ما أطلق عليه "الدولاب الكابح" ولإعادة الحركة للاقتصاد لا بدّ من دفع النّاتج الإجمالي عن طريق الصّناعات الثّقيلة[2].

وقوع الاقتصاد الوطني في أزمة ليس بالأمر الجديد، بل إن دورية الأزمة تكاد تلازم جميع الدّول، لكن الحل يكمن في القطاعات الأولى بالمعالجة، والّتي تكون لها القدرة على الدّفع بعجلة الاقتصاد عن طريق تحريكها لقطاعات أخرى، وهنا يكمن الخلل في تفكير صناع القرار.

وبعد التّعرّف على النّقاط المؤثّرة في اقتصاد روسيا يمكن استنتاج النّقاط التّالية:

1. يوجد اختلاف بين الإمبراطوريّة والاتّحاد السّوفياتي وروسيا في شكل النّظام الاقتصادي، فبعد أن كان قائما على الإقطاع والزّراعة المحتكرة من طرف زمرة النّبلاء ورجال الدّين والعائلة المالكة، تحوّل إلى الاشتراكيّة والملكيّة العامة لوسائل الإنتاج، وقام النّظام الاقتصادي على الصّناعة والتّجارة، بينما اعتمدت روسيا نظام اقتصاد السّوق وتشابهت مع الإمبراطورية في فسح مجال الاستثمار أمام الخواص (الملكية الخاصة)، وأبقت على دور الدّولة في المجالات الحيويّة في تشابه مع الاتحاد السوفياتي، لكنها حقّقت تطوّرا أكثر منهما.
2. تشابه اقتصاد الاتّحاد السّوفياتي وروسيا الاتّحاديّة في أنّ كليهما جاءا بعد أزمة وتفكّك، حيث بني اقتصاد الأوّل بعد ثورة الشّعب وقبلها إصلاحات من طرف القيصر، وبني اقتصاد روسيا بعد تفكّك الاتّحاد السوفياتي، وقبله إصلاحات البرسيترويكا والعلاج بالصّدمة.
3. تشابهت الإمبراطوريّة مع الاتّحاد السّوفياتي في طبقيّة المجتمع واختلفتا في سلطة الطبقة فبعد أن كان التّحكّم في الاقتصاد في يد الأقليّة أصبح في يد الأغلبيّة (البروليتاريا) واختلفت معهما روسيا بالمزاوجة بين القطاعين العام والخاص.
4. تشابهت الإمبراطوريّة مع الاتّحاد السّوفياتي في تدنّي مستوى معيشة الأفراد وانتشار الفقر، عكس روسيا الّتي حقّقت معدّلات لا بأس بها في انخفاض معدّلات البطالة وزيادة نصيب الدّخل الفردي.

اعتمدت روسيا الاتّحاديّة على قطاع الطّاقة، وورثت بداية خسارة كبيرة وصلت لما يقارب 40 % من قيمة اقتصادها بين سنتي 1990 و2000، بلغ انتاج الحبوب سنة 2008 حوالي 108 طن و663 مليار متر مكعّب من الغاز و448 مليار طن من النّفط، وبلغ حجم المبادلات الخارجيّة 763,7 مليار

[1] عبد الفتاح، مرجع سابق، ص.74.

[2] غورباتشوف، ***البريسترويكا*** ...، مرجع سابق، ص.16.

دولار[1]، منذ 2000 الى 2014 وفّر ارتفاع أسعار النّفط 2 تريليون دولار إيرادات إضافية[2]، وتضاعف الاستثمار الأجنبي سبع مرّات كما ارتفعت قيمة التّجارة مع الدّول الأجنبيّة 5 مرّات بين 2008 و2016[3].

استمرّ الاقتصاد الرّوسي في الاعتماد على الصّناعة، فقدراتها الصّناعيّة تضعها في التّرتيب الثّالث في استهلاك الطّاقة بعد الولايات المتّحدة الأمريكيّة والصّين[4]. وتدخل روسيا ضمن الإقتصادات الثمانية الأقوى(G8).

بالمقابل ارتفعت قيمة الصّادرات من 105 مليار دولار سنة 2000 إلى 308 سنة 2014[5]، أي أنّها تضاعفت تقريبا خلال 14 سنة.

[1] بهلول،***إستراتيجية روسيا الاتحادية تجاه الحرب في سوريا(2011-2018)***، مرجع سابق، ص ص.176-177.

[2] European institute for security studies, ***Russian future horizon 2025***,report N°26, March 2016,p.24.

[3] ستيفن وايت، ***مفاتيح السياسة الروسية***، تر :حنان كسروان، (لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،2017)، ص.243.

[4] جودة، مرجع سابق، ص.65.

[5] المكان نفسه.

خلاصة الفصل الأوّل

تمّ التّطرّق في هذا الفصل إلى التّطوّر التّاريخي لإستراتيجيّة روسيا عبر محطّات تاريخيّة مختلفة والوصول إلى أهمّ أبعاد هذه الإستراتيجيّة المتمثّلة في: البعد الجيوبوليتيكي، والبعد العسكري والبعد الاقتصادي، تتفاعل هذه الأبعاد من أجل الخروج بقرار سياسي ترسم من خلاله وتحدّد من خلاله الأهداف.

ولزيادة فهم هذه الإستراتيجية تم مقارنتها من خلال الأبعاد: الجيوبوليتيكي والسياسي والاقتصادي، وبعد دراسة وتحليل كلّ ما سبق، يمكن استنتاج نقاط ثابتة في إستراتيجيّة روسيا، تتمثّل فيما يلي:

– **فكرة القائد:** ظهر شخص قائد في كلّ مرحلة من تاريخ روسيا يتمتّع بشخصيّة كاريزميّة يلتفّ حوله الشّعب، ويعلّقون عليه آمالهم وأحلامهم، ويحمل على عاتقه إصلاحات وإعادة روسيا لمكانتها المعتادة مثل (إيفان الرهيب، لينين،بوتين) لذلك سيكون النجاح الروسي دائما مرهونا بوجود زعيم يقود الثّورة ويسهر على تفعيل الإستراتيجيّة.

– **الجيوبوليتيك:** يعتبر الجيوبوليتيك محرّكا لإستراتيجية روسيا، فعقدة الجغرافيا لازمتها، وظلّ الخروج للمياه الدّافئة حلما يراود صنّاع القرار، اذ خاضت العديد من الحروب لهذا السّبب، الحرب مع الدّولة العثمانيّة من أجل مضيقي الدّردنيل والبوسفور، والحرب مع اليابان، والتّدخل العسكري في جورجيا وأوكرانيا، معتمدة في ذلك على قوّتها العسكريّة يحرّكها طموح إحياء الإمبراطوريّة واستعادة امجادها.

– الصّعود والنّزول في النّظام الدّولي: ما يمكن ملاحظته أنّ روسيا كانت تشهد أزمات تقزّم من دورها في النّظام الدّولي على غرار الثّورة البلشفيّة التي حيّدت روسيا من اتّفاقية "سايكس–بيكو" والتي كان من المفروض أن تحمل اسم "سازونوف–سايكس–بيكو" لكنّها تداركت الأمر وجعلت العالم يقرّ بقوتها خلال الحرب العالميّة الثّانية، إلّا أنّ الاتّحاد السّوفياتي خسر الحرب الباردة في مواجهة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وها هي اليوم روسيا تحاول استعادة ما فاتها،فهي تواجه الغرب تارة على غرار وقوفها ضده في حرب سوريا، وتتعاون معه تارة أخرى بانخراطها في المساعي الدبلوماسية، واجتماعات مجموعة الثّمانية (G8) والحرب الدّولية على الإرهاب، وسعيها لخلق حلفاء عن طريق الانخراط في تكتّلات كالبريكس ومنظّمة التّعاون الإسلامي.

– **العامل القيمي:** كان الهدف الاستراتيجي للإمبراطورية حماية المسيحيين الارثودوكس ورعاية مصالحهم عبر العالم، لكنها انتقلت الى النقيض ونفت فكرة الدين في الاتحاد السوفياتي وسعت لنشر

تعاليم الماركسية ومبادئ الشيوعية القائمة على الالحاد، وفي الحالتين وجدت صعوبات، فلجأت الى تبني العلمانية في دستورها الفيدرالي لروسيا.

– **العامل الاستراتيجي:** تشابهت إستراتيجية روسيا خلال مختلف المراحل في الاعتماد على الجانب العسكري وفوضى الحروب وتقوية الجيش على غرار الإمبراطورية التي خاضت عدة حروب مع الامبراطوريات المختلفة، كاليابان، والامبراطورية العثمانية، بينما خاض الاتحاد السوفياتي الحرب العالمية الثانية، واستمرت روسيا الاتحادية على نفس الخط فقد انخرطت في الحرب الدولية ضد الإرهاب، وتدخلت في روسيا وقبلها أوكرانيا.

الفصل الثاني:

الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجيّة روسيا الاتّحاديّة

الفصل الثّاني: الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجيّة روسيا الاتّحاديّة

تهتمّ الدّول الكبرى بالشّرق الأوسط وشمال إفريقيا بسبب ثرواته، فالعراق لوحدها تمتلك ثلث الاحتياطي العالمي للنفط[1]، كما يحتلّ أهمية جيوإستراتيجية، ومالية كبيرة نتيجة عائدات المحروقات، كلّ هذه المؤهّلات جعلته مركز صراع وتوتّر. تتضارب فيه مصالح القوى الإقليميّة والدّوليّة، لذلك لم يخرج من إستراتيجيّة روسيا الاتّحاديّة الّتي سعت للتّواجد المباشر أو غير المباشر بترتيب أولويّاتها لتحقيق مصالحها بالدّرجة الأولى ودون تصادم مع مصالح غيرها.

وقد بدأت روسيا تستعيد مكانتها تدريجيا خلال مطلع الألفيّة ووصول "بوتين" للسّلطة بعد تراجعها خاصة إبّان حرب الخليج الثّانية 1991/1990 وفقدانها لمكانة القوى العظمى، لأنّها فشلت في منع اجتياح العراق للكويت ولم تستطع إنقاذه من الخطإ الّذي ارتكبه[2]، ثمّ سكتت مرّة أخرى عندما تدخّلت الولايات المتّحدة الأمريكيّة عسكريّا في العراق سنة 2003، ما أثار الرّيبة من سلوك الأولى التي تركت نظام صدّام حسين قائما في المرّة الأولى، ثمّ تدخّلت ضدّه في المرّة الثّانية رغم أنّه لم يكن يستفزّها مثل بعض الدول كإيران ودفعت العديد من الدول لمراجعة علاقاتها مع موسكو كونها لم تعد ذلك الحليف الّذي يمكنه ضمان أمن حلفائه.

حاولت روسيا أن تبقي على الحدّ الأدنى من العلاقات عندما زار وزير الخارجيّة السّابق "أندريه كوزيريف" سنة 1992 المنطقة في محاولة لبعث العلاقات من جديد[3]، إلّا أنه لم ينجح، ومع ذلك مازالت عودة موسكو ضرورة إستراتيجيّة بالنّسبة إليها، يمكن تلخيص هذه الضرورة في النقاط التالية:[4]

- التّأكيد على عدم التّدخّل في شؤون الدّول خوفا من إرساء مبدإ تغيير الأنظمة عبر التّدخّل الخارجي.
- دعم الاستقرار والشّرعيّة في الدّول الصّديقة لروسيا والّتي ترتبط معها بعلاقات اقتصاديّة وعسكريّة وسياسيّة.
- أولوية مكافحة الإرهاب وتنظيماته المتعدّدة على تخوم الاتّحاد الرّوسي لاسيما بعد انتشارها على مساحات واسعة تكاد تكون أكبر تهديد.

---

[1] كينيون غيبسون، ***أوكار الشر دراسة حول آل بوش ووكالة المخابرات المركزية والشكوك حول هجمات 09/11***، (لبنان: الدار العربية للعلوم،2004)، ص.309.

[2] بيرناد لويس، ***مستقبل الشرق الأوسط***، تر: شركة رياض الرئيس للكتب والنشر، (لبنان: شركة رياض الرئيس للكتب والنشر،2000)، ص.16.

[3] إيلينا ميلكوميان، ***العلاقات الروسية الخليجية: البناء على ماضي اشكالي***، (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2016)، ص.05.

[4] مازن جبور، ***"الحراك في سوريا"***، (سوريا: مركز دمشق للأبحاث والدراسات،2016)، ص.03.

- الشّروع في استخدام القوّة العسكريّة المباشرة لحماية أهداف روسيا ومصالحها الحيويّة خارج نطاق أمنها القومي المباشر، وصولا للشّرق الأوسط وشمال إفريقيا.

- العمل على استعادة المكانة الدوليّة وتعزيز المصالح الرّوسيّة في المنطقة تحت تأثير الضّغوط والمخاطر الإستراتيجيّة، لذلك لم يكن من الغريب عودة روسيا للمنطقة بعد ما استعادت الشّعور بأنّها قوّة عظمى لها مكانتها ودورها الّذي يجب أن تلعبه، نظرا لأهمّية الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجيتها.

المبحث الأول: أهمّية الشّرق وشمال إفريقيا في إستراتيجية روسيا الاتّحاديّة

اعتبر "جورج لينزفسكي" (George Lenzawski) في كتابه "الشّرق الأوسط في الشّؤون الدّوليّة" (Middle East in World Affairs) أنّه: "لا يمكن لأي سياسة خارجيّة رشيدة أن تتجاهل الشّرق الأوسط وأثره على بقية مناطق العالم"[1]، من هنا سيتم البحث في أهميّته الاقتصاديّة، الجيوبوليتيكيّة والإستراتيجيّة.

المطلب الأول: الأهميّة الاقتصاديّة للشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجيّة روسيا

يظلّ البعد الاقتصادي مهما في إستراتيجيّة روسيا، حيث بلغت قيمة التّجارة الخارجيّة مع دول المنطقة 37 مليار دولار سنة 2015 ما نسبته 7% من إجمالي التّجارة الخارجيّة الرّوسيّة، وتأتي كلّ من تركيا وإيران في الصّدارة لأنّهما شكّلتا حوالي 80%، وزادت المبادلات التّجاريّة مع إيران بنسبة 70% في 2016.[2]

تتميّز المنطقة بموارد طبيعيّة، أين يوجد فيها ثلثا احتياطي النّفط الخام، وحوالي 15% من الاحتياطي العالمي للغاز في إيران وحدها، تنتج كل من السعودية والجزائر وتونس والمغرب والأردن ثلث الإنتاج العالمي من الفوسفات (حوالي 30%)، و40% من تجارة حامض الفوسفوريك[3]، ويشير تقرير منظّمة الأقطار العربية المصدّرة للبترول "أوابك"* الصّادر سنة 2019، إلى أنّ احتياطي دول المنطقة العربية التي يقع أغلبها ضمن نطاق الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا بلغ خلال 2018 ما يعادل 712,3 مليار

---

[1] ممدوح منصور، ***الصراع الأمريكي السوفياتي في الشرق الأوسط***، (مصر: مكتبة مدبولي، د س ن)، ص.49.

[2] Fondation pour recherche stratégique, **Russias's quest for influend in North Africa and Middle East 2019**, France p.11.

[3] International Monetory Fund, **Growth and stability in the Aiddle east and North Africa**, on web site :http://www.imf.org/external/pubs/ft/mana/04ecom.html. (10/09/2020)

* منظمة عربية إقليمية ذات طابع دولي، تم التوقيع على ميثاقها في مدينة بيروت في 09 جانفي 1969 بين السعودية والكويت وليبيا. تتعاون الدول الأعضاء في مجال طاقة البترول والغاز لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على الموقع الإلكتروني: http://www.oapecorg.org/ar/Home/About-Us/History(10/09/2020)

برميل أي حوالي 57,1% من الاحتياطي العالمي البالغ 1248,1 مليار برميل، بينما شهد احتياطي الغاز الطّبيعي 54,6 تريليون متر مكعّب، أي ما يقارب 27,1% من الاحتياطي العالمي.

تبيّن الإحصائيّات المقدّمة أهميّة المنطقة، فهده الإمكانيّات تجعلها ذات تأثير بالغ في العلاقات الدّولية بصفة عامة، وروسيا التي تمثّل منافسا لها في مجال الطّاقة بصفة خاصّة، وعلى صعيد إنتاج النّفط والغاز بلغ الإنتاج عام 2018 نحو 29,2 مليون برميل يوميا أما الغاز الطبيعي بلغ انتاجه حوالي 597,2 مليار متر مكعّب، أمّا في إطار النّشاط الاستكشافي، تمّ اكتشاف 112 اكتشافا جديدا، 76 للنّفط و36 للغاز[1].

يبلغ عدد سكّان المنطقة حوالي 400 مليون نسمة سنة 2018، وتمثّل بعض دولها الأكبر دخلا في العالم بسبب مواردها الطّبيعيّة لا سيما النّفط والغاز[2]، كلّ هذه المؤهّلات المذكورة سلفا تدلّ على ارتفاع الدّخل الوطني الإجمالي خاصّة إذا ما قورنت بعدد السّكّان، وتجعل المنطقة تحتلّ مكانة كبيرة في إستراتيجيّة روسيا من النّاحية الاقتصاديّة للأسباب التّالية:

– وفرة المواد الطّبيعيّة يجعل من دول المنطقة قوى ماليّة ما يرفع معدّل الاستهلاك، ويجعل منها سوقا كبيرة للاستثمار في مجالات مختلفة، لذلك يجب بناء علاقات جيّدة تسمح للمستثمرين الرّوس والشّركات بالاستثمار والحصول على امتيازات.

– وفرة الموارد الطّاقوية، الّتي تشكّل نسبة كبيرة من صادرات روسيا خاصّة الغاز يجعلها تولي أهمّية قصوى للمنطقة من أجل ضمان مستوى مقبول من الأسعار، فبعض الدّول كالجزائر وقطر يعدّان أكبر منافس في سوق الغاز، لذلك يجب التّنسيق معهما وغيرهما من الدّول المصدّرة للبترول والغاز من أجل تقاسم السّوق بما يخدم مصالح روسيا في حدود الأسعار المقبولة.

– تتوجّه حكومات المنطقة للاستثمار خارج المحروقات من أجل تنويع اقتصاداتها يشجّع روسيا على التّعاون وتبادل الخبرات، ما يعمّق العلاقات السياسيّة، وينتج مجالات واسعة في مستقبل التّعاون الاقتصادي خاصّة.

– تنظر روسيا إلى المنطقة من زاويتين جاءت الأولى في طموح الكرملين العودة للسّاحة الدّوليّة والثّانية ترجمة ذلك الطموح في وثيقة "إستراتيجيّة الأمن القومي الرّوسي" الصّادرة في 2015.

[1] الكويت، ***منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، التقرير الاحصائي السنوي 2019***، ص.c.

[2] Filand, Ministry for foreign affairs, strategy for development cooperation, ***the midlle east and north africa 2017-2020***, 2020, p.03.

وتعتبر المنطقة بمثابة أكبر دعاية للإستراتيجيّة الرّوسيّة في ظلّ ما تشهده الأولى من أحداث بعد سنة 2010، ففرض النّفوذ الرّوسي سيقلّل من النّفوذ الغربي فيها، حيث أنّ النّظرة الإستراتيجيّة تشير إلى أن توازن القوى العالمي يتجه نحو الدول الأقرب إلى روسيا[1].

تحسّنت العلاقات الرّوسيّة مع دول المنطقة تدريجيا، فقد زادت الصّادرات نحو مصر بنسبة 149,68% بين 2000 و2007، وتضاعفت الصادرات نحو الأردن عشرة أضعاف خلال نفس الفترة أما تركيا فقد بلغت 42,5% بين 2000 و2015[2].

تسعى موسكو إلى تجاوز العقوبات المفروضة عليها وتعويض خسائرها بتعميق الشّراكة الاقتصاديّة مع دول المنطقة بالأخصّ مع تركيا الّتي بلغت قيمة وارداتها من روسيا سنة 2015 حوالي 20,33 مليار دولار أمريكي[3]. وترى في المنطقة شريكا اقتصاديا فهما يمتلكان معا 60% من احتياطي النّفط، 63% من احتياطي الغاز وينتجان معا 50% من النّفط العالمي و40% من الغاز، وبالتّالي فهما يعانيان من تحدّيات مشتركة تجعل من التّعاون جذابا أكثر من المنافسة، وتتمثل هذه التّحدّيات فيما يلي:[4]

– يصف الاقتصاديّون النّفط في روسيا والمنطقة بنقص المرونة تجاه التغيّر في الأسعار، عكس النّفط الأمريكي الّذي يتمتّع بمرونة تجاه تقلّبات الأسعار ما يهدّد بفقدان حصّة السّوق لصالح الشّركات البترولية الأمريكيّة.

– يمثّل تغيّر المناخ تحديا لروسيا والمنطقة، بسبب حتمية التوجه نحو الطاقات المتجددة البديلة عن الموارد الأحفورية، ما سيؤدي إلى تراجع الطلب على المحروقات التي تسبب تلوث البيئة، وعكس الأولى التي يتميز مناخها بالبرودة، ونقص أشعّة الشّمس سيحوّلها إلى مستوردة للطّاقة، فإنّ مناخ الثّانية حار يوفّر الطّاقة الشّمسيّة.

– ضرورة السّيطرة على أسعار النّفط والغاز عن طريق ضبط الإنتاج وتحديده وفقا للعرض، حيث تنتج 14 دولة من دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا 83% من انتاج النفط لمنظمة الدول المصدرة للنفط (Opec)، السعودية كأكبر منتج داخل المنظمة، وروسيا خارجها.

---

[1]Igor Sutyagin, ***Russian policyin the middle East and North Africa- some forces***, IE med mediteranian yearbook, (spain,2017), p.107.

[2]Christopher A.Hartuell, « Russian economic policy in the MENA region :a means to political ends » in Aleksandra chmielewska, ***the role of Russiain the Middle East and North Africa region. Strategy or apportunism?***(Spain: ministry of forgeign affairs and cooporation, 2019), p.93.

[3]Ibid, p.94.

[4] Carole Nakble, « Russia's energy diplomacy in the middle east », in nicu poperscu and stanislav sercieu, ***Russia's return in the Middle East building sandcastles?***, (Luxembourg : Ev institute for security studies,2018), p.29.

تستثمر الشّركات الرّوسيّة المتخصّصة في مجال الطّاقة داخل دول المنطقة على غرار شركة (Novatek) الّتي تستثمر في السّعودية خاصة، كما ساعدت شركة "غاز بروم" (Gazprom) إيران في بناء أوّل مصنع للغاز الطّبيعي المسال سنة 2017، وبناء خط أنابيب الغاز الإيراني - الباكستاني - الهندي[1]. وتستثمر شركة (PJSC lukoil) في السّعودية وإيران والعراق، أين تمتلك هذه الشّركة احتياطي يقدر بـ 14,5 مليار برميل[2].

لا يعتبر مجال الطّاقة المجال الوحيد الّذي تنبع منه الأهميّة الاقتصادية للشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجيّة روسيا، فدول العالم تتبادل تجاريّا معها بشكل كبير. فقد انتقلت قيمة المبادلات التّجاريّة بين الجزائر وروسيا من 1337 مليون دولار أمريكي خلال 2010 إلى 3974 مليون سنة 2016، أمّا مصر انتقلت من 2191 مليون في 2010 إلى 4156 سنة 2016. وانخفضت المبادلات التّجاريّة مع العراق من 99.6 مليون دولار سنة 2011 إلى 917 سنة 2016، والشّيء نفسه مع سوريا من 1158 مليون سنة 2010 إلى 193 مليون فقط سنة 2016[3]، الملاحظ من هذه الاحصائيّات أنّ المبادلات التّجاريّة ارتفعت بل تضاعفت مع دول المنطقة المستقرّة نوعا ما بينما انخفضت مع الدّول الّتي تعاني من مشاكل أو حروب، وهذا يؤكّد أنّه كلّما زاد الاستقرار السّياسي ارتفع حجم المبادلات التّجاريّة وتحسّنت الأوضاع الاقتصاديّة.

تمثّلدول المنطقة زبائن مهمّين في استيراد الأسلحة الرّوسية الّتي تصدّر أسلحة ارتفعت من 22% على المستوى العالمي سنة 2013 إلى 23% سنة 2017[4]، أمّا حصّة الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا من هذه الصّادرات تبلغ حوالي 26%، وتعتبر كلّ من سوريا والجزائر ومصر أكبر المستوردين[5]، ومن الأسباب الّتي تجعل المنطقة مهمّة في إستراتيجيّة روسيا ارتفاع الإنفاق العسكري في دول المنطقة على غرار الجزائر الّتي تبلغ ميزانية دفاعها لسنة 2020 حوالي 11,5 مليار دولار ما يعادل 12,3 مليار دينار جزائري في حين يبلغ المجموع العام للميزانيةما يقرب 49 مليار دينار جزائري[6]، أي حوالي 25,1% من الميزانيّة السّنويّة تستهلكها وزارة الدفاع الوطني.

---

[1] Ibid, p.21.

[2] كمال ديب، ***لعنة قايين حروب الغاز من روسيا وقطر إلى سوريا ولبنان***، (لبنان:دار الغرابي،2018)، ص.235.

[3] Nikolay Kozkanov, ***Russian policy Across the Middle East motivations and methods***, (England : chathan house, the royal institute of internationak affairs,2018), p.31.

[4] Stokholm international peace research institute, SIPRI yearbook, 2018, armemant, desarmenant and international security, https://www.sipri.org/yearbook/2018/05 , (06/07/2018)

[5] Alexandra Kuimova, **Russia's arms exports to the MENA region: trends and drivers**, Italy,Italian institute forinternational political studies,N=°95,2019, pp.02-03.

[6] الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، ***ميزانية التسيير للدوائر الوزارية لسنة 2020***، ع81، 2019/12/30، ص.51.

يبين الجدول التالي حجم الصّادرات الرّوسيّة نحو المنطقة إضافة إلى الواردات والميزان التجاري بين 2010-2018.

جدول رقم 02: حجم المبادلات التجارية بين روسيا الاتحادية ومنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا خلال الفترة الممتدة بين (2010-2018).

السّنة	الصّادرات Exports/ دولار	الواردات Imports/ دولار	الميزان التّجاري Balance of Trade/ دولار
2010	13.605.028.790	2.004.398.700	+11.600.630.0900
2011	17.412.894.370	3.047.598.100	+14.365.296.270
2012	18.103.161.750	3.379.934.980	+14.723.226.770
2013	17.538.184.830	3.914.731.400	+13.623.453.430
2014	17.830.665.540	3.421.300.790	+14.409.364.750
2015	14.438.344.110	2.487.629.990	+11.950.714.120
2016	18.808.093.560	2.711.056.160	+16.091.037.400
2017	24.022.780.170	2.991.599.830	+21.031.180.340
2018	27.241.057.300	3.129.819.490	+24.111.237.210

المصدر: تصميم الباحث بالاعتماد على احصائيات البنك الدولي https://wits.worldbank.org/

تبيّن إحصائيّات الجدول أنّ الصّادرات الرّوسية نحو الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا تتفوّق على الواردات، فقد بلغت سنة 2010 أكثر من 13,5 مليار دولار كصادرات مقابل حوالي 2 مليار واردات كما ارتفعت خلال سنة 2011 إلى أكثر من 17 مليار دولار أمريكي بزيادة قاربت 4 مليار دولار بينما زادت قيمة الواردات بحوالي مليار دولار فقط، واستمرّت في الارتفاع خلال سنة 2013 حيث فاقت قيمة الصّادرات 17.5 مليار دولار بينما لم تتجاوز الواردات 4 مليار، ورغم الانخفاض خلال سنتي 2014 و2015 ووصولها إلى حدود 14,4 مليار دولار خلال 2015، لكنها عاودت الارتفاع خلال 2016

و2017، و2018، لتصل إلى 27,2 مليار دولار في حين بلغت قيمة الواردات لنفس السّنة حوالي 3,1 مليار. وممّا سبق يمكن استنتاج النّقاط التّالية:

– ارتفاع قيمة الصّادرات من سنة 2010 إلى 2018 بالضّعف من حوالي 13 إلى 27 مليار دولار، ما يدلّ على عودة قويّة لروسيا في منطقة الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا.

– لم تتجاوز قيمة واردات روسيا من المنطقة منذ سنة 2010 حتى سنة 2018، 3,13 مليار دولار وذلك يرجع إلى نقص تنوّع اقتصاد المنطقة القائم بشكل كبير على موارد البترول والغاز، وهذه الموارد لا تستوردها روسيا.

– يحقّق الميزان التّجاري لروسيا مع المنطقة مكاسب مستمرّة، حيث لم يشهد عجزا منذ 2010 إلى 2019، بل أكثر من ذلك فقد تضاعف (من حوالي 11+ إلى 24+ مليار) أي حوالي 220% خلال نفس الفترة.

– ارتفاع كبير ومتسارع لقيمة صادرات روسيا للمنطقة مقابل ارتفاع ضئيل لقيمة الواردات (حدود 3,13 مليار) أي حوالي 12% من قيمة المبادلات التّجارية (الصادرات + الواردات).

المطلب الثّاني: الأهمّية الجيوإستراتيجيّة للشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجيّة روسيا

يأتي التّحرّك الرّوسي في المنطقة من طلب المكانة العالميّة، والتجارة، والاستقرار الإقليمي[1]، لكنّ الواقع يبيّن عكس ذلك، إذ يوجد مناطق أخرى ليست بنفس مكانة الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا. واعتبر "دوغين" أن المنطقة تدخل ضمن نطاق "الخارج القريب"* المتكوّن من ثلاثة عوالم جيوبوليتيكيّة (إيران الفارسيّة، تركيا العلمانيّة المتعصّبة قوميا –حسبه–، والصّيغة الثّيوقراطيّة للسّعوديّة)، وهذه المنطقة ذات صراع بين قوّتين جيوبوليتيكيّتين، وهو النّطاق الصّحي[2]، الّذي يجب أن يبقى مستقرّا حتّى تستقرّ معه الإمبراطوريّة المنشودة، تقع المنطقة حسب الفكر الجيوبوليتيكي الرّوسي ضمن المنطقة السّاحليّة "ريملاند" (Rimland) ما يجعلها مترامية بين قوّتين، الأرض والبحر، وفيها يلتقي توجّهان متعارضان، التّوجّه نحو الغرب (أمريكا) والتّوجّه نحو الشّرق (روسيا)[3].

[1] James Sladen and others**. Russian strategy in the Middle East**, USA, RAND corporation, 2017, p.03.

* يقصد دوغين بالمناطق التي تقع مباشرة بعد حدود إمبراطورية أوراسيا التي ينظّر لقيامها.

[2] دوغين، ***أسس*** ...، مرجع سابق، ص.491.

[3] Alexander Daugin, ***last war of the worldIsland the geopolitics of contomporaiy Russia***, (England: arktos, 2015), p.65.

يبدو هذا التّحليل منطقيّا في شقّه المتّعلّق بأنّ المنطقة منقسمة بين القوّتين (أمريكا وروسيا) كالسّعوديّة الحليف الأمريكي وإيران والجزائر حليفا روسيا، ولكنّ هذا التّحليل قاصر في رؤيته المتعلّقة بانتماء المنطقة "للرّيملاند" أي "حواف الأرض"، فهذه النّظرة مدحوضة واقعيا، فلا يوجد منطقة على سطح الأرض تربط برّا بين ثلاث قارات (أوروبا، آسيا، وإفريقيا)، ولا يمكن السّير برّا عبر أطول خطّ برّي يمكن تتبّعه من أقصى جنوب إفريقيا إلى أقصى الشّمال الغربي لروسيا إلا عبرها. كما أنها تقلّص المسافات البحريّة عن طريق المضايق الموجودة فيها، وبالتّالي فإنّ اعتبارها "حافة الأرض" يعتبر خطأ إستراتيجيا قد يكلّف روسيا الكثير في حال الأخذ بهذه الفكرة، فكلّ المؤهّلات تجعل المنطقة في أولوية إستراتيجيّة للقوى الكبرى وتسعى دائما للتّواجد فيها.

تتلاقى الطّرق البحريّة والجوّية الّتي تربط أوروبا بآسيا وإفريقيا والمحيط الهادي، بينما يتمّ تصدير موارد الطّاقة عبر مضيق "هرمز" وجبل طارق وقناة السّويس، ويضمن البحر الأبيض المتوسّط لربع سكّان العالم نقل البضائع، وتتلقّى مصر 2 مليار دولار سنويّا رسوم استخدام قناة السويس[1]، لذلك فإنّ أيّ توتّر في المنطقة سيؤثّر على الأوضاع الجيوإستراتيجيّة في العالم، فعندما هددت إيران بغلق مضيق هرمز في 2019 اهتزّت أسعار النّفط وسارعت الدّول لتهدئة الأوضاع.

تأتي عودة روسيا كقوّة جيوبوليتيكية بعد التّوتّرات الّتي تشهدها المنطقة، ولن تجد صعوبة في فرض عودتها لسببين، الأوّل أنّ الإقليم يجاور الحضارة الأرثدوكسيّة السّلافيّة الّتي تنتمي إلى الدّائرة الأولى للأمن القومي الرّوسي، والثّاني وجود حكومات معادية للولايات المتّحدة الأمريكيّة حسب المفكّر الأمريكي "صامويل هانتنغتون" (Samuel Hintingtun) كإيران، العراق وليبيا، لذلك أكّد "بول ولفوتس" (مستشار الأمن القومي الأمريكي) على: "ضرورة الحيلولة دون ظهور قوّة إستراتيجيّة ... يمكنها أن تقف في وجه الولايات المتحدة"[2].

تتّخذ موسكو من بعض الدّول حليفة إستراتيجيا وتسعى لتعميم ذلك على دول أخرى في إطار مشروع جيوبوليتيكي "أوراسيا الجديدة" تسعى من خلاله لتحقيق أهدافها. وترى بأنّها تشترك مع هؤلاء الحلفاء في العداء للغرب العلماني[3]، سيجد هذا المشروع صعوبات تحول دون تحقيقه، فليست كلّ فواعل المنطقة معادية للغرب، كالسّعودية والكيان الصّهيوني والإمارات، بالمقابل لا تتمتّع الدّول الّتي تعتبرها روسيا

---

[1] ***Место арабск Их СТрaН В С ИСТЕМЕЖДУНАРОДНЫХ ОТНШЕН И И***

مكانة الدول العربية في منظومة العلاقات الدولية، على الموقع الالكتروني: http://www.iimes.ru/?p=8426, (20/09/2020)

[2] دوغين،أسس ..، مرجع سابق، ص.162.

[3] المرجع نفسه، ص.200.

حليفة بالاستقرار على غرار إيران وليبيا وسوريا، كما أنّ دولا أخرى تنوّع في علاقاتها، فلا يمكن تجاهل العلاقات المصريّة الأمريكيّة، أو العلاقات الجزائريّة الفرنسيّة، وأمّا عن علمانيّة الدّول الغربيّة (الأطلسيّة) تحاول روسيا استغلال ذلك نظرا لارتفاع عدد المسلمين فيها (حوالي12% من عدد السّكان مسلمين)، إلّا أنّها علمانية هي الأخرى دستوريّا. من هذا المنطلق فإنّ الحجج الّتي تقدّمها لن تؤثّر كثيرا على الواقع.

ترفض موسكو النّظام الأحادي القطبيّة وتكرّس جهودها لفرض نظام عالمي جديد، فالأحادية القطبيّة تؤدّي بالمشروع الرّوسي إلى "العدم التّاريخي" (بمعنى استحالة تحقيق المشروع على أرض الواقع)، وينتقل الصّراع الجيوبوليتيكي بالنّظام الدّولي من نظام ثنائي إلى متعدّد تبرز فيه دول المنطقة كقوى مركزية[1] خاصة ما يتعلق بحلفاء روسيا لن يكون ذلك سهلا، فالولايات المتّحدة أيضا لها حلفاء وستحاول فرض منطقها، بالرغم من اعتراف العديد من المفكرين على غرار "ستيف بانون" مستشار الأمن القومي السّابق للرّئيس الأمريكي "دونالد ترامب" و"جوزيف ناي" (Joseph Nye) بأنّ القرن الواحد والعشرين لن يكون أمريكيّا (the over of American century) أو نهاية القرن الأمريكي، من هنا تسعى روسيا لتعويض قصورها الجيوبوليتيكي وعقدة المياه والبحار الدّافئة، وعزلتها عن المياه الدّوليّة عن طريق دول المنطقة لضمان مكان في البحار ذات الأهمّية الإستراتيجيّة على غرار البحر الأبيض المتوسّط والخليج العربي/ الفارسي، ولن تكون متكاملة من النّاحية الجيوبوليتيكيّة إلّا بضمان ولوج دائم للبحار الدّافئة، وملاحة بحريّة طول السّنة.

تحظى المسطّحات المائيّة والمضايق في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا بأهمّية كبيرة في إستراتيجيّة روسيا مثل مضيق هرمز الذي يعبر عن طريقه أكثر من 1/6 من نفط العالم (16,5–17 مليون برميل يوميا)، أي حوالي 40% من إجمالي النّفط المنقول بواسطة النّاقلات، باستثناء السّعودية الّتي ليست ملزمة بالمرور عبر هذا المضيق فإنّ دولا مثل العراق والكويت وقطر والبحرين ليس لديها خيار سوى ذلك المضيق، 88% من نفط السّعوديّة، 98% من نفط العراق، 100% بالنّسبة لقطر والإمارات تمرّ عبره[2]. كما أنّ واردات دول الخليج تمرّ عبره أيضا ما أعطاه أهمّية جيوإستراتيجية للقوى الدّولية أو الإقليميّة عامّة وروسيا خاصة، وفي هذا الشّأن صرّح نائب وزير الخارجيّة الرّوسي "سيرغي ريباكوف" (Sergi Ryabakov) بأنّه من أجل الحد من التّوتّرات الّتي يشهدها المضيق والمنطقة، أطلقت روسيا خطة أمنيّة

[1] المرجع نفسه، ص.202.

[2] على قاسمي، ***ژئوپليتيک تنگه هرمز و مزايای امنيتی - اقتصادی آن برای ايران***، روزنامه بصيرت، 16 سبتمبر 2012. علي قاسمي، جيوبوليتيكا مضيق هرمز وفوائده الاقتصادية والأمنية لإيران، جريدة البصيرة، 16 سبتمبر 2012، متوفر على الموقع الالكتروني: http://bassirat.ir/fa/news/246202/, (22/09/2020)

جماعيّة تهدف إلى إنشاء منظمة أمنيّة بمشاركة الجيران والأعضاء الدّائمين في مجلس الأمن، وهي خطّة تتشابه مع خطّة "سلام هرمز" أطلقها الرّئيس الإيراني السابق حسن روحاني[1].

تشير الدّراسات إلى وجود 700 مليون متر مكعّب من الغاز الطّبيعي في المنطقة الاقتصادية الخاصّة بلبنان، وحسب هيئة الكشف الجيولوجي الأمريكي يوجد 3,5 تريليون متر مكعب من الغاز في شرقي المتوسّط[2].

ترى الدّول الأوروبيّة أنّه من الضروري كسر تبعيّتها من الغاز عن طريق الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعيدا عن روسيا الّتي تراهن على النقل بالأنابيب الأقلّ تكلفة من النّقل البحري، لذلك فإنها لن تسمح بتمرير أنابيب عبر دول المنطقة نحو أوروبا وهو ما أعرب عنه "بوتين" صراحة سنة 2005 أن دور روسيا في مجموعة الثّمانية (G8) سيكون في "أمن الطّاقة" في العالم، لذلك لا تتردّد في استعمال الطّاقة لتحقيق أهدافها[3].

لا تقتصر أهمّية الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا لدى روسيا على الجانب الجيوبوليتيكي وحسب، بل تتعداه لتشمل الجانب الإستراتيجي، الّذي يمكن استغلاله في الجانب العسكري العملياتي، نظرا للخصائص الطبيعية التي تتمتّع بها المنطقة، وعند مراجعة التّاريخ يمكن ملاحظة أن الحروب الرّوسية التّركية كانت لأسباب جيوبوليتيكية بامتياز، فالسّيطرة على المضايق التّركية لطالما كان الهدف الرّئيس لتلك الحروب على غرار حرب القرم (1853-1856) للسيطرة على البحر الأسود وما وراءه[4]، من هذا المنطلق تحاول موسكو تحقيق مصالحها ببناء شراكة متميّزة مع دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لضمان عبور سلس لسفنها لاسيما بعد العقوبات المفروضة عليها، وهو ما عبّر عنه وزير المالية الرّوسي "أنطون سيلوانوف" بقوله: "إنّنا نخسر نحو 40 مليار دولار أمريكي سنويا بسبب العقوبات الجيوبوليتيكية"[5].

---

[1] رياباكوف: روسيه از طرح امنيتى ايران براى تنگه هرمز حمايه من كند،18 شهر يور 139. الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مكتب موسكو العالمي، رياباكوف: روسيا تدعم خطة إيران الأمنية لمضيق هرمز، 17 نوفبر 2009، متوفر على الموقع الالكتروني:https://fr.irna.ir/a/np/83546040(23/09/2020) ,

[2] ديب، مرجع سابق، ص ص.205،206،207.

[3] المرجع نفسه، ص.157.

[4] عماد يوسف قدورة، ***روسيا وتركيا علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية***، (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، 2015)، ص ص.03-04.

[5] المرجع نفسه، ص.06.

لا بد أيضا من القضاء على تبعات اتفاقية "لوزان"* الموقّعة في جويلية 1923 التي تنصّ في أحد بنودها على وضع قواعد مرور في المضايق المائية التركية واعتبارها ممرّات دولية لا يجوز لتركيا تحصيل رسوم مرور السّفن المارة عبرها[1]، تسوّق تركيا لأن سريان مفعول الاتّفاقية سينتهي بحلول سنة 2023 رغم أنه لم يرد هذا التاريخ لا صراحة وضمنيا في بنود الاتفاقية، وسيعتبر ذلك في حال وقوعه انتصارا لموسكو في المنطقة كونها ستضمن نظام محاباة على الأقلّ لسفنها اعتمادا على علاقاتها الطيبة مع تركيا.

ستزداد الأهمّية الجيواستراتيجية للمنطقة نظرا للحروب الدّائرة فيها، حرب اليمن، حرب سوريا، حرب ليبيا، والاكتشافات التي ظهرت في المنطقة (مصر، فلسطين، سوريا، لبنان والكيان الصهيوني) والمتعلقة بالتنقيب عن الغاز والحقول الكبيرة المكتشفة سيكسر الهيمنة الرّوسية على سوق الغاز وسيقلّل من تبعيّة أوروبا وتتنوّع مصادر تموينها.

حذّر "بريجنسكي" من النّمو السّياسي والقوّة الجيوبوليتيكيّة المتعاظمة لروسيا، وطالب صنّاع السّياسة الخارجيّة الأمريكيّة بالمحافظة على اهتمامهم بالبعد الجيوبوليتيكي ويجب أن تحذو حذو الإمبراطوريّات الكبرى في السّيطرة على نقاط المرور الاجباريّة الرئيسة على غرار جبل طارق وقناة السويس[2].

لا يمكن تغييب منافس يبدو حليفا لكنه يحمل طموحا جيوبوليتيكيّا يفرضه التّاريخ وحلم استعادة الأمجاد، إنّه تركيا الّتي بدأت بترديد عبارة "العالم التركي من الأدرياتيكي حتى سور الصّين العظيم"[3]. وفي سبيل ذلك استطاعت أنقرة صنع علاقات مع ثلاث قوى، حلف الأطلسي والاتّحاد الأوروبي ومنظّمة المؤتمر الإسلامي، وترى في المنطقة نفوذا وامتدادا طبيعيّا لتاريخها، يظهر ذلك في تدخلها خلال حرب سوريا لإقامة مناطق عازلة وحرب ليبيا، حيث ستتغيّر الخريطة السّياسيّة لكلّ من سويا والعراق بضمّ أقاليم لصالح تركيا في حال استمرار الوضع على ما هو عليه، أو ستكسب مزيدا من المصالح الإستراتيجيّة أين يمكن رؤية سعيها بوضوح وحرصها على عزل بعض المناطق بغرض الاستيلاء عليها بعد تحييدها وستستغلّ التّاريخ في ذلك متحجّجة بالتّبعات السلبية لاتّفاقيتي "سيفر" و"لوزان" الّتي يجب أن تتخلّص

---

* اتفاقية ألغت اتفاقية "سيفر" فرضها المنتصرون في الحرب العالمية الأولى على الدولة العثمانية تتكون من 143 مادة على وثيقة وميثاق ملحق. لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على الموقع الالكتروني: https://www.orientresearchcentre.com (20/09/2020)

[1] المرجع نفسه.

[2] المرجع نفسه، ص.05 ـ 37.

[3] أحمد داود أوغلو، ***العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية***، تر: محمد ثلجي وطارق عبد الجليل،(قطر: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011)، ص ص.247،249.

منها وتستعيد ما تراه حقّها، ولا يخلو المشروع التركي من الفكرة الدينية من أجل نشر الفكر الإخواني بمساعدة قطر.

يوجد حليف آخر يحمل أيضا طموحا جيوبوليتيكيّا ألا وهو إيران الّتي تلعب دورا إقليميّا من أجل استعادة أراضي الإمبراطوريّة الفارسيّة، ونشر الفكر الشّيعي في مشروع جديد يتمثّل في تصدير الثّورة و(الهلال الشّيعي) يمرّ عبر كلّ من سوريا والعراق ولبنان وإيران يضمن تمركزا في البحر الأبيض المتوسّط والخليج الفارسي/العربي.

تتمثّل الأهميّة الإستراتيجيّة للشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في النّقاط التالية:

– المساحة الكبيرة الّتي تحتلّها المنطقة تمكّن من نشر قواعد عسكريّة وقريبة من بؤر النّزاع والحروب والمناطق الإستراتيجيّة.
– تنوع تضاريس المنطقة وتنوّع المناخ يساعد على إجراء تدريبات ومناورات عسكريّة برّية أو بحريّة.
– صلاحية أجواء المنطقة ومياهها للملاحة في فترات طويلة خلال السنة نظرا لاستقرار الجو نسبيا مقارنة بأقاليم أخرى.
– يتمتّع الإقليم بأهمّ الممرّات البحريّة، ما يسهّل عمليّة التنقّل في حال كسب دول المنطقة كحلفاء.

كلّ ما سبق يضاف إليه كثرة الدّول وتنوّع عقائد جيوشها ومصادر أسلحتها، يوفّر خبرات كبيرة للجيش الرّوسي ما يوفّر مصدر معلومات عن الأسلحة غير الرّوسية بغرض معرفة نقاط قوته وضعفه من أجل تطويره، ومع الدول التي تستخدم أسلحة روسيّة على غرار الجزائر الّتي تملك خبرة كبيرة في مكافحة الإرهاب خاصة والتهديدات اللاتماثلية عامة، ويتيح فرصة لتجريب عدة أنواع في حروب ميدانيّة حقيقيّة وليست مناورات مثل سوريا وليبيا واليمن.

المطلب الثالث: الأهمية السياسية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا في استراتيجية روسيا

يقع الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا بالقرب من المجال الحيوي لروسيا ، لذلك فصنّاع القرار يدركون أهمّيته في سياستهم، وأنّ أيّ استقرار أو اضطراب سياسيين سيؤثّران بطريقة أو بأخرى على الاستقرار السياسي في روسيا، لأنّها ترى أن الإسلام المتطرّف (Radical Islam) صناعة أمريكو–بريطانية حين أحسّت بتفوّق الميول الاشتراكية لدول المنطقة، واستعملتا خاصة "الوهابيين" –حسبهم– الّذين كانوا سائدين في المملكة العربيّة السّعوديّة لمواجهة البلدان الإسلاميّة الاشتراكيّة أو البعثيّة[1]، واعتبرت أن المواجهة لا

[1] Daugin, ***last..***, op.cit, pp.62-63.

تكون إلّا عن طريق إحياء التّحالفات القديمة، وتنشيط العلاقات بين موسكو وطهران وهذه هي الإستراتيجيّة الوحيدة المناسبة لموسكو على حد تعبير "بوتين": "... ونحن مستعدّون للقيام بأفضل ما في وسعنا لدعم ذلك"[1].

عرفت المنطقة منذ سنة 1990 حروبا دوريّة لأسباب داخلية متعلّقة بالبنى الأساسية للأنظمة السّياسيّة، وعلاقة الحكّام بالشّعوب والنّظام الإقليمي من جهة أخرى، فالاختلافات الإيديولوجيّة والمصلحيّة بين دول المنطقة غزّزت هذه الفرضية، من بينها الخلاف السّعودي الإيراني، نزاعات جيوبوليتيكيّة، النّزاع الإماراتي الإيراني، والنّزاع العربي الصّهيوني، كلّ هذه النّزاعات وغيرها لن تؤدي إلى استقرار المنطقة ومنذ سنة 1990 لغاية 2021 لم تعرف المنطقة سنة واحدة ليس فيها حربا أو نزاعا أو توتّرا.

جاء في وثيقة "مفهوم السّياسة الخارجيّة لروسيا الاتّحاديّة" (Foreign policy concept of the Russian Federation) المنشورة بتاريخ 30 نوفمبر 2016 بأن التّهديد المتزايد للإرهاب الدّولي في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا، وانتشار الفكر المتطرّف جاء نتيجة التّدخّلات الخارجيّة، ومشاكل التّنمية، أدّى إلى ظهور "تنظيم الدّولة" الإرهابي[2]، وقد دعت إلى إقامة تحالف دولي لمواجهة هذا التّنظيم والإرهاب الدّولي عموما.

عززت الأوضاع في المنطقة بعد 2010 من أهميتها، فهذه فرصة لإضعاف موقع الغرب[3]، وتعزيز مكانة موسكو في النّظام الدّولي الّذي تراه متعدّدا وتراه الولايات المتّحدة الأمريكيّة أحاديا، يحرّك موسكو طلبها للمكانة العالميّة، ولا تحفّزها رؤية معيّنة تجاه المنطقة، بل اعتقادها بأنّها قوة عالمية، يجب أن تلعب دورا في أي مكان وأن تبقى قريبة من الأحداث[4]، لكنّ ما حدث بعد 2010 جعل الكرملين يعيد حساباته، فالمشاكل الدّاخليّة وحتّى البينيّة تطوّرت في بعض الأحيان إلى حرب دوليّةأو إقليميّة قد تؤثر على مصالحه في رقعة الشّطرنج العالمية وتصاعد التّطرّف الإسلامي[5].

ينخرط الكرملين دبلوماسيا وعسكريا في الأحداث ويحافظ على علاقاته مع جميع الفاعلين إيران السّعوديّة، قطر، "الكيان الصهيوني"، الأكراد، السنة، الشيعة، وتتعامل معهم جميعا بذكاء، دون المساس لمصالحه القومية سواء أسعار النّفط والغاز، أو سوق السّلاح، وضمان نقل التّكنولوجيا من "الكيان

[1]Daugin ,***Putin..***,Op.Cit, pp22.23.
[2] Russian federation, the ministry of foreign affairs, op.cit
[3] Ibid, p.11.

[4] سلادن، مرجع سابق، ص.03.

[5] Dmitri ternim, « what drives Russia's policy in the middle east » in Nicu pepescu and stanislav secriru, R***ussia's return in the middle east building sandcastles*** ?, (paris :luxemburg imprimrie, Eu institute for security studies,2018), p.21.

الصّهيوني" أو الاستثمارات من دول الخليج[1]، كما أنّها تتّخذ من الإسلام وسيلة تتقرّب به من أجل اختراق منظّمة التّعاون الإسلامي*كعضو مراقب منذ سنة 2005[2].

من هذا المنطلق لا يمكن كسر "إستراتيجية حلقة الأناكوندا"* المفروضة من القوى الأطلسيّة إلّا عن طريق محور موسكو–طهران الّذي يفتح آفاقا داخل أوراسيا وخارجها[3]، سيوفّر هذا المحور تواجدا بحريا قريبا من المحيط الهادي، الخليج الفارسي/العربي ما سيمنح ديناميكيّة بحريّة لروسيا، وستتخلّص من "الأناكودا" الّتي تقوم على عزل روسيا ومنعها من الوصول للبحار الدّافئة عن طريق حلف الناتو (حلف شمال الأطلسي)، وبالتّالي فإنّ هذا المحور ضرورة إستراتيجيّة لابد من تحقيقها، لكن بالمقابل قد يؤدّي إلى مزيد من التّوتّر في المنطقة.

أما الخط الثّاني للحلف الأوراسي فهو المشروع العروبي الذي يشمل أجزاء من آسيا وشمال إفريقيا ويجب السيطرة على المنطقة الّتي كانت بريطانيا والولايات المتّحدة الأمريكيّة والغرب يسيطرون عليها وعلى روسيا أن تحذو حذوهم[4]. وتمتلك روسيا خبرة في مواجهة التطرف، فهي تعتقد بأن العدوى انتقلت إليها عبر الشّرق الأوسط عبر تسلسل متطرّفين أعلنوا الحرب في الشّيشان، ولن تسمح بتكرار ذلك ويجب عليها الاقتراب من المنطقة والتّمركز فيها حتّى لا يتكرر السيناريو نفسه.

جاءت تقنية مسح الديون كإحدى أهمّ الأدلّة على أهمّية الإقليم لدى روسيا، فقد أعفيت سوريا من 37% من دين يبلغ 13 مليار دولار، و93% من ديون العراق البالغة 12,9 مليار، وليبيا المقدرة ب 4,6% مليار[5]، وترسّخت النّظرة بعد 2010 فقد اعتبرت ما يحدث مأزقا ويدين المسؤولية الأخلاقية للغرب حسب ما جاء في خطاب "بوتين" أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر 2015[6]. مستغلا ضبابية الرؤية الأوروبية تجاه ما يحدث في المنطقة وإنهاك الولايات المتحدة الأمريكية في حربها الاقتصادية مع الصين خاصة في ظل إدارة "دونالد ترامب" (Dunald Trump) الذي يفضل الجانب الاقتصادي على الجانب الاستراتيجي. كما انخرطت روسيا في تحالف دولي جنبا إلى جنب مع الولايات

---

[1] Ibid, p.26.

* ثاني أكبر منظمة بعد الأمم المتحدة تضم 57 دولة تأسست في 1969/09/25، لمزيد من المعلومات يرجى زيارة الموقع الرسمي: http://www.oic.org/page/?p_id=56&p_ref=26&lan=ar

[2] المرجع نفسه.

* إستراتيجية تقوم على عزل روسيا في جميع الأصعدة بالعقوبات الاقتصادية، والإستراتيجية بضم الدول التي على طول الحدود الروسية إلى حلف الناتو.

[3] دوغين، *أسس ..*، مرجع سابق، ص.289.

[4] المرجع نفسه، ص.292.

[5] زيدان، مرجع سابق، ص.206.

[6] Isabelle Facon, ***Russia's quest for influence in north africa and the middle east***, (France : fondation pour la recherche strategique,2017), p.05.

المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية وقوى إقليمية في مواجهة الإرهاب الدولي (تنظيم الدولة) أو ما يعرف بداعش، بغرض إذابة الجليد بينها وبين الغرب وتحقيق توافق وتناغم في بعض المشكلات والقضايا والتهديدات المشتركة[1]. انطلاقا من استقرار الشرق الأوسط وشمال إفريقيا يؤدي إلى استقرار روسيا تواجه المشروع الأمريكي الذي يهدف إلى إعادة تقسيم المنطقة في "سايكس–بيكو" جديد، أو الشرق الأوسط الكبير لتحقيق أهدافها المسطرة في مشروع "القرن الأمريكي الجديد" (the new American century)، فروسيا تخشى من انتقال العدوى للقوقاز خاصة شمال القوقاز الروسي[2]. لذلك تبني روسيا علاقاتها مع فواعل غير الرسمية كالأكراد مثلا الذين يمثلون قوة معتدلة–حسبها– في مواجهة "داعش"، حيث كان هذا الموضوع من بين المواضيع التي طرحت في اجتماع روسي–كردي في أربيل سنة 2015، وتم تدعيمهم في إطار ذلك[3]. وتعتمد أيضا على إيران في تحريك ورقة "الشيعة" لتعزيز مكانتها أكثر، في هذا الإطار كتبت الصحيفة الروسية "كوميرسانت" خلال الزيارة التي قام بها ملك البحرين في شهر أكتوبر من سنة 2014 إلى روسيا والتقائه بوتين: "تأمل البحرين عبر مساعدة روسيا تنشيط الحوار مع المعارضة الشيعية المدعومة من إيران".[4] وتأتي الزيارات المتبادلة كدليل على أهمية المنطقة على غرار زيارة "فيكتور بونداريف" القائد العام للقوات الجوية الروسية للبحرين في أوت 2015. لايزال الشرق الأوسط متخلفا عن مناطق كثيرة، على غرار النمور الآسياوية ودول أخرى[5] وهذا ما يوفر فرصة للشركات الروسية لاستغلال ذلك في خدمة للمصالح الاستراتيجية للدولة خاصة بعد 2012 وما شهدته المنطقة من أحداث انطلاقا من تجارب التاريخ الذي كشف أنه عادة ما تكون لأحداث المنطقة وأزماتها تداعيات تؤثر حتى بنية النظام الدولي، على غرار أزمة السويس 1956 وحرب الخليج الثانية 1991[6] لذلك فإن موسكو ليست مستعدة لخسارة مكانتها مهما كانت الأسباب ويجب عليها استغلال الفرص لاستعادة ما ضاع منها في الرؤية الاستراتيجية الجديدة التي جاء بها الرئيس "بوتين". لا يخفي على صناع القرار الروس ذلك التنوع الأيديولوجي الذي تتميز به المنطقة وانقسامها في السابق بين المعسكرين الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي. ويجب استعادة المكانة التي فقدتها موسكو بعد الحرب الباردة، ومن جهة أخرى بالرغم من أن غالبية السكان يتحدثون اللغة العربية إلا انهم ليسوا من عرق واحد، ورغم أن أغلبهم مسلمون إلا أنهم

---

[1] Ibid, p.07.

[2] Mark N katz, **Russia andarab spring**,USA, washington, middle east institute, 03/04/2012

[3] Igor Delanoe, **The kurds: a channa lof Russia influence in the middle east?**, Brwelle, Ifri research center, june 2015,p.14.

[4] ميلكوميان، مرجع سابق، ص.14.

[5] لويس، مرجع سابق، ص.111.

[6] محمد فايز فرحات، "السلوك الصيني–الروسي إزاء موجة الربيع العربي قراءة ما وراء المصالح الاقتصادية" في مجموعة مؤلفين، ***التداعيات الجيوسياسية للثورات العربية***، (لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط، 2014)، ص.257.

ليسو من طائفة واحدة (سنة، شيعة) وكل طائفة مقسمة إلى فرق، بالإضافة إلى المسيحية (كاثوليك أقباط) واليهودية أيضا. كل هذا التنوع يحتم على روسيا وضع استراتيجية متكاملة الأبعاد لتحقيق أهدافها خاصة أن الجانب الثقافي يمثل خطرا في العلاقات الدولية وأي خلل قد يرجع الكرملين إلى نقطة الصفر. إضافة إلى أن ارتفاع الصراعات الداخلية والبينية أدى إلى ترتيبات أمنية كيفت من خلالها الدول حاجاتها مع القوى الخارجية مثل اتفاقيات التعاون الأمني بين دول الخليج وحلف الناتو منذ سنة 2006[1] ما يعني أن الدول الأضعف ستبحث عن سند من الخارج ما يزيد من قاعدة الاختراق. ولن تترك روسيا فرصة كهذه تفلت منها وستنسق مع عدة دول بغرض ذلك.

وانطلاقا مما سبق يمكن استنتاج النقاط التالية:

– يقوم مفهوم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا على عنصرية جيوبوليتيكية من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، فهذه المنطقة ليست شرقا بالنسبة للصين ولا بالنسبة للهند ولا بالنسبة لروسيا. وهذا دليل على المفاهيم تتداول حسب قوة الدولة فحتى العلم والنظريات واللغة تخضع لهذه القاعدة.

– تتميز المنطقة بتناقص الاستقرار السياسي، فتندي فرص التداول السلمي على السلطة، وحالة الاغتراب التي تعيشها شعوب المنطقة أدت إلى تناقص الاستقرار في كافة القطاعات والمجالات.

– أغلب الرؤساء والملوك حكموا لمدة قاربت أو فاقت العشرين سنة سواء في الأنظمة الجمهورية (زين العابدين بن على في تونس، عبد العزيز بوتفليقة في الجزائر) أو ملكية (الملك عبد الله في الأردن محمد السادس في المغرب) يحدث هذا في ظل عدم الرضا داخليا وحتى خارجيا أحيانا. كما أن الشعوب تتطلع دائما نحو الأفضل، ولن يحدث ذلك في وجود حكام بقوا في السلطة كل هذه المدة ولم يستطيعوا مواكبة آمال وطموحات شعوبهم. وستبقى هذه الصراعات بين الحكام والشعوب قائمة في حال استمرار هكذا ممارسات.

– تتميز دول المنطقة بحدوث انقلاب واحد أو أكثر خلال الثلاثين سنة الماضية، أو محاولة انقلاب في أغلبها (السعودية، العراق، ليبيا، سوريا، مصر) بسبب عسكرة النظام السياسي وتغول مؤسسة الجيش والدكتاتورية ما أثر على الاستقرار الداخلي.

– استمرار الصراعات البينية أدى إلى سباق تسلح أدخل المنطقة في معضلة أمنية، على حساب التنمية جعل الشعوب تعاني على المستوى المعيشي.

[1] وليد عبد الحي: "النظام الإقليمي العالمي استراتيجية الاختراق وإعادة التشكل"، مرجع سابق، ص.67.

– تتسم صراعات المنطقة، بنسبة عالية من الصراعات، فهناك 30 صراعا مستمرا لمدة 30 سنة وثمانية صراعات مستمرة لأكثر من 20 سنة، و11 صراع مستمرا لأكثر من عام، هذا يشير إلى قدرة متدنية على التعايش[1]. وخلل أصاب الأنظمة السياسية أفقدها القدرة على التكيف مع المتغيرات الدولية والإقليمية والداخلية، وعجزها عن التعامل مع المداخلات أدت إلى أزمة شرعية ومشروعية نابعة من تندي الثقة بين الحاكم والمحكوم. لذلك تسعى روسيا لضبط أولوياتها في المنطقة.

بعد 2012 تغيرت نظرة روسيا للإقليم، وتحولت أهميه سياسيا من ثانوية إلى فاعل مهم ورئيسي فيها. لذلك أطلقت موسكو عدة مبادرات لتعزيز مكانتها في المنطقة، وواصلت العمل مع دول المنطقة في إطار الحوار الاستراتيجي، تبلور ذلك بتاريخ 08 فيفري 2013 في منتدى التعاون العربي الروسي[2].

[1] وليد عبد الحي،"النظام.."، مرجع سابق، ص.67.

[2] Nikolay Kazlanov, **Russian policy across the Middle East motivations and methods**, England : the Royal institute of international affairs, 2018, p.05.

المبحث الثاني: إستراتيجية روسيا تجاه الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في ظل التنافس الدولي

انطلاقاً من الأهمية التي يتميز بها الإقليم، سواء على المستوى الاقتصادي نظراً للقوة المالية التي تلعب دوراً في تحديد الاستثمارات ونمط الاستهلاك، أو على المستوى الجيبولتيكي خاصة توسطه للخريطة فهي المنطقة الوحيدة التي تربط برياً بين ثلاث قارات بالإضافة إلى المضائق التي تتمتع بها والبحار وقناة السويس. ولا يمكن التغافل عن الطاقة التي تزخر بها (نفط أو غاز) أو ثروات أخرى كاليورانيوم. كل هذه الإمكانيات جعلت منه منطقة تنافس يتطور في بعض الأحيان ليصل لدرجة الصراع.

لذلك لن تجد روسيا طريقها سالكة للوصول وتحقيق أهدافها دون وجود منافسين دوليين أو إقليميين ومع ذلك تهدف موسكو إلى تطوير الشراكة مع الولايات المتحدة الأمريكية والصين والاتحاد الأوروبي والهند، وتحاول تحقيق توازن إستراتيجي مع هذه القوى سواء مباشر أي مقارنة قوة هذه الدول فيما بينها أو غير مباشر عن طريق ضمان توازن استراتيجي إقليمي في المناطق التي ترى فيها كل منها مصالحها بدعم حلفائها حتى لا يختل هذا التوازن، وبالتالي يمكن ملاحظة خمس مراكز قوة هي: الولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا والاتحاد الأوروبي والهند، وكلها قوى نووية، وسيقتصر هذا المبحث على دراسة التنافس بين كل من روسيا (والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي معا) والصين حول النفوذ في المنطقة، ومن جهة أخرى فإنه لا يظهر الطموح السياسي ولا حتى الاقتصادي للهند عكس القوى المذكورة التي يظهر لها العديد من الطموحات في العديد من القطاعات.

يوجد تاريخ طويل للتدخلات الأجنبية بصيغ مختلفة، وهذا التاريخ سيؤثر لا محال على حاضر والمستقبل الذي سيعيشه النظام الإقليمي والذي سينعكس بدوره على النظام الدولي والعالمي.

المطلب الأول: التنافس الروسي الأمريكي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

جاءت الأحداث التي حصلت بعد 2010 لتوضح التباين في إستراتيجيات الدول الكبرى خاصة روسيا وأمريكا اللتين تدركان أنهما أحد أسباب تدهور الأوضاع الأمنية فحرصهما على ضمان استمرار التبعية أدخل دول الإقليم في صراعات بينية وداخلية لازالت تداعياتها ظاهرة وتحرك النظام الدولي عامة.

يجب معرفة أن الاستقرار في العالم لن يكون إلا باستقرار الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، مثل ما كتب "ليون هادان" (Leon Haddan) في كتابه "المتفرج الأمريكي" (The American Spectator) أن

الرئيس الأمريكي السابق "دونالد ترامب" (Donald Trump) قرر التعامل مع الشرق الأوسط كما هو وتحالف مع الدكتاتوريين والمستبدين[1]، لا تختلف عنه روسيا التي تتعامل مع الشرق الأوسط كما هو بتركيبته وبدوله وتتحالف مع أنظمة دكتاتورية وترعاها، لكن الفرق بينهما أن روسيا لا تسعى لتقسيم المنطقة لأن ذلك لا يخدم مصالحها بينما تدفعها الولايات المتحدة إلى التقسيم من أجل إضعافها وخلق حلفاء جدد وضمان أمن الكيان الصهيوني، وينظر كل منهما إلى الآخر على أنه تقويض للاستقرار ليس في المنطقة وحسب، بل في النظام العالمي بصفة عامة.

تظهر روسيا بأنها على استعداد للتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في العالم عامة وخاصة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، خاصة فيما يتعلق بمواجهة الإرهاب والحد من انتشار الأسلحة الاستراتيجية وتعزيز قواعد القانون الدولي وتقوية المؤسسات الدولية والإقليمية، لكنها تنتقد في الوقت نفسه التهديدات التي تأتي من الولايات المتحدة الأمريكية على غرار الاستعمال المفرط للقوة العسكرية، والدرع الصاروخي الذي يهدد مباشرة الأمن القومي الروسي.[2] وتتفق معها واشنطن في أن المنطقة هي ملاذ آمن للمتشددين والإرهابيين وأن استقرارها سيؤدي إلى استقرار سوق الطاقة العالمي. وبالمقابل تنتقد دعم موسكو لإيران التي تراها الدولة الرائدة في العالم من حيث رعاية وتصدير الإرهاب واختراق القانون الدولي بمواصلتها تخصيب اليورانيوم[3].

تبدو روسيا أكثر انضباطاً واحتراماً لقواعد القانون الدولي أو هذا ما تصوره فهي ترفض التدخلات العسكرية في سوريا واليمن وليبيا، وترى فيها تكريساً لتغيير الأنظمة بالقوة، ولا ترى في تدخلها العسكري في سوريا بأنه اختراق لقواعد القانون الدولي، وتنفي تواجد قواتها العسكرية في ليبيا. أما عن إيران فهي ترى فيها حليفاً إستراتيجياً يضمن مصالحها، والملاحظ أنه رغم العداء الواضح بين واشنطن وطهران إلا أن هذه الأخيرة تحقق أهدافاً استراتيجية للأولى. فتخويف دول الخليج خاصة السعودية بالسلاح النووي الإيراني الذي لم يكتسبه بعد وترسانتها العسكرية يضمن التواجد الأمريكي واستمرار تحقيق المركبات العسكرية للأرباح نتيجة ارتفاع ميزانية التسلح في هذه الدول.

تشكّل دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا قوة مالية واقتصادية كبيرة يسعى كل من الكرملين والبيت الأبيض ضمان ولائها لتحقيق انتشار أكبر في السوق وتوسيع الاستثمارات، وبالمقابل تمثل الثروات الطبيعة خاصة البترول والغاز على هذه الدول، ويعتمد تحديد أسعارهما نظراً لأن كل من روسيا والولايات

[1]Stephen Walt, "Making Middle East Wars, Trump Style", ***Foreign Policy***,June, 2017, p.1.
[2]Russian Federation, **Presidential edict 638**, Op.Cit, p.25.
[3]United States of America, ***National Security Strategy***, December 2017, pp.48-49.

المتحدة الأمريكية تعتمدان بشكل كبير على النفط والغاز، فالأولى أكبر منتج ومصدر للغاز بينما أنتجت الثانية ما معدله 11.7 مليون برميل يومياً خلال 2020 و10.9 مليون برميل حتى فيفري 2021، وهي أكبر المنتجين[1]، وبالتالي سيكون من الصعب إهمال المنطقة التي تؤثر بشكل مباشر على السوق الدولية للطاقة، وأكثر من ذلك يجب بناء تحالفات قوية معها خاصة السعودية والعراق وقطر لاستقرار الأسعار بالنسبة لموسكو بشكل أكبر كونها تعتمد على هذا القطاع لتطوير القطاعات

ويمكن تلخيص التنافس الروسي الأمريكي في المنطقة انطلاقاً من نقطتين:

1. زيادة الكرملين لشرعيته لدى دول المنطقة والنخب الداخلية وإضفاء الشعور بعودة المكانة المعهودة في النظام الدولي[2]. بالمقابل تفرض الولايات المتحدة الأمريكية عقوبات وحصاراً على موسكو من أجل عزلها أكثر وفرض منطق الهيمنة والأحادية القطبية.
2. ترى روسيا بأنه يجب عليها كسر القيود الأمريكية وفك العزلة ويجب واشنطن قبول عودة موسكو كقوة عظمى في النظام الدولي، خاصة بعد ضم شبه جزيرة القرم[3]، فيما يرى البيت الأبيض أن سكوته عن ذلك سيقحم الجيش الروسي في الحرب الدولية على الإرهاب نظراً لقوته وخبرته، ومع ذلك فروسيا مستفيدة أيضاً، نظرا لتخوفها من انتقال الإرهاب لداخلها أو لجوارها، وقد يؤدي إلى تبادل للأدوار أوحتى تعاون وتنسيق خاصة في المجال الأمني ومواجهة الإرهاب.

يختلف التنافس الروسي الأمريكي في المنطقة من جانب وحدة التحليل، فبينما يمكن تحليله انطلاقاً من روسيا باعتبارها دولة وحيدة لها حلفاء، يظهر التحالف الأمريكي أكثر قوة وتنظيماً يجسده حلف شمال الأطلسي الذي استمر حتى بعد سقوط الاتحاد السوفياتي بحجة زوال العدو وبقاء التهديد، وينقسم الغرب في جيواستراتيجيا روسيا إلى غربين، غرب كالولايات المتحدة الأمريكية، وغرب كأوروبا، فالأول هو العدو الحقيقي الذي يجب مواجهته وإضعافه تمهيداً لهزيمته لأنه يجعل أوراسيا منطقة صراع[4]، وأما الغرب الثاني يقصد به أوروبا فمازالت تحت الهيمنة الأمريكي ثقافياً واقتصادياً وحتى سياسياً، ولا تملك إرادتها الخاصة، ولا تغدو سوى قاعدة مساعدة أمريكية في تنافسها مع روسيا[5].

---

[1] ***US. Energy information administration***, on web site : http ://www.cia.gov/todayinengy/detail.php?id=43735

[2] ***Witold Rodking, Russia'sMiddle Eastern Policy, Regional Ambitions, global objectives***, Warsaw, Centere for Eastern studies, Report n 71, December 2017, p.18.

[3] Ibidem.

[4] دوغين، ***أسس..*** ، مرجع سابق، ص.421.

[5] المرجع نفسه، ص.422.

تظهر أوروبا لدى الاستراتيجيين الروس على أنها قوة ثانوية تدور في فلك القوة الأطلسية التي تجسدها الولايات المتحدة الأمريكية، فلا تظهر كقوة فاعلة في قضايا الشرق الأوسط وشمال إفريقيا خاصة العرب في سوريا، بحيث قاد الجيش الأمريكي تحالفاً دولياً ضد الأسد، لكن في ليبيا خرجت فرنسا عن المألوف ودعمت حفتر وتوافقت مع روسيا عكس ألمانيا التي بقيت على الحياد والولايات المتحدة التي دعمت حكومة الوفاق.

يدعم هذا الطرح توظيف كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية الأكراد لضمان أكبر قدر ممكن من المصالح، فالأكراد يوجدون في أربع دول (العراق، تركيا، أيران وسوريا)، فقد اعتبر "هنري كسنجر" (Henry Kissinger) في كتابه "سنوات التجديد" (Years of Renewal) أن الأكراد حلفاء وأصدقاء ووصفهم بأنهم مأساة الجغرافيا والتاريخ، واستخدام هذه الورقة سيؤدي إلى ترسيخ النفوذ الأمريكي في الخليج الغني بالنفط، ودعمت استقلال أكراد العراق [1] تمهيداً لانتقال العدوى لهم في باقي الدول إما تحت راية دولة واحدة ككردستان أو عدة دويلات، لكن ذلك لا يخلو من المخاطرة بمزيد من التفكك حيث وصفه كسنجر "بالحيرة الاستراتيجية"[2].

أما روسيا فهي لا تريد أي تفكك بالرغم من وقوفها بجانب الأكراد ودعم مطالبهم حتى في المحافل الدولية، إلا أنها لا تدعم فرضية استقلالهم عن دولهم، إضافة إلى افتتاحها قنصلية في أربيل سنة 2008 وأنشأت "مجلس كردستان الروسي للاقتصاد والتعاون"، كما نشر المستشرقون الروس كتاباً عنوانه "أرض الأساطير" يتطرق للثقافة الكردية كما يرونها[3]

يحدث هذا في ظل التنافس أن تتوافق استراتيجية دولتين أو أكثر وهو ما حدث مع روسيا والولايات المتحدة بشأن دور الأكراد في مواجهة الإرهاب، فالأولى تعتبر أكبر ممول ومدعم مالي أجنبي للأكراد[4]، وبذلك فإن هاتين الدولتين تستميل الأكراد بغرض تحقيق الأهداف الاستراتيجية، فليس بالضرورة أن تخلق المنافسة تصادماً، فقد يؤدي إلى تبادل للأدوار وحتى تعاون وتنسيق خاصة في المجال الأمني ومواجهة الإرهاب.

يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تمنع ظهور قوة أورآسية مسيطرة أو معادية، ولن تكون ذلك إلا بزيادة القوة والمحافظة على الاهتمام بالبعد الجيوبولتيكي، ويجب استخدام النفوذ لخلق التوازن القاري

---

[1] هنري كسنجر، ***سنوات التجديد***، تر. هشام الدجاني، (المملكة العربية السعودية: دار العبيكان، 2010)، ص ص.508-518.

[2] المكان نفسه.

[3]Stephen Blank, Imperial Strategies : Russia4s exploritation of ethnic issues and policy in Middle East, The Jamnestown foundation, 20/12/2017, on website : http//www.jamestoumfoundation, (26/12/2019).

[4]ЗемцоваЮлияАлексеевна, Курдскийвопросвсовременнойсистемемеждународныхотношений, Екатеринбург, 2017 , زيمتسوفا جوليا أليكسيفنا ،المسألة الكردية في النظام الدولي للعلاقات الدولية،ايكاترينبرج، 2017، ص.25.

فالشرق الأوسط وشمال إفريقيا يوفر كل هذه الخصائص، ولا يمكن لروسيا الخروج من عزلتها إلا عبره نظراً لاستحالة خروجها من جهة الصن أو أوروبا.

يمكن النظر للشرق الأوسط على أنه جزء من أوراسيا التي تمتد حسب "بريجنسكي" من لشبونة في البرتغال إلى فلاديفستوك أقصى شرق روسيا[1]، وبالتالي فهي تمتد على مدى قارتين أوروبا وآسيا. تتفق الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في رؤية أوروبا متحدة، لكن الخطاب الرسمي الأمريكي لا ينسجم مع الواقع، إذ يمكن أن يشكل اتحاد أوروبا عائقاً أما السيطرة الأمريكية على الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فهذه المنطقة ليست الأقرب لأوروبا جغرافياً وحسب، بل حتى تاريخياً فهي المكان التي كانت فيه مستعمرات بريطانية وفرنسية وإيطالية وإسبانية[2]، وهذا ما تراه روسيا كنقطة ضعف في القوة الأطلسية وستتحول أوروبا الموحدة إلى معادة الأمريكيين، فالمشروع الأوراسي الروسي يطمح إلى إخراج أوروبا من تحت السيطرة الأطلسية، تمهيداً لخلق حدود جغرافية بحرية مع الغرب، ولا يمكن لأوروبا أن تظهر كصديق إلا عندما تكون موحدة[3].

لا تتنافس روسيا والغرب من منطلق اقتصادي وحسب، بل تلعب الجيوبولتيكا دوراً في هذا النافس أين بيّن البروفيسور الإيطالي "كارلو تيراتشانو" أن الدول الأهم في الصراع ضد الأطلسية يعود للعالم الإسلامي، خاصة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والدول المعادية للأمريكيين مثل ليبيا وإيران والعراق ويخرج بمعادلتين:[4]

1. روسيا (Heartland) + الإسلام ضد الولايات المتحدة الأمريكية (الأطلسية العولمية).
2. روسيا + الإسلام = إنقاذ أوروبا

من خلال هاتين المعادلتين يمكن ملاحظة السعي إلى السيطرة على أورآسيا تمهيداً للسيطرة على العالم، لعدة اعتبارات. في سياق حرب التيلوركوراتيا ضد التالاسوكراتيا، حيث تعني التيلوروكراتيا القوة البرية التي تتميز بها روسيا، والتالاسوكراتيا القوة البرية التي يتميز بها الغرب الأطلسي، فالأولى تتميز بثوبتية المكان ورسوخ خصائصه، بينما تقوم الثانية على الدينامكية ونشاط الحركة[5].

ومما سبق يمكن الخروج بالمعادلات التالية:

---

[1] بريجنسكي، مرجع سابق، ص.35.

[2] المرجع نفسه، ص.49.

[3] دوغين، ***أسس..*** ، مرجع سابق، ص ص.422-423.

[4] دوغين، المرجع نفسه، ص ص .423،421.

[5] المرجع نفسه، ص.60.

التيلوروكراتيا ضد التالاسوكراتيا

روسيا+ الإسلام = الولايات المتحدة + أوروبا

وبما أن روسيا+ الإسلام= انقاذ أوروبا، فإنها ستنتقل إلى التحالف مع روسيا لتصبح المعادلة كالآتي:

روسيا+ الإسلام+ أوروبا موحدة = إسقاط الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي النهاية تنتصر التيليروكراتيا ضد التالاسوكراتيا

تدرك الولايات المتحدة الأمريكية أن تحقيق الوحدة الأوروبية الحقيقية سيضعف سيطرتها على حلف الناتو وسيضعف التواجد العسكري في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وحتى البحر الأبيض المتوسط فالتنافس الروسي الأمريكي لا يقتصر على منطقة بعينها فكلها متصلة ببعضها في نقطة معينة، ما يستدعي الحذر في التعامل، والحسابات الإستراتيجية وما يتعلق بتوازن القوى فإن أي اختلال سيؤدي بالضرورة إلى اختلال النظام الدولي عموماً، ولا يمكن أن تغفل كل منهما القوى التعديلية على رأسها إيران وتركيا اللتين تهدفان إلى تعديل ميزان القوى الإقليمي لصالحهما. زد على ذلك الكيان الصهيوني الذي يملك طموحات من شأنها أن تؤثر على الاستقرار الإستراتيجي في النظام الفرعي.

تختلف حدة المنافسة بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية من فترة إلى أخرى أي من إدارة إلى أخرى، فالجمهوريون يكنون عداءً أكبر من الديمقراطيين، أما بالنسبة لبوتين فاللعبة صفرية مع الغرب في المنطقة، فما يخسره طرف يفوز به الطرف الآخر بالضرورة[1]، ويظهر بوضوح في حرب سوريا التي اضمحل الدور الأمريكي تاركاً المجال أمام الجيش الروسي لملء الفراغ، والأمر نفسه في ليبيا ولكنه ليس بالحدة نفسها، في ظل وجود غير رسمي لكل منهما، إلا أن الدور الروسي أكثر وضوحاً، ولا تعترف موسكو بالأحادية القطبية التي تفرضها واشنطن، وترى أن النظام الدولي متعدد الأقطاب، ولا يمكن أن يكون تحت الوصاية الأمريكية، ويأتي التواجد في الإقليم من هذا المنطلق أيضاً.

[1]Jonathan steele, yevgemy primakov obituany, The Gardian, Sun 28 Jun, 2015, on website :thegardian.com/world/2015/jun/28/yeveny-bermkor, (28/2/2021).

المطلب الثاني: التنافس الروسي الصيني في الشرق الاوسط وشمال إفريقيا

يختلف التحالف الصيني الروسي في الظاهر عن باطن يحمل تنافساً شديداً، رغم التشابهات الكثيرة، واستمرار النمط الشيوعي، إلا أن موسكو سعت لتطويقها من الشمال والجنوب والعمل على احتواء نفوذها أين تشتركان في 3400 كم من الحدود[1].

تتعاون الصين مع دول المنطقة انطلاقاً من السياسة الصينية التي تقوم على هدف التواجد في كل بقعة من الأرض، فقد دربت خبراء سوريين في المفاعلات النووية، وعرضت مساعدات لبناء مصانع إنتاج الصواريخ، ومنظومات التوجيه في حلب وحماة، كما أنها تكون علاقات في المجال العسكري مع كل من السعودية والجزائر.[2] هذا يعني أن تحرص موسكو على مصالحها خاصة مع الدول التي تعتبرها حليفة إستراتيجيين كسوريا والجزائر، فإذا خسرتهما لصالح بيكين ستجد نفسها في نقطة البداية من جديد. فترد على هذه الخطورة ببناء محطات للطاقة النووية في إيران ومصر والأردن والمملكة السعودية، بمجمل 16 مفاعلاً في حدود 2032[3].

دق المسؤولون الروس ناقوس الخطر جراء إعلان بكين إستراتيجية التنمية لسنة 2016 التي تهدف إلى تحويل الصين إلى قوة عظمى في حدود 2020 (كانت دراسة استشرافية في ذلك الوقت)[4]، وهذا يعني تعاظم دور الصين أكثر فأكثر بعد إعلان خطة "إنشاء طريق الحرير الحري للقرن الواحد والعشرين" تحت شعار "حزام واحد ...طريق واحد" طريق سيمر على أغلب دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا برياً أو بحرياً.

يشكل مشروع طريق الحرير سواء البحري أو البري خطراً على مصالح روسيا في عدة مناطق كالقوقاز، وآسيا الصغرى، وهذا لا يدع مجالاً للشك بوجوب الوقوف في وجه هذا المشروع أو كبحه على الأقل بسبب اشتراك الصين وروسيا في الرؤية الجيواستراتيجية للإقليم، فكلاهما يعتبره امتدادا طبيعيا له

---

[1] وليد عبد الحي، ***المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي***، (الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2000) ص.116.

[2] Christine Wormoth, **Russsia and China in Middle East, Implications on the United States in erea of stratregic competition**. USA, Rand Corporation, 2019, pp.40,60.

[3] هاني شادي، هواجس روسية من الصين،
http://www.Geopoltica.ru/ar/article/hwjs-wydh-mn-lsyn, (17/9/2019).

[4] منى حداد، **قراءة في تاريخ العلاقات العربية الصينية وسبل تعزيزها**، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 2017، ص.113.

بالخصوص الصين التي تتشارك الحدود البرية مع إيران أول دولة شرق أوسطية من حيث الحدود وتصدر حوالي 12 %من استهلاك الصين اليومي للنفط رغم العقوبات[1].

وتشترك بيكين وموسكو أيضاً في استهدافهما لسوق النفط والغاز، إذ أن الأولى تمثّل ثاني أكبر مستورد بعد الولايات المتحدة الأمريكية[2]، ويجب عليها تأمين مصادر توفر لها احتياجاتها، بينما تسعى الثّانية لضمان استقرار الأسعار الدولية، وإبقاء الصين تابعة في هذا المجال، بالرغم من محاولات الصين العديدة كسر هذه التبعية، فالطلب الصيني على الغاز المسال لم يتوقف عن الارتفاع منذ سنة 1990 أين أقدمت على إنشاء خط إمدادات ثان يضم تركمستان وأفغانستان وباكستان والهند، ويربط تركمستان بأفغانستان والصين[3].

تعتبر الصّين الجار الجيبولتيكي الأكثر خطورة، فانتماؤها "لريم لاند" "حافة الأرض" يحتم على روسيا وضعها في الحسبان[4]، وقربها من المنطقة يشكل هاجساً لدى الإستراتيجيين والسياسيين الروس على حد سواء، وينتقل هذا التخوف حتى لدى المواطنين، فلقد كشف استطلاع للرأي قام به مركز "ليفادا" في نهاية 2018 حول مسألة صعود الصين أن 60 % من المشاركين في شرق سيبيريا يؤكدون أن هذا الصعود يهدد المصالح الروسية، ورفض أكثر من نصفهم إلغاء نظام تأشيرة السفر بين الدولتين[5]، وهذه التخوفات لها مبرراتها، فالصعود الصيني وتصديره لليد العاملة الرخيصة يهدد الاستثمارات الروسية لا سيما في مجال الطاقة، ويخفض بطريقة مباشرة المستوى العام للأجور، وهو ما يرفع من نسبة البطالة لدى الروس ذوي الأجور المرتفعة وينعكس ذلك على المستوى المعيشي وبداية أزمات مختلفة تلوح في الأفق.

تعتمد بكين على العامل الاقتصادي لفرض وجودها، بينما تتناسى الدور الثقافي خاصة الديني الذي يشكل لها بعض العوائق، ما يمنح فرصة لتخفيض الفارق مع موسكو، حيث تمثل قضية الأقلية المسلمة من "الإيغور" مشكلاً بالنسبة للسياسة الصينية، نظراً للقمع والتمييز العنصري الذي تعاني منهما هذه الأقلية ما سيرهن الطموح الصيني ويكبحه، وهذا ما تريده موسكو التي تميز انخراطها في أوضاع المنطقة

---

[1] سهرة قاسم حسين، ***الصعود الصيني وتأثيره على الهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط***، (مصر: مكتبة جزيرة الورد، 2013)، ص.111.

[2] المرجع نفسه، ص. 112.

[3] ديب، مرجع سابق، ص. 193-196.

[4] دوغين، أسس...، مرجع سابق، ص ص 412-413.

[5] Eugeme Chosovsky, ***The even-shifting strategic triangle between Russia China and US***, on Web site :http://worldview.Stqfor.com/article/ever-shifting-strategic-traiqngle-between-russiq-chinq-relqtions/. (29/09/2019).

السياسية، عكس بكين التي لا تريد التورط في مسائل سياسية خارجية بالرغم من صدور تقارير أمريكية تغترف بالدور الذي يمكن أن تلعبه الصين سياسياً[1]. بالرغم من ذلك يرتبط القرار الصيني خاصة فيما يتعلق بالحرب السورية أو الليبية والأكثر من ذلك استخدامها للفيتو أنها لا تظهر في الصورة كما تظهر موسكو. وثبت أن بكين تشارك في تدريب قوات الأسد وتساعده في إعادة إعمار سوريا[2]. يحركها طموح اقتصادي أكثر منه سياسي، فالمعروف أن إستراتيجيتها قائمة أكثر على القوة الاقتصادية عكس روسيا التي تعتمد على القوة العسكرية لتحقيق الأهداف السياسية أو الاقتصادية.

تنافس المشاريع الاستثمارية الصينية بقوة خاصة في البنية التحتية ومصافي النفط، والأكثر من ذلك بدأت في طائرات دون طيار للسعودية[3]، وهذا ما يضر سوق السلاح الذي تعتمد عليه موسكو كثيراً في بناء اقتصادها، وفي حال دخول الصين لن تعود روسيا قادرة على المنافسة في ظل بيع موسكو طائرات بقيمة 2 مليار دولار للرياض، بالإضافة إلى تبادلات تجارية مع إيران، العراق، مصر والجزائر[4].

برزت الصين بصفتها شريك تجاري رئيسي وأكبر مستثمر في المنطقة حيث تأتي السعودية رقم واحد وإيران رقم 2، وحتى الدول التي يهيمن على تجارتها الاتحاد الأوروبي استطاعت بكين أن تظفر بالمرتبة الثانية كالجزائر ومصر، كما تعهد الرئيس الصيني "تشي جين بينغ" (Ixi Jinping) بتقديم 23 مليار دولار أمريكي كقروض للاستثمار في البنى التحتية الموانئ على وجه الخصوص[5].

تتقاطع الاستراتيجية الروسية مع الصينية في عدة نقاط فمجالات الاهتمامات نفسها تقريباً (الاستثمار في الطاقة والبنى التحتية وتجارة الأسلحة)، والدول التي تحتل الترتيب نفسه في الأهمية (السعودية، إيران العراق، الجزائر) وحتى سوريا وليبيا، ومن هنا يجب وضع هذا التنافس الخفي في الحسبان، وإن لم يكن بادياً للعيان في الوقت الحالي فتصادم المصالح لا بد منه في مرحلة ما.

تشير الإحصاءات والأرقام إلى تواجد حوالي 600000 صيني في المنطقة وحدها، يعملون في مشاريع استثمارية مختلفة[6]، قد يبدو هذا الرقم للوهلة الأولى رقماً عادياً، إلا أنه يحمل تهديداً وجودياً للدول

---

[1] أندرو سكوبيل وأليزرا نادر، ***الصين في الشرق الأوسط: التنين الحذر***، تقرير مؤسسة راند، الولايات المتحدة الأمريكية، 2016، ص ص .2-6-14.

[2] Manco Giddi, Marien Kaczmanski, Russian and China in Middle East, Filland Fiminish institute of Internatioal Affairs, Report n : 275, November.2019, p.03.

[3] Ibid, p. 04.

[4] United States of America, Commitee on Foreign Affairs House of Representatives, Chinese an Russian influence in Middle East, n :116-37, May, 2019, p.01.

[5] Siddi, Op.cit, p.05.

[6] ibidem

في المستقبل، يعني 1 صيني مقابل كل 1000 من سكان المنطقة أي بنسبة 0.1 % تقريباً من إجمالي سكان المنطقة، ومع مرور الوقت قد يرتفع هذا الرقم، ويختلط الصينيون مع السكان بالزواج وقد يتطور الأمر إلى درجة وصولهم لأقليات وتتحول المسألة من اقتصاد واستثمار إلى سياسة وسيادة.

لا يظهر الدور العسكري الصيني في حروب المنطقة، ولا يمكن وصفه بالمنافس للدور الروسي، وذلك لا يعني الغياب فمسألة الأيغور تؤرق صناع القرار في بكين التي أشاد وزير خارجيتها "وانغ يي" (Wang Yi) خلال لقائه بمستشارة الرئيس السوري في 23 نوفمبر 2017 بالجهود التي يبذلها الأخير في محاربة الإرهابيين من تنظيم "حركة تركيتان الشرقية الإسلامية" – حسب النظرة الصينية –، في هذا الصدد سمحت دمشق بدخول 5000 جندي صيني سنة 2015[1].

وقدر سفير بكين لدى دمشق أن عدد الجهاديين الأيغور في سوريا بين 4000 و5000 عنصر[2]. ويجعل ذلك التدخل العسكري الصيني مقبولاً، بل ومفضلاً خاصة عند روسيا، وفي هذا الصدد أشارت تقارير دخول فرقتين من القوات الخاصة الصينية المعروفتين باسم "نمور سيبيريا" و"نمور الليل" إلى سوريا لقتال "الأيغور"، في حين تنفي الصين ذلك[3]. لم تكتف الصين بالمنافسة على المستوى الاقتصادي الذي أثبتت تفوقا فيه، وها هي اليوم تتوجه نحو فرض منطقها السياسي ما سيفسح المجال أمامها للتواجد السياسي التدريجي في المنطقة.

ويبين الجدول الآتي أوجه التعاون والتنافس بين الصين وروسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا:

قوات صينية تتوجه إلى سوريا، 2017/11/28 على الموقع الالكتروني:

http://arabic.sputniknews.com/militray/201711278887, (6/3/2021).

[2] Abdulah AL-Ghadhawi, vighurs jihadists in Syria, newsline institute for strategy and policy, march, 18,2020, on web site: http://newlinesinstitute.org/ujhurs/uighurs-jihadists -in-syria/, (06/03/2021).

[3]Jhon Calabrese, Chinq and Syria in war and Reconstruction, July 9, 2019, in web site: http://www.mei.edu/publications/china-and syria-war-and-reconstruction, (08/03/2021).

جدول رقم 03 يوضّح نقاط التعاون والتنافس الروسي الصيني في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

نقاط التعاون	نقاط التنافس
– تهدف كلاهما إلى إنشاء علاقات طيبة وشراكة إستراتيجية مع دول المنطقة دون استثناء، لكن ليس بالقدر نفسه فإيران حليف إستراتيجي بالنسبة لهما أما السعودية مثلاً ليست على وفاق مع إيران وبالتالي ستتأثر علاقتهما بها. – الحد من الهيمنة الأمريكية، ورفض الأحادية القطبية، يظهر ذلك من خلال تعزيز التواجد ومزاحتها في المنطقة وتجريدها من حلفائها الأساسيين. – تحتل المنطقة أهمية في إستراتيجية كليهما سواء من الناحية الاقتصادية أو الاستراتيجية، لذلك تسعى كل منهما لفرض تواجدها هناك لحماية مصالحها. – يتوافق الموقف السياسي الروسي والصيني في أغلب الأحيان تجاه ما يحدث في المنطقة ويشكل كل منهما دعماً للأخر، حيث بدأت ظهور معالم حرب باردة جديدة. – تدعم الدولتان الحكومات التي تتشابه معها في تسيير شؤونها والتي يمكن وصفها بالشمولية، التي لا تتأسس على ديمقراطية حقيقية.	– تتنافس روسيا والصين في مجال الطاقة، فالأولى تريد السيطرة على السوق عن طريق التواجد في المنطقة، وهذا يضمن تبعية الثانية التي تسعى لتأمين مصادر مختلفة ومتنوعة وتعتمد في ذلك على العامل الاقتصادي عكس موسكو التي تعتمد على العامل العسكري وبدرجة أقل من الاقتصادي. – يسعى كليهما لكسر العزلة والخروج للبحر الأبيض المتوسط، فالصين ليست معزولة، لكنها تحاول تقصير المسافات وضم أكبر عدد ممكن من الدول في مشروعها "الحزام" خاصة من المنطقة، أما روسيا فكسر العجز الجيبولتيكي يحتم عليها التواجد المباشر في البحر الأبيض المتوسط. – كسب المزيد من الحلفاء يمهد لعلاقات مستقبلية أكثر استقراراً وفيها مصالح أكبر، تستغل فيه موسكو البعد الديني لتقليص الدور الصيني الآخذ في التعاظم تدريجياً.

المصدر: تصميم شخصي للباحث

المطلب الثالث: مستقبل التنافس الروسي الأمريكي الصيني في الشرق الأوسط

تتشابه كل من روسيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية في رغبة الحصول على أكبر نفوذ، وبناء تحالفات قوية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتدرك أيضاً أن أي خطوة غير مدروسة قد تؤدي إلى تعارض مصالح إقليمي، وستتصادم وسينتقل ذلك إلى النظام العالمي.

ومن هذا الباب تواجه الولايات المتحدة الأمريكية الإرهاب باعتبار المنطقة ملاذاً آمناً وأرضاً خصبة للجهاديين، وضمان عدم هيمنة أي قوة معادية، تقصد روسيا والصين، وهذا يساهم في استقرار سوق النفط العالمية[1]. ومن هذا المنطلق ستبني استراتيجيتها خلال السنوات القادمة، ويمكن استخلاص نقاط التشابه بين استراتيجية الدول الثلاث حتى حدود 2030:

- الاستقرار النسبي يؤدي إلى استقرار الصين وروسيا القريبتان من الإقليم، وسيشكل ملف الجهاديين العائدين إلى بلدانهم نقطة تنسيق أمني بين الصين وروسيا.
- استقرار أسعار النفط والغاز يساعد على استقرار الاقتصاد، ذلك أن الصين تستورد الطاقة من روسيا ودول المنطقة، في حين يخدم روسيا التي تعتمد على الطاقة في بناء اقتصادها، أما بالنسبة للولايات المتحدة فذلك يحافظ على شركات التنقيب داخلها أو خارجها وتضمن تدفق الطاقة من المنطقة، ويهمها استقرارها مع ضمان الإبقاء على ميزان القوى لصالح واشنطن.
- مواجهة فشل الدولة الذي سيكون له تبعات تنعكس على بنية النظام العالمي، بدليل ما أحدثته حروب اليمن وليبيا وسوريا من أزمات أثرت على الاستقرار العالمي، خاصة في أوروبا.
- أما على المستوى الإستراتيجي، فكل دولة تريد تعديل ميزان القوى لصالح حليفها أو حلفائها فالصين وروسيا تهدف لدعم إيران حتى تكون قوة إقليمية، بينما تساعد الولايات المتحدة الأمريكية الكيان الصهيوني.
- وعلى المستوى الأمني، ستكون المرحلة القادمة مبنية على تصور القوى الكبرى للتهديدات، تتفق الدول الثلاث على أن تواجدها العسكري خاصة في سوريا يأتي في إطار ثلاث محاور، أولاً مواجهة الإرهاب أو التطرف الإسلامي –حسبهم– فالصين متخوفة من المسلمين "الأيغور"، وروسيا تتخوف من عودة المقاتلين سواء كانوا منها أو من الدول المجاورة لهم بما في ذلك الأيغور ذاتهم، وأما الولايات المتحدة الأمريكية فترى أنها يجب أن تواجه التهديدات الإرهابية في أي مكان، بناء على قاعدة "لا حدود للأمن القومي الأمريكي".

[1]United States of America, ***National Security Strategy of the USA***, December, 2017, p.48.

ثانياً حماية المصالح، فكل منها له مصالحه الخاصة، حيث تهدف الصين إلى توسيع هيمنتها الاقتصادية وزيادة نسبة حصتها من السوق في دول المنطقة، وتفرض روسيا منطقها من عدة زوايا كالاقتصاد وحماية الاستثمارات الروسية خاصة قطاعا النفط والسلاح، والجيوإستراتيجي بالولوج للبحر الأبيض المتوسط وضمان التواجد العسكري فيه. ثالثاً حماية الحلفاء

تعتمد المرحلة القادمة في حدود 2030 على تقوية التحالفات مع القوى الإقليمية؛ فالولايات المتحدة الأمريكية تتحالف مع الكيان الصهيوني بدرجة كبيرة، ثم تأتي السعودية تتحالف روسيا والصين مع إيران والجزائر، بينما تبقى تركيا تترنح بين موسكو والمصالح المتبادلة، وواشنطن في حلف الناتو يظهر من خلال "وثيقة الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية" (National Security Strategy of the USA)الصادرة في ديسمبر 2017 أن الولايات المتحدة ستحمي حلفاءها، وستحافظ على ميزان القوى الإقليمي وتعزز قدراتهم على مواجهة التهديدات المشتركة[1].

إلى غاية 2025 ستبقى المنطقة تعتمد بشكل كبير على عائدات الوقود الأحفوري، سواء للاستهلاك الداخلي أو التصدير[2]، وسيكون هذا القطاع خلال هذه الفترة محل تنافس بين روسيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية بالرغم من بوادر التحول التدريجي لمصادر بديلة للطاقة إلا أن النفط لن يفقد قيمته كأهم سلعة إستراتيجية، والذي لا يبدو أنه سيزول نهائياً قبل 2040.

حسب التقرير الصادر من صندوق النقد الدولي بعنوان: "مواكبة التحول في مصادر الطاقة: النفط بعد 2040 " الذي بنى توقعاته على زيادة الاعتماد على السيارات الكهربائية لتصبح 25 % من إجمالي السيارات سنة 2030 و 55 % سنة 2040، إلا أن هذه التوقعات تجانب الصواب لأن الاكتشافات الجديدة في روسيا وتركيا والبحر الأبيض المتوسط ستؤثر على الاحتياطي العالمي، ناهيك عن العقوبات المفروضة على إيران التي لم تبدأ في استخدام احتياطها بصفة كبيرة، إلا أن هذا التقرير يقدم مؤشرات على أن الشرق الأوسط وشمال إفريقيا سيظل منطقة تنافس، ويبدو أنه لن يشهد استقراراً قبل 2040 على أقل تقدير.

ومن جهة أخرى فإن عدم تحمس واشنطن للتوجه نحو الطاقات البديلة سيؤثر على تطور البحث العلمي في هذا المجال، وفي السوق العالمية في المنتجات المرتبطة بالطاقة البديلة.

[1]Ibid, p.49.
[2] Richard Cherif and others, **Riding The Energy transition : Oil beyond 2040**, International Monetary Fund, working paper n wp 17/120, May 2017, p.08.

من المتوقع أيضاً على أنه بحلول 2035 يمكن أن يؤدي انتشار الطاقات المتجددة إلى تناقص الطلب على الموارد الطاقوية التقليدية الناضبة، وحتى في حال بقائها سيكون الاعتماد أكثر فأكثر على الغاز وليس النفط. يدعم ذلك التطور التكنولوجي في مجال التخلص من الغازات الضارة في حدود 2100 ما يؤدي إلى التخفيف من هاجس تبعات ثاني أكسيد الكربون[1].

إن الوصول إلى تخفيف الحاجة للنفط باستثناء تلك التي تشتهر بإنتاج الغاز مثل قطر والجزائر وسيؤدي ارتفاع الطلب إلى تغير في موازين القوى سواء بالنسبة للمنطقة حيث ستتراجع الدول التي تعتمد على البترول ما سينعكس على المنافسة، حيث ستجد الولايات المتحدة الأمريكية نفسها مجبرة على إعادة حساباتها إذا كانت لا تريد خسارة مكانتها فالجزائر وقطر وإيران يميلون للتعامل مع روسيا والصين التي ستجد نفسها مجبرة على كسب روسيا دون تحويل التنافس إلى صراع، لأن الأخيرة معروفة باستعمال الغاز كورقة ضغط، وقد قامت بذلك سابقاً مع أوروبا، أما عن التطور التكنولوجي في التخلص من ثاني أكسيد الكربون فيصعب ذلك، حيث أن التقنية قائمة على تخزينه ثم تسريبه إما للأرض أو البحر ما سينتج عنه أزمات بيئية أكثر خطورة من الحالية.

سيتأثر ميزان القوة في المنطقة في حدود 2035 بتأثر ميزان القوة بين الولايات المتحدة التي من المرجح أن تظل الأكثر قوة خاصة من الناحية العسكرية، فالجيش الأمريكي أخذ خبرة أكبر في خوض حروب ضد جيوش غير نظامية بعد تدخله في أفغانستان والعراق وليبيا وسوريا، عكس الجيش الروسي المرتبط بالدخل الناتج عن قطاع المحروقات والثروة الطبيعية التي لا يتوقع ارتفاع أسعارها خلال هذه الفترة، وهذا لا يعني تراجع القوة الروسية التي ستظل مهمة ولو انهار اقتصادها. [2] وحذر تقرير لوكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA) بعنوان "الاتجاهات العالمية" (Global Trends) من صعود الصين الذي سيهدد المصالح الأمريكية، وسيكون له تبعات سياسية واقتصادية وجيوإستراتيجية خلال الفترة القادمة إلى غاية 2035، وأنه يجب إعادة التوازن وتحويل الاقتصاد الصيني القائم على التصدير ويحركه الاستثمار إلى اقتصاد يقوم على المستهلكين المحليين[3].

سيظلّ على الأرجح الاضطراب الذي تشهده المنطقة والحروب بالوكالة مردّه رغبة المواطنين في التغيير، وتكون الخلافات الدينية والسياسية هي المحرك الأساسي، وسيلعب انخفاض أسعار النفط دوره في ذلك، وتزداد المنافسة الأمنية والإستراتيجية بين إيران والسعودية، ومصر، تركيا والكيان الصهيوني

[1]European Union, European parliamentary research service, **Global Trends to 2035 Geopolitics qnd internatioal power**, 2017, p.40.
[2]Ibid, p.42.
[3]United States of America, National intelligence council, ***Global Trends paradox of progress***, January 2017, p.96.

ولتشمل المنافسة كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية والصين أيضاً، يرجع كل ذلك إلى ما ورثه الإقليم من حكم استبدادي وتبعية وجماعات عرقية أو دينية[1].

من المحتمل أن يتزايد التنافس الروسي الأمريكي الصيني في المدى المتوسط (حدود 10 إلى 15 سنة) على تصدير السلاح للمنطقة، وعلى هذا الشكل ستتطور تكنولوجيا الصناعات الحربية أكثر مثل تلك التي تتعلق بالتوجيه الأوتوماتيكي ولا تحتاج لإنسان يوجهها على غرار الطائرات دون طيار[2]. يرتبط كل ذلك بمستقبل الحروب وما ستؤول إليه الأوضاع السياسية والاقتصادية.

ما يميز الولايات المتحدة الأمريكية عن روسيا والصين حضورها الدائم في المنطقة، وأن لديها أداة فعالة تتمثل في حلف الناتو الذي حركته للتدخل في ليبيا، وتواجدها الدائم في البحر الأبيض المتوسط وقواعدها العسكرية ستجعلها أكثر دينامنكية وفعالية، الملاحظ أنه على غير العادة لم يستمر الجمهوريون في السلطة لعهدتين متتاليتين بعد تفوق "جون بايدن" على "ترامب"، ما سيؤدي إلى نوع من الهدوء المؤقت النسبي على مدى السنوات القادمة (2025) نهاية العهدة الرئاسية الأولى للرئيس الأمريكي وتستمر لغاية 2029 في حال بقاء الديمقراطيين في السلطة، يعتبر ذلك فرصة لموسكو وبيكين بالتوغل أكثر وترسيخ علاقات التعاون وتثبيت مواطئ قدم.

في هذا الصدد تفاوض موسكو طهران لجذبها إلى الاتحاد الأوراسي، التكتل الاقتصادي الذي يقوده روسيا في دول الاتحاد السوفياتي سابقاً. سيساعد هذا التكتل إيران على لتخفيف من العقوبات المفروضة عليها ويعزز التواجد الروسي على المدى الطويل في المنطقة، حيث من المتوقع أن تنظم طهران لهذا التكتل بحلول 2025[3].

لقد بينت جائحة كورونا (Covid -19-) أنه لا يمكن بناء المستقبل على السؤال ماذا سيحدث؟، وأثبتت فشل النظريات المختلفة في التنبؤ بما ستؤول إليه الأمور، نظرا لما حملته هذه الجائحة من تهديدات في جميع الأصعدة والأقاليم، والأكثر من ذلك تحور الفيروس والتخوف من استمرار تداعيات الجائحة أو تطورها، ما يصعب من إمكانية الاستشراف. وفي الوقت نفسه ستصبح ضبابية الرؤية هي الصفة الملازمة للدراسات المستقبلية، ومع ذلك يتوقع عدم عودة الحياة إلى طبيعتها في المدى القريب (5 سنوات)، من هذا المنطلق سيكون التنافس في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا متصلاً بهذا التحليل، ويجب أن يؤخذ في الحسبان الأزمات والمشاكل التي تعاني منها المنطقة والتي يمكن أن تحدث أو تطور في المستقبل.

---

[1] Ibid, p.109.

[2] European Union, Global…, Op, cit, p.48.

[3] Stephen Blank, **Russia in Middle Eastern position in 2025**, Jamestown foundation, November 2018, p.04.

ستتأثر دول المنطقة بعدة مشاكل يجب على كل الفواعل أخذها بعين الاعتبار بما فيها روسيا والولايات المتحدة الأمريكية والصين، حيث تشير تقديرات منظمة الأمم المتحدة للطفولة بأن عدد سكان المنطقة سيتجاوز 700 مليون نسمة سنة 2050[1]، لذلك يجب تنويع مصادر التمويل حتى تتناسب مع هذا الارتفاع، وبالمقابل ستتسع السوق الاستهلاكية ما يزيد حدة التنافس، ويجعل المنطقة خلال الثلاثة عقود القادمة أي حتى عام 2050 مهيأة للتأثر بالنقاط التالية:

1- **تراجع الأحادية القطبية:** أي النظام العالمي سيستمر في الانتقال نحو ازدواجية الأقطاب الولايات المتحدة الأمريكية ومعها إما روسيا أو الصين، أو تعدد الأقطاب يشملها جميعاً، وستكون المنطقة أكثر الأقاليم عرضة لهذا التحول نظراً لشدة التنافس فيها.

2- **التنافس الإقليمي:** ترتبط هذه النقطة بالأولى، فالتحول على النظام الدولي سيؤدي بالضرورة نحو التحول في النظام الإقليمي، لذلك سيزيد التنافس بين القوى التقليدية إيران، تركيا، السعودية، والإمارات وستظهر قوى تعديلية تحاول فرض تواجدها في الإقليم مثل قطر أو الإمارات العربية المتحدة، أو مصر أو حتى الجزائر، وكل ذلك سيكون برعاية ومباركة من القوى الكبرى (تنافس بالوكالة).

3- **التقلبات السياسية:** سيؤدي تزايد المطالب الشعبية بالتغيير مع تزايد القمع السياسي من طرف بعض الحكومات إلى انخفاض طموح التغيير السلمي أو اللاعنفي، وهذا سيولد موجة غضب شعبية قد تفرز حركات متطرفة مثل ما حدث في سوريا أو ليبيا، كما ستتراجع ثقة المواطنين في مؤسسات الدولة ما سيؤثر على الاستقرار السياسي.

4- **التقلبات الاقتصادية:** سيواجه الإقليم أزمات عديدة متعلقة بسوق النفط المتقلب، خاصة بعد جائحة كورونا التي أثرت على الاقتصاد العالمي وأثرت على الاستهلاك الذي أثر على الطلب العالمي للنفط المعتمد عليه كلياً تقريباً في وضع ميزانيات دول المنطقة.

5- **التطور التكنولوجي السريع:** سيتيح هذا التطور للحكومات مزيداً من القدرة على انتهاك الحياة الخاصة للمواطنين، قد يصل إلى درجة الاستبداد الرقمي، على غرار متابعة المدونين وقطع تدفق الانترنت خلال المظاهرات، وسيؤثر ذلك على الاستقرار العام، وارتفاع الهجمات السيبرانية.

كل النقاط المذكورة ستتفاعل فيما بينها وستشكل مستقبل التنافس الدولي على الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وستستمر الأوضاع على ما هي عليه، فسيكون التغير خلال العقد القادم نسبياً سواء نحو الأفضل أو الأسوأ.

[1]UNICEF, mema generation 2030 waiting in children and youth today to resure prosperoves tegion tomorrow, April 2019, p.18.

المبحث الثالث: موقف روسيا من أحداث الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010

انطلقت خلال أواخر سنة 2010 احتجاجات في تونس، ما لبثت تتحول لثورة شعبية تطالب برحيل الرئيس و"إسقاط النظام"، وانتقلت في 2011 إلى العديد من الدول وهذا يؤكد فرضية العدوى والانتشار، فالانطلاقة كانت من تونس لكنها شملت على الأقل عشرة (10) دول من المنطقة، تحولت العديد منها إلى حروب استمرت بما يفوق التسع سنوات على غرار سوريا وليبيا، لكنها انتهت بشكل سلمي–ولو مؤقتا– في دول أخرى مثل تونس والبحرين والجزائر.

والملاحظ أن دول المنطقة تتشابه في العديد من النقاط التي جعلت الشعوب تنتفض، حيث تشكل العلاقة بين الحكام والمحكومين حلقة صراع دائم فانتشار الفساد، والمحسوبية، وعسكرة الأنظمة السياسية، وشموليتها أثرت على سلوك الأفراد وذلك أدى بهم إلى محاولة تغيير الأوضاع القائمة. منذ دخول المنطقة في حركات شعبية تباينت شدتها وخطورتها واختلفت تداعياتها، تباينت ردود أفعال ومواقف روسيا حول هذه الأحداث وهذا ما سيتم التعرف عليه في هذا المبحث.

المطلب الأول: سلوك روسيا تجاه أحداث الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

لقد تم التطرق في عدة نقاط لإبراز أهمية المنطقة في استراتيجية روسيا التي لم تغب عن هذه الأحداث، فتخوفها من عدوى الانتشار إلى القوقاز سيؤثر بشكل كبير على الأمن القومي الروسي، وترى أن هذا الوضع يعتبر فرصة لتغيير طبيعية النظام الدولي، خاصة بعد هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية وسعي روسيا لإرضاء نظام متعدد الأقطاب كما أنها ترفض التدخلات العسكرية خوفا من إرساء تغيير الأنظمة عن طريق القوة. كما يمكن أن تعود للنظام الدولي كقطب من خلال هذه الأحداث المنطقة.

ويمكن فهم سلوك روسيا تجاه أحداث المنطقة من خلال أربع نقاط:[1]

1. فرض تحول نوعي في بنية النظام الدولي، تبرز فيه قوى جديدة على غرار الصين، وتحويل هيكلة إلى نظام متعدد الأقطاب.
2. تسعى روسيا للحفاظ على المبادئ التقليدية للنظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، خاصة مبدأ السيادة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.
3. ترى روسيا بأن الأنظمة السياسية القائمة في المنطقة فهي انعكاس للنظام السياسي الروسي.

[1] فرحات، مرجع سابق، ص ص.254–255.

4. تمثل أحداث المنطقة تهديدا فعليا للمصالح الروسية من جهة، وتهديدا للأمن القومي من جهة أخرى.

لم تعلن روسيا تأييدا واضحا أو موقفا ينحاز لطرف من أطراف المنطقة واعتبرت ما يحدث شأنا داخليا لا يجب التدخل فيه، ينبع ذلك من البراغماتية التي أسستها روسيا بعد وصول بوتين للحكم عكس الإتحاد السوفياتي الذي كان يدعم الثورات ضد الأنظمة، وقد تميز الموقف بالتحفظ أحيانا والتأني أحيانا أخرى، بغية معرفة مآلات الأحداث، وأطرافها وقوة كل طرف وداعميه.[1]

وفي ذلك يبدو واضحا تناغم الموقف الروسي مع ما صدر من قبل في كل الوثائق والقوانين على غرار وثيقة "الأمن القومي للاتحاد الروسي" سنة 2015 ووثيقة "مفهوم السياسة الخارجية" سنة 2008 وهو ما يبين عن عودة متزامنة، كسب مزيد من المؤيدين والحلفاء خاصة بعد الجهود التي بذلتها قبيل الأحداث التي من الممكن أن تعصف بكل ما بذلته من أجل ترسيخ عودتها، وتعزيز مكانتها في إطار كسر الحصار المفروض عليها من الغرب، وبعث التنافس بينهما من جديد ما يعيد للأذهان حربا باردة بجيلها الثاني. معتمدة على الاختلاف القائم بين نظرتها القائمة على التدخل الأجنبي هو سبب ما يحدث في المنطقة، بينما يرى الغرب أن قلة الديموقراطية في هذه الدول هي سبب الفوضى، حيث يرى "برناند لويس" (Bernad Lewis) في كتابه "مستقبل الشرق الأوسط" (The Future of the Middle East) أن "النزاعات على المصالح أو السياسات بين الطرفين المتنافسين في نظام ديموقراطي يمكن أن تجري دون اللجوء إلى الحرب"[2]، وفيما يلي موقف روسيا من أحداث المنطقة بعد 2010 حسب كل دولة:

❖ **تونس:** عرفت تونس في ديسمبر 2010 موجة احتجاجات بعد حرق "محمد البوعزيزي" نفسه احتجاجا على تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمواطنين، وارتفاع التعسف في استعمال السلطة تأتي هذه الحادثة لتكشف عن نقطة إشترك فيها دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تتمثل في نقص كبير في الديموقراطية والتنمية نتيجة اتساع الهوة بالشعوب والحكام، جاءت هذه الاحتجاجات لتطيح بالرئيس الراحل "زين العابدين بن علي"، ولم تكتف ثورة الشعب التونسي بذلك، بل كانت إشارة انطلاق مسيرة سقاط الأنظمة في عدة دول من المنطقة وخارجها.

وقد أجاب الرئيس الروسي السابق "ميدفيديف" على سؤال أحد الصحفيين حول ما حدث في تونس بقوله: "أعتقد أن ما حدث في تونس كان درسا كبيرا للحكومات في جميع أنحاء العالم. يجب ألا تجلس

[1] نورهان الشيخ، *"روسيا.."*، مرجع سابق، ص.294.

الحكومات على أمجادها وتستقر مرة أخرى في مقاعد مريحة، ولكن عليها أن تنمو وتتطور مع المجتمع"[1]. وبذلك يكون ميدفيديف قد لخص دور الحكومات على مر التاريخ فالحاجات دائما في تطور والمجتمعات دائما في نمو، لذلك من غير المعقول ألا تواكب الحكومات ذلك. فكلما زادت الاحتياجات زادت ميول الأفراد للنزاع. وأضاف: "عندما تفشل الحكومات في مواكبة التغيير الاجتماعي، وتفشل في تلبية آمال الناس، ينشأ عدم التنظيم والفوضى"[2].

ووضح "ميدفيديف" السبب الرئيسي فيما حدث بقوله "هذه مشكلة الحكومات نفسها والمسؤولية التي تتحملها. حتى لو وجدت أن العديد من المطالب غير مقبولة، فلا يزال يتعين عليها البقاء في حوار مع جميع المجموعات المختلفة"[3]. وكل ما يمكن ملاحظته أن روسيا اعتبرت ما حدث في تونس درسا لحكومات المنطقة لكنها لم تخض كثيرا في تلك الأحداث ليس بسبب عدم اهتمامها، بل تسارع الأحداث التي جاءت فجائية وانتهت بسرعة في تونس إلى مرحلة انتقالية أثّرت على الاستقرار الإقليمي والعالمي.

مصر: لم يمض كثير عن أحداث تونس حتى أطلق الشعب المصري ثورته ضد نظام "حسني مبارك" فاختلف رأي موسكو التي اعتبرت أن هذه الأحداث هي "ثورات ملونة" برعاية أمريكية. وعلى عكس تونس تابعت روسيا أحداث مصر بحذر بالغ، حيث أكد "ميدفيديف" على ضرورة إيجاد حل سلمي، بأن مصر قوية وديموقراطية، ومع ذلك أبدى إشارة واضحة للتعامل مع الحكومة الجديدة[4]، في إشارة إلى اتفاق بين روسيا والغرب لقبول التغيير السياسي في مصر.

لم يكن الموقف الروسي مؤثرا في بداية الأحداث، وفي هذا الصدد أصدر "الكرملين" وثيقة بتاريخ 12 فيفري 2012 على شكل بيان جاء فيه: "أن روسيا تأمل استعادة الديموقراطية بشكل تام، وتطبيق جميع الإجراءات الانتخابية المشروعة لهذا الغرض"[5]،بناء على الموقف الرسميلا تمثل مصر المكانة نفسها في إستراتيجية روسيا عكس الاتحاد السوفياتي الذي كانت أهم حلفائه، ولم يكتف البيان بالتعريج على الديموقراطية في مصر، بل بين أهمية التوافق والوئام بين الأديان، واعتبر مصر عاملا مهما في استقرار عملية السلام في المنطقة، وأشار إلى العلاقات الروسية المصرية المتميزة، وتوقع تطويرها مستقبلا[6].

---

[1] Russian federation, ***Kremlin, Dmitry Medvedev addressed the world ecomic forum in davos***, 26/01/2011 , on web site : http://www.kremlin.ru/events/presidant/news/10163 (10/10/2020)

[2] Ibid.

[3] Ibid.

[4] Mark N.Katz, ***Russia and arab spring, middle east institute***, April 3rd ,2012, on web site :https://www.mei.edu/publications/russia-and-arab-spring ,(15/10/2020)

[5] Russian federation, ***Kremlin, statement by presidant of Russia on the situation in Egypt***, on web site : http://www.kremlin.ru/events/presidant/news/10321 (15/10/2020)

[6] Ibid.

وقد بدت الدهشة والارتباك واضحين على مواقف السياسيين الروس من الأحداث، فبعد أن كان الموقف مواليا للرئيس السابق "مبارك" بدليل تصريح القنصل الروسي في القاهرة في 27 جانفي 2011 أن الأمور في تحت السيطرة ولا يتوقعون تفاقم الأوضاع، وبتاريخ 28 جانفي 2011 اعتبر "قنسطنطين كوساتشيوف" رئيس لجنة العلاقات الدولية بالغرفة السفلى للبرلمان (الدوما) أن قوى متطرفة تؤجج الأوضاع في مصر، وتحاول الاستيلاء على السلطة خلسة.

لكن هذا الموقف تحول، فبعد تنحي "مبارك" أعرب "ميخائيل مارجيلوف" رئيس لجنة الشؤون الدولية في مجلس الفيدرالية (المجلس الأعلى للبرلمان) عن ارتياحه لهذه الخطوة ووصفها بأنها: "خطوة جاءت في الوقت المناسب"[1]. هذا يبين روسيا لم تظهر أي نية في تحقيق أهداف من أحداث مصر بالرغم من أنها تمثل فرصة لتدشين عودة قوية للمنطقة، إلا أن الرغبة في عدم المغامرة بدعم أي طرف حتى يظهر الأقوى، فإن لم تحقق موسكو مكاسب جديدة عليها ألا تخسر مكانتها كلية.

❖ **اليمن:** لعبت الأحداث في كل من تونس ومصر دورا في انتقالها إلى عدة دول من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، فكان في اليمن أكثر النزاعات حدة وتعقيدا تحول إلى حرب إقليمية الميدان دولية الأطراف. أسقطت ثورة الشعب اليمني حكما دام 33 سنة بقيادة الرئيس السابق "علي عبد الله صالح" منذ 2011 سيطر خلالها الحوثيون على صنعاء في سبتمبر 2014، وبدأت السعودية تحالفا تدعمه الولايات المتحدة الأمريكية في مارس 2015، برزت الرغبة الروسية في العودة إلى اليمن سنة 2009 عندما تحدث مسؤول عسكري روسي عن نية إنشاء قاعدة عسكرية على مقربة من مضيق باب المندب الذي يمر عبره 18% من نفط المنطقة[2].

لم يختلف موقف روسيا من أحداث اليمن في بدايتها عن الموقف من الوضع في تونس أو مصر حيث أبقت على نفس المنافسة في علاقتها مع جميع الأطراف في انتظار ميل الكفة لصالح طرف معين وأكدت على أهمية الحفاظ على وحدة اليمن وسلامة أراضيه، وقدرة اليمنيين على تجاوز الأزمة بالحوار[3] وهذا دليل على ثبات الموقف الروسي، من جهة أخرى دعا وزير الخارجية "سيرغي لافروف" (Sergey Lavrov) الأطراف المتنازعة للتوصل إلى حل، وظهر موقف بلاده متناغما مع الحل الذي اقترحه مجلس

---

[1] نرهان الشيخ، *"الموقف الروسي من الثورات العربية: مجلة البيان"*، التقرير الاستراتيجي التاسع، (د س ن)، ص ص.277-278.

[2] مركز أبعاد للدراسات والبحوث، عودة روسيا إلى اليمن، تقرير منشور بتاريخ: 2020/03/21، على الموقع الالكتروني: https://abaadstudies.org/news-59834.html, (16/10/2020)

[3] الشيخ، *"روسيا.."*، مرجع سابق، ص.393.

التعاون الخليجي مطالبا "صالح" وطاقمه بالتنحي مقابل الحصانة[1]. وتطابق الموقف الروسي مع الموقف الغربي أيضا، اذ لم تكن على استعداد للانخراط بشكل مباشر في اليمن، وأشادت بالانتقال السلمي للسلطة عن طريق انتخابات بمترشح واحد[2].

ولليمن أهمية إستراتيجية لدى العديد من الدول على غرار فرنسا وتركيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية، التي تقيم قواعد عسكرية قريبة من مضيق باب المندب، عكس روسيا ليس لها قاعدة عسكرية هناك، وبالتالي أعادت تقديم رؤيتها للأمن الجماعي في الخليج العربي سنة 2019[3]. يعتبر النزاع في اليمن نزاعا إقليميا يجسد صراعا روسيا أمريكيا بالوكالة عن طريق إيران حليفة روسيا بينما السعودية حليفة الولايات المتحدة، وتتصارع هاتان القوتان الاقليميتان في المنطقة انطلاقا من دعم إيران المقاتلين الشيعة، ودعم الرياض للسنّة. هذا سيصعّب الفصل بين الحليف الاستراتيجي إيران، والسعودية الفاعل المهم في سوق النفط الدولية.

جاء قرار مجلس الأمن رقم 2216 الذي نص على الانسحاب من جميع المناطق التي تم الاستيلاء عليها وأكد على سلطة حكومة هادي وشرعيته ضد أهداف موسكو التي امتنعت عن التصويت باعتبار أن نص القرار لا يتماشى مع الحل السياسي واستخدمت روسيا حق النقض (فيتو) عدة مرات منذ ذلك الحين رافضة اخراج القضية خارج الأمم المتحدة[4].

تضع الحرب في اليمن استراتيجية روسيا قيد الاختبار نظرا لتعدد الفواعل الداخلية (الحكومة الحوثيون، المجلس الانتقالي في الجنوب) والإقليمية (الامارات، السعودية، إيران، مصر) ودولية (فرنسا الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا) فالاختبار الحقيقي يكمن في التعامل مع كل هذه الأطراف دون الانحياز الواضح لأي منها قد تكون عواقب كبيرة تؤثر على التواجد الروسي في المنطقة، وفي هذا الشأن تنفي موسكو أي تواجد لمؤسسات أمنية روسية في الميدان ردا على الاتهامات التي توجهها لها دول عدة.

❖ البحرين: وصفت روسيا الأحداث في البحرين مسيرات احتجاجية وشأنا داخليا، ودعت الأطراف إلى حل المشاكل عبر القنوات القانونية والحوار الفعال، لإحلال الاستقرار والوحدة الوطنية في المجتمع البحريني[5]. وكانت البحرين قد دخلت في احتجاجات شعبية من الأغلبية الشيعية ضد الأسرة المالكة

---

[1] Katz, op.cit

[2] مركز الأبعاد للدراسات والبحوث، مرجع سابق.

[3] Katz, op.cit.

[4] المرجع نفسه.

[5] الشيخ، *"روسيا.."*، مرجع سابق، ص ص.292-293.

السنية[1]، الكرملين مرة أخرى تحت الاختبار والتعامل مع طرفين أغلبية شيعية تدعمها إيران، وأقلية سنية تدعمها السعودية، وكلاهما فاعلان اقليميان مهمان في المنطقة.

لم تعترض موسكو عن دخول قوات سعودية إماراتية تحت اسم قوات درع الجزيرة في مارس 2011، واعتبرت ما يحدث في إطار التحالفات وشيء طبيعي طالما جاء بطلب من الحكومة البحرينية[2] الشرعية ولا يخرج عن مبادئ القانون الدولي ولا وثيقة مفهوم السياسة الخارجية الروسية ولا عن وثيقة الأمن القومي الروسي.

المطلب الثاني: موقف روسيا من أحداث ليبيا

بدأت الانتفاضات الشعبية في ليبيا منذ 17 فيفري 2011[3]، وكانت الانطلاقة من مدينة بنغازي طالبت هذه المظاهرات بالقضاء على الفساد الذي سيطر على مفاصل الدولة، وانتهاكات حقوق الانسان وطالبت الرئيس السابق معمر القذافي بالتنحي، وتحسين الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمواطنين.

أسس القذافي الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى سنة 1977 وأنهى الحكم الجمهوري الذي أسسه بعد انقلابه على الملك إدريس سنة 1969 معززا دور الأجهزة الأمنية، وأحكم قبضته على كافة السلطات[4]، دام حكم القذافي لحوالي 42 سنة، لذلك كان من الطبيعي أن ينتفض الشعب ويحاول التغيير، ولا يختلف تأسيس الدولة في ليبيا عن أغلب دول المنطقة في طريقة الوصول إلى الحكم الذي قام على الانقلاب وإحكام القبضة على السلطات وهيمنة المؤسسات الأمنية.

حاول القذافي في بداية الاحداث استباق الاحتجاجات معتمدا على حلول ترقيعية بخفض أسعار المواد الغذائية، وإطلاق المعتقلين السياسيين، ثم قمع المحتجين عن طريق حملة عسكرية تحت شعار "تطهير ليبيا بيت بيت"، واستولت كتائبه على مدينة مصراته، وحضرت للهجوم على بنغازي[5]. وقام كما قامت به الحكومات العربية بممارسة العنف ضد المحتجين وأطلق حملته "زنقة زنقة" اعتمادا على القوة، فالأنظمة في الدول العربية لا تحاول تطوير نفسها ومواكبة التغيرات والتكيف مع الأوضاع، والاستماع للمطالب

---

[1] Katz, op.cit.

[2] الشيخ، *"روسيا.."*، مرجع سابق، ص.293.

[3] إبراهيم شرقية، ***إعمار ليبيا: تحقيق الاستقرار من خلال المصالحة الوطنية***، (قطر: مركز بروكينجز الدوحة، ديسمبر،2019)، ص.03.

[4] المكان نفسه.

[5] المرجع نفسه، ص ص.03-04.

بل تسارع إلى استعمال القوة في القمع ويبقى همها البقاء في السلطة ولو على حساب حياة المواطنين وهذا ما حدث في تونس، ليبيا، سوريا، اليمن، البحرين.

أسفرت الانتفاضة عن تغييرات تاريخية في النسيج السياسي والاقتصادي والاجتماعي للبلاد مخلفة نزوحا مدنيا وهجرة واسعة النطاق، فقد غادر حوالي 900 ألف شخص البلاد ما بين فيفري 2011 وديسمبر 2013[1]. لكن لا يمكن الحكم على هذا الرقم بأنه من الليبيين فقط، باعتبار ليبيا دولة عبور الأفارقة نحو أوروبا، ومع ذلك يبقى دليلا عن تردي الأوضاع الأمنية وفشل الدولة.

أدى تدخل حلف شمال الأطلسي في ليبيا إلى القضاء على القذافي وإنهاء حكمه، لكنه لم يرسخ سلاما بعد فشل الحكومات المؤقتة المتوالية في الوصول إلى اتفاق، وبدأت البلاد في حرب حاول كل طرف (ثلاث حكومات متنافسة) إنهاءها وفق مصالحه ومصالح حلفائه من الخارج، كما أثر هذا التدخل على الوضع الأمني، فانتشرت الجماعات الإرهابية مثل القاعدة و"داعش" والمنظمات الاجرامية المتخصصة في الهجرة الغير الشرعية التي أثرت مباشرة على أمن أوروبا[2].

تجسد الحرب في ليبيا تصارع مصالح قوى إقليمية ودولية، حيث رأت الولايات المتحدة الأمريكية بأنه لا يمكن إنهاء الحرب دون إشراك فواعل خارجية لمواجهة التنظيمات المتشددة والتهديدات الناجمة عن النزاع الأهلي في ليبيا[3]. بالمقابل تسعى روسيا لإنهاء الحرب في ليبيا، وتخشى القوى الإقليمية من ترتيبات التكوين الإقليمي، بسبب ظهور مناطق حكم دون وطني لا تخضع لسيطرة الدولة الوطنية.

يفرض التحليل الاستراتيجي ضرورة معرفة الجوانب الدينية والأيديولوجية، والدبلوماسية والأوضاع العسكرية المتغيرة باستمرار، لما لها من تغيرات إستراتيجية وجيوبوليتيكية تحملها للنظامين الدولي والإقليمي، لذلك لا يمكن إغفال التركيبة القبلية للمجتمع الليبي التي يجب أخذها بعين الاعتبار لحل النزاع وإنهاء الحرب[4].

لقد ساهمت أطراف أجنبية عسكرية ومدنية في تشكيل القوى الداخلية لحرب ليبيا، وتفاقمت العمليات العسكرية بغرض السيطرة على المناطق الإستراتيجية وتحقيق مكاسب ميدانية، وطغى جانب إضفاء

[1]USA, The UN refuge Agency, ***UNHCR global appeal 2012-2013 libya***, on web site :https://www.unhcr.org/publication/fundraising/4ec23100/unhcr-global-apeal-2012-2013-libya.html, (16/10/2020)
[2] Emily Estelle, ***a strategy for success in Libya***, USA, American entreprise institute,2017, p.01.
[3]Ibid, p.02.
[4] Luigi Narbone and othrs***, inside wars local dynamic of confliction Syria and Libya***, (Italy : European universuty, 2016), p.b.

الشرعية على ممثلي القوى الأجنبية في الداخل[1]، فروسيا وفرنسا والإمارات العربية المتحدة يدعمون حفتر في الشرق، وتدعم الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا حكومة الوفاق بقيادة فائز السراج في الغرب وبذلك تتجلى صورة الصراع بين القوى الكبرى في ليبيا عن طريق الوكالة.

ما يمكن ملاحظته أنه لا يمكن فهم الحرب في ليبيا دون البحث في التوليفة المتكونة من الأطراف التالية: بقايا نظام القذافي والموالون له، قوات التحالف والمجلس الانتقالي، الأمم المتحدة، الجامعة العربية، تدخل الناتو، الدول الأجنبية والفواعل التابعة لها، التركيبة القبلية والإثنيةالدّاخلية وامتدادها في القارة الإفريقية، والتوزع الطبيعي للثروات الباطنية.

لقد كان سقوط القذافي بمثابة انتصار للأنظمة السياسية الإقليمية في المنطقة على غرار الأردن ومصر وتونس،ذلك لأن القذافي لم يكن محبوبا لدى الحكومات العربية، وهذا سهل عملية إسقاطه وعدم المبالاة بما حدث في بلاده، التي تربط بين الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، بدليل ما قامت دول مثل قطر مصر والإمارات بمحاولة لتغيير الخارطة السياسية بين أطراف النزاع الذي من المفروض أن يكون بين الليبيين، وشأنا داخليا.

اتخذ مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة موقفا واضحا مما يحدث في ليبيا منذ البداية فأصدر قرارين متتاليين في أقل من شهر. جاء الأول في 26 فيفري 2011 يحمل رقم 1970 أكد انتهاك حقوق وارتكاب جرائم في ليبيا[2]. وقد طالب السلطات الليبية بإجراءات من شأنها احتواء الوضع، ثم أحال الملف على المحكمة الجنائية الدولية وحظر الأسلحة، حظر السفر على الأفراد المدرجة أسماؤهم في قائمة الممنوعين من السفر، وتجميد الأصول، وفسح المجال أمام المساعدات الانساني[2].

من تاريخ 17 فيفري حتى 26 من الشهر نفسه، وفي ظرف عشرة أيام (10) فقط يصدر مجلس وثيقة بكل هذا الثقل، ما يستدعي التوقف وتحليل القرار واستنتاج ما يلي:

- ليبيا ليست دولة دون مؤسسات حتى يحدث كل هذا في ظرف عشرة (10) أيام، فقد تجاوزت الحرب فيها عامها العاشر، ومع ذلك لم يستمر مجلس الأمن بنفس وتيرة العمل.
- يبدو مجلس الأمن كان مهيأ من البداية للتصرف على هذا النحو، إذ لا يمكن إنكار التجاوزات التي حصلت في تونس أو مصر، ومع ذلك لم يتعاط معها كليبيا.

[1] Ibid, p.57.

[2] الولايات المتحدة الأمريكية، الأمم المتحدة (مجلس الأمن)، ***القرار 1970 المتعلق بليبيا***، 27 فيفري 2011.

– عشرة (10) أيام ليست كافية لتسقط الدولة ويتدخل مجلس الأمن، لذلك يجب إصلاحه من أجل منع سياسة الكيل بمكيالين، إضافة إلى أن هذا المجلس أصبح أداة في يد الدول الخمس الكبرى لتحقيق مآربها.

أما الثاني جاء بعد عقد مجلس الأمن جلسة أخرى تحت رقم 6498 صدر عنها القرار رقم 1973 بتاريخ 17 مارس 2011 عبر فيه عن استيائه من عدم امتثال السلطات الليبية للقرار 1970 وانتهاكات حقوق الإنسان والعنف والتخويف الممارس ضد الشعب والإعلام، وتصرف المجلس بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة ** ودار القرار حول حماية المدنيين، إنشاء منطقة حظر الطيران، إنفاذ حظر الأسلحة ودعوة دول المنطقة والدول الأعضاء بالانخراط في عملية إحلال السلم وحظر الرحلات الجوية، وتجميد الأصول المفروض بموجب الفقرات 17 و19 و20 و21 من القرار 1970 (2011) وتحديد الأسماء المعينة بهذا القرار، وتكوين فريق من ثمانية (08) خبراء للسهر على تنفيذه[1].

ومن خلال هذا القرار يمكن استنتاج النقاط التالية:

– تهيئة الجو المناسب أمام الدول الكبرى للتدخل العسكري في ليبيا بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

– سكوت حكومات المنطقة عن هذا القرار الذي جاء بسرعة فائقة (حوالي شهر من الجلستين وانطلاق المظاهرات)، والتي لا تختلف كثيرا عن ممارسات القذافي سواء في الأنظمة الملكية أو الجمهورية.

– إضفاء طابع للتدخل في ليبيا تحت غطاء الشرعية الدولية لتتأكد ضرورة إعادة إصلاح هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن.

– السعي بكل الوسائل لإثبات إخلال أطراف النزاع الليبي بالسلم والأمن الدوليين، ما يستدعي تدخل الناتو بموجب الفصل السابع.

– تحالف المنظمات الدولية الكبرى هيئة الأمم المتحدة، جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي لتخرج كلها ببيانات ختامية وقرارات لازال لحد اليوم يدفع ثمنها الشعب الليبي ماديا ومعنويا بحيث يعتبر الخاسر الأكبر في هذه المعادلة.

** يهتم الفصل السابع بالإجراءات التي تتخذ في حالات تهديد السلام والاخلال به ووقوع العدوان، يمتد هذا الفصل من المادة 39 حتى المادة 51 لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على: الولايات المتحدة الأمريكية، ***الأمم المتحدة، ميثاق الأمم المتحدة***، 26 جوان 1945، ص ص.18-20.

[1] الولايات المتحدة الأمريكية، الأمم المتحدة(مجلس الأمن)، ***القرار 1973 المتعلق بليبيا***، 17 مارس 2011.

تنظر روسيا للحرب في ليبيا على أنها فرصة يمكن من خلالها العودة للنظام العالمي، ولكنها حافظت على تفاعلها المتوازن مع جميع الأطراف دون دعم طرف على حساب الآخر، وكان أول موقف واضح ترجم هذا التوازن موافقة موسكو على القرار 1970 الصادر من مجلس الأمن، وعدم استخدام حق النقض "فيتو" ضد القرار 1973[1]، بالرغم أن القذافي كان حتى وقت قريب حليفا مهما، لكن هاذين الموقفين بيّنا أن روسيا لم تعد ترغب في وجوده وبدأت تغير مواقفها نحو "الثوار"، ترجمه السكوت عن تدخل حلف شمال الأطلسي[2].

أحدث تدخل حلف الناتو في ليبيا مشكلة على رأس هرم السلطة في روسيا بعد أن انتقد بوتين الرئيس ميدفيديف – في تلك الفترة– لعدم استخدامه حق الفيتو ضد القرار 1973، وعد موقف "معيبا وخاسرا ويذكر بدعوات القرون الوسطى إلى شن حملات صليبية، ويجيز التدخل في شؤون دولة ذات سيادة" وذهب لأكثر من ذلك بوصفه لتدخل الناتو بالحرب الصليبية، ليرد عليه ميدفيديف بانه: "أمر لا يغتفر على الإطلاق استخدام التعبيرات التي تؤدي إلى صدام الحضارات مثل الحروب الصليبية"[3].

إن التمعن في التصريحين لا يدل على اختلاف وجهات النظر وحسب. إنّما يدل على اختلاف في طريقة تحقيق الأهداف الإستراتيجية، فالتدخل في جورجيا في عهدة ميدفيديف، والاكتفاء بالعمل السياسي في الملف الليبي يحمل تفسيرا بأن موسكو يكتفي بمجالها الحيوي، بينما يحمل بوتين نظرة إستراتيجية أكثر اتساعا خارج المجال الحيوي المعروف لروسيا، ويريد إعادتها لمصافّ القوى العظمى. لكنهما اتفقا في أن ما يحدث في الإقليم وليبيا خاصة، والتدخل الأجنبي قد يؤدي إلى صعود المتطرفين "الإسلاميين"ويؤثر سلبا على شمال القوقاز الروسي[4].

اعتبرت "إينا ميخائيلوفنا" رئيسة المركز الروسي الحديث لاستطلاعات الرأي أن أسباب تأرجح الموقف الروسي تعود لعاملين:[5]

---

[1]الشيخ، ***موقف..***، مرجع سابق، ص.293.

[2]المكان نفسه.

[3]نوار جليل هاشم، أحمد زين العابدين طعمه، "الموقف الروسي من الثورات العربية (ليبيا ومصر، وسوريا نموذجا)"، ***سياسيات عربية***، ع12، جانفي 2015، ص .118.

[4]Katz.op.cit

[5]هاشم، مرجع سابق، ص.118.

1. التشكيك في نوايا الأمريكية والغربية خاصة بعد التدخل الأمريكي في العراق (2003)، وتعرض المصالح الروسية في القوقاز لمؤامرة استهدفته لإفشال مشاريعها الاقتصادية الخاصة بالسيطرة على طرق نقل الطاقة.

2. تنامي القناعة لدى صناع القرار الروس، بأن ما يحدث في الشرق الأوسط يمكن أن يؤدي إلى سيطرة المتطرفين دينيا التي تهدد الأمن الروسي، لكنه يتجاهل المعتدلين الذين تم تغييبهم عن أحداث المنطقة.

ويمكن إظهار أسباب غموض الموقف الروسي في النقاط التالية:

1. **الشك والحذر:** شكك الكرملين في كل الفواعل الداخلية والخارجية، فالمصلحة هي المحرك الأساس لعلاقات الفواعل، وكل طرف يسعى إلى ضم أكبر قدر من الحلفاء او الانضمام إلى الأطراف الأكثر قوة من أجل زيادة حصة المصالح، فالمواقف تتغير حسب تغيّر موازين القوى، لذلك تحذر موسكو من الانحياز لطرف يكون بعد فترة الحلقة الأضعف وتخسر معه مصالحها.

2. **تسارع الأحداث:** شكلت الأحداث خاصة في بداية الحرب الليبية، مشكلة لدى روسيا، خاصة بأن الثورات جاءت فجأة، وتسارعت فيها الأحداث بشكل لم يتح فرصة لصناع القرار بالتأقلم والتكيف مع المتغيرات، خاصة أن مجلس الأمن أصدر قرارين بشأن ليبيا خلال فترة وجيزة (حوالي شهرين). لذلك لم يكن الوقت في صالح موسكو.

3. **التباين في المواقف** بين القيادات، الرئيس "ميدفيديف" –في تلك الفترة– ورئيس الوزراء "بوتين" أظهر أن الكرملين انقسم إلى رأيين مختلفينبشأن الملف الليبي، موقف الرئيس الذي رفض تدخل الغرب لكنه يركز على البعد الدبلوماسي، لأنّه لا يمكن الوقوف في وجه الولايات المتحدة وحلفائها، بينما رأى رئيس الوزراء ضرورة التصدي للغرب وإنقاذ المصالح الروسية ولو بالقوة.

4. **الازدواجية في الموقف العربي**، الذي غلب عليه الصمت على ما يحدث في ليبيا، في حين تناغم موقف جامعة الدول العربية مع موقف مجلس الأمن، ودعمت حكومات أخرى بعض الأطراف في ليبيا كل ذلك جعل المشهد ضبابيا أمام موسكو وصعب من اتخاذ الموقف الأنجع.

المطلب الثالث: موقف روسيا من الحرب في سوريا

يرجع تاريخ الحرب في سوريا إلى الثورة التي قام بها الشعب السوري ضد نظام بشار الأسد في مارس 2011[1]، عندما تعرضت دمشق لاختبار حقيقي لمدى قوة العلاقة بين الشعب والحكومة بالرغم من بداية الحراك بمطالب اجتماعية ومعيشية، تحول بسرعة إلى مطالب بإسقاط نظام الحكم الذي اتسم بعدم الاستقرار.

انطلقت المظاهرات من مدينة درعا، نتيجة تردي الأوضاع السياسية وسيطرة حزب البعث، وتدهورها خاصة في ريف سوريا التي صنفت في المرتبة 51 في سلم انتشار الفساد[2]، وخلفت الأزمة منذ بدايتها وقبل تطورها إلى حرب أزمات على المستوى الإقليمي والدولي، فقد أظهرت تعقدا كبيرا في تطورات النزاع، اذ حاولت كل من تركيا والولايات المتحدة الأمريكية إخفاء خلافاتها مع دمشق. حيث اعتبرت الثانية وحدات حماية الشعب حليفا ميدانيا مهما، بينما رأتها الأولى سببا رئيسيا لعملياتها العسكرية في سوريا وهدفا لها وعدوا في المنطقة، أما إيران، فهي ملتزمة بالدفاع عن الحكومة السورية[3].

اختلفت الولايات المتحدة الأمريكية مع تركيا حليفتها في الناتو حول وحدات حماية الشعب بينما اتفقتا بشأن الحكومة السورية، وهذا دليل على أن ما يحدث حرب مصالح ولا علاقة لها بحقوق الإنسان ونشر الديموقراطية وشعارات هيئة الأمم المتحدة.

استمر الاختلاف الواضح في القيادة الروسية حول أحداث المنطقة، فبعد موقف "ميدفيديف" إزاء ليبيا لم يختلف موقفه كثيرا عن الأزمة السورية خاصة وأنه "ينتظر الأسد مصير محزن إذا لم يبدأ حوارا مع المعارضة، ويباشر بالإصلاحات"[4]، أي أنه حافظ على الوسطية في التعامل مع الأطراف، ومع تصاعد الأحداث السورية واستخدام العنف ضد المتظاهرين، ثم استعمال المعارضة للعنف ضد الجيش السوري حمّلت موسكو الطرفين المسؤولية، ورفضت التدخل الخارجي ودعت إلى ضرورة جلوس جميع الأطراف

---

[1] ربيع ناصر وآخرون، ***الأزمة السورية الجذور والآثار الاقتصادية والاجتماعية***، (سوريا: المركز السوري لبحوث السياسات، 2013)، ص.13.

[2] جمال واكيم، ***صراع القوى الكبرى على سوريا الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011***، ط2، (لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،2013)، ص.13.

[3] أندرو بارا سيليتي، وآخرون، ***منع انهيار الدولة في سوريا***، (الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة راند،2017)، ص.04.

[4] الشيخ، ***الموقف..***، مرجع سابق، ص.280.

على طاولة المفاوضات[1]. وانتقدت في الوقت نفسه انحياز الغرب إلى المعارضة، خاصة بعد لقاء دبلوماسيين أمريكيين مع ممثلي المعارضة[2].

الملاحظ أن الفرق واضح بين الموقفين، فبينما لم يمل الكرملين لأي طرف، اتخذ الغرب موقفا معاديا لنظام الأسد، وعبرت البراغماتية الروسية عن حنكة في تسيير الملف، ففي حال فوز أي طرف لن تخسر شيئا (في وقت كان ميدفيديف رئيسا)، بينما سيخسر الغرب سوريا للأبد في حال بقاء الأسد في السلطة وحسب وجهة النظر الروسية فإن بقاء الدولة قائمة أهم من انتصار أي طرف في هذه الحرب ولذلك يجب حل الأزمة في إطار الوحدة الوطنية، والمفاوضات والطرق السلمية.

أقر "ميدفيديف" بأن بلاده لا تنوي فرض عقوبات اقتصادية على نظام الأسد، ولن تسمح بذلك، وأعلن وزير الخارجية "لافروف" أن بلاده لن تسمح بأي تدخل في روسيا، وأن إسقاط النظام قد يأتي بحكومة راديكالية لا تحمل العداء للغرب وحسب بل لبلاده أيضا، مستدلا بالتدخلات الأمريكية في أفغانستان والعراق وليبيا التي خلقت حالة من الفوضى وسيؤدي إلى النتيجة نفسها ان حدث في سوريا، وستضرر المصالح الروسية[3]، وأن أي تغيير في النظام السوري سيؤدي إلى حرب أهلية تمتد من آسيا الوسطى والقوقاز، ولكن الهدف الرئيسي من وراء تمسك روسيا بسوريا أن بحث أوروبا عن خطوط إمداد جديدة للغاز القادمة من المشرق العربي والخليج لا يمكن تحقيقه إلا إذا مرت عبر سوريا، وبموافقة الحكومة السورية[4] حليفة روسيا، ولابد من عزلها، ثم تنصيب حكومة موالية للغرب تحقق هذا الشرط، وتخسر روسيا أهم ورقة في لعبتها الإستراتيجية (ورقة الغاز)، وفي سنة 2009 طلب أمير قطر من الأسد إنشاء أنبوب قطري عبر سوريا إلى تركيا، فاعتذر الأخير بأن سوريا مرتبطة بصداقة مع روسيا وتريد الاستثمار فيها[5].

يمتزج الجيوبوليتيك بالبعد العقائدي في موقف روسيا من أحداث سوريا، فدعم نظام الأسد العلوي الشيعي سيوثق تحالفا قويا مع عدة دول غنية بالغاز، وسيكون مستقبله وسعره مرتبطا بهذا التحالف، فالاقتصاد الروسي يقوم على الغاز، ودعم نظام الأسد سيجر معه دعما إيرانيا لبنانيا عراقيا، خاصة في

---

[1] الشيخ، *"روسيا.."*، مرجع سابق، ص.294.

[2] الشيخ، ***الموقف..***، مرجع سابق، ص.281.

[3] Katz, ***Russia…***, op.cit

[4] ديب، مرجع سابق، ص.241.

[5] المرجع نفسه، ص.242.

ظل اكتشافات الغاز في كل من لبنان وسوريا في البحر الأبيض المتوسط. وبذلك سيزداد هذا التحالف أكثر في ظل وجود ذراع إيران في المنطقة "حزب الله".

بتاريخ 2011/08/06 صرح رئيس المجلس الاجتماعي بوزارة الدفاع الروسية "ايغور كوريتشينكو" بأنه: "على الحكومة السورية ان تقضي على أي عدوان خارجي بأساليب شديدة وحاسمة وفعالة"[1]. يتناغم هذا الطرح مع ردة فعل الحكومة ضد المتظاهرين، ووصف ما يحدث بالمؤامرة الخارجية، وأن أطرافا أجنبية هي التي تحرك المتظاهرين وتسعى لضرب استقرار الدولة، لذلك فاستخدام القوة أمر طبيعي. ولا يختلف رد وزير الخارجية "لافروف" "كيف يمكن الاعتقاد بأنه في مثل هذه الأوضاع يمكن أن تقبل الحكومة بكل بساطة بالأمر الواقع وتقول: كنت على خطأ، هيا اعملوا على إسقاطي، وغيروا النظام، إن هذا بكل بساطة غير واقعي"[2].

في 27 أفريل 2011 أكد السفير "ألكسندر بانكين" النائب الأول للمثل الدائم لروسيا لدى الأمم المتحدة أن ما يحدث في سوريا لا يشكل تهديدا للأمن والسلم الدوليين، وأضاف: "إن التهديد الإقليمي من وجهة نظرنا قد ينجم عن التدخل الدولي في الشؤون الداخلية السورية، بما في ذلك محاولة الدفع بالحلول الجاهزة أو الانحياز لطرف. من الواضح بشكل متزايد بعض المظاهرات في سوريا ودول أخرى تأمل أن يجبر تدهور الأوضاع المجتمع الدولي على مساعدتهم وعلى الانحياز وهذه الأساليب تؤدي إلى دوامات عنف لا تنتهي، وهي نوع من الدعوة للحرب الأهلية"[3].

روسيا تعتبر التدخل العسكري وتغيير الأنظمة بالقوة يحيل النظام الدولي للفوضى بدل الأمن الجماعي، والقوة بدل التعاون والأمن المشترك. وأبدت موقفا صلبا في هذا الموضوع باستخدامها "فيتو" ضد قرار في مجلس الأمن بتاريخ 04 أكتوبر 2011 قدمته كل من فرنسا، بريطانيا وألمانيا والبرتغال ودعا مشروع القرار إلى إجراء عملية شاملة بقيادة سورية في ظل بيئة خالية من العنف والخوف والترهيب، ويطلب من الأمين العام حث الحكومة السورية على وقف العنف وانتهاكات حقوق الإنسان وأكد المجلس على ضرورة تنفيذ هذا القرار خلال ثلاثين (30) يوما، والنظر في حالة عدم امتثالها لأحكامها

---

[1] الشيخ، روسيا...، مرجع سابق، ص.294.

[2] المرجع نفسه، ص.295.

[3] ***روسيا: الوضع في سوريا لا يشكل تهديدا للسلم والأمن الدوليين والتهديد الحقيقي هو التدخل الدولي***، الموقع الرسمي للأمم المتحدة. 2011/04/27:

https://news.un.org/ar/story/2011/04/144402. (24/10/2020)

واعتماد تدابير محددة بموجب المادة 41* من الفصل السابع في ميثاق الأمم المتحدة الذي يجيز استخدام القوة العسكرية[1]. واستمرت باستخدام الفيتو مرة بتاريخ 2012/02/05 ثم 2012/07/19 واعترضت كذلك على:[2]

– قرار أعدته السعودية يدين استخدام العنف الذي يمارسه النظام السوري على المدنيين في 2011/08/03. رفضت فيه روسيا التدخل في الشؤون الداخلية لسوريا.

– إحالة الملف النووي إلى مجلس الأمن، في اجتماع مجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة الذرية جوان 2011.

– العقوبات المفروضة على سوريا من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، ورأت روسيا أن فرض مثل هذه العقوبات محصور في مجلس الأمن الدولي.[3]

اختلفت وجهة نظر موسكو عن دمشق في مسألة تدويل النزاع فالأخيرة ترى أن علاقاتها الإقليمية والدولية قوية بما يكفي لتحسمه لصالحها، اذ ترى نفسها العاصمة الإقليمية الوحيدة التي تستقبل الاضداد مثل الرئيس الإيراني السابق محمد أحمدي نجاد والملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز ورئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان –في تلك الفترة– لكن الأولى كانت ترفض التدويل، وقد كانت محقة بدخول سوريا في حرب بالوكالة تتداخل فيها الأطراف (روسيا، قطر، السعودية، إيران، لبنان، الولايات المتحدة الأمريكية، تركيا، وغيرها) خاصة بعدما نجحت واشنطن في تشكيل تحالف دولي لمواجهة تنظيم الدولة في سوريا والعراق وبدأت التدخل العسكري في سبتمبر 2014[3].

استمرت روسيا في دعم نظام الأسد لدى هيئة الأمم المتحدة، بتاريخ 20 ديسمبر 2019، وصلت ل 14 فيتو ضد مشروع قرار مجلس الأمن[4] الموضحة في الجدول التالي:

---

*تنص المادة 41 من ميثاق الأمم المتحدة على: " لمجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته، وله ان يطلب إلى أعضاء الأمم المتحدة تطبيق هذه التدابير ويجوز ان يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدة والبحرية والجوية والبريدية والبرقية واللاسلكية وغيرها من وسائل المواصلات وقفا جزئيا أو كليا، وقطع العلاقات الدبلوماسية"، ***ميثاق الأمم المتحدة***، مرجع سابق، ص.18.

[1] ***روسيا والصين تستخدمان حق الفيتو في مجلس الأمن بشأن قرار ضد سوريا***، الموقع الرسمي للأمم المتحدة: https://news.un.org/ar/story/2011/10/149292. (24/10/2020)

[2] الشيخ، *"روسيا.."*، ص ص.295-297.

[3] مروان قبلان، "الثورة والصراع على سوريا: تداعيات الفشل في إدارة لعبة التوازنات الإقليمية"، ***سياسيات عربية***، ع.18، (جانفي 2016)، ص ص.66.67.

[4] ***الشبكة السورية لحقوق الانسان***، الاستخدام التعسفي للفيتو 16 مرة من قبل روسيا والصين ساهم في قتل ربع مليون سوري واعتقال قرابة 150 ألف آخرين وتفشي حالة الإفلات من العقاب، تقرير رقم R200721، ص ص.4-14.

جدول رقم 04: يوضح استعمال روسيا لفيتو يتعلق بسوريا من سنة 2011 إلى 2019.

رقم مشروع القرار	التاريخ	تحليل الوثيقة
S/2011/612	4 أكتوبر 2011	جاء القرار مبنيا على تقرير مجلس حقوق الإنسان رقم (A/HRC/S-17/1) الذي يشير إلى مسؤولية الحكومة السورية في حماية مواطنيها وضرورة حل المشكل ووقف انتهاك حقوق الإنسان ووقف استخدام القوة ضد المدنيين. وقدمت المشروع كل من: ألمانيا، البرتغال، فرنسا، المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية.
S/2012/77	4 فيفري 2012	عبرت الوثيقة عن قلق مجلس الأمن من تدهور الحالة في سوريا، وتوجيه بخطة عمل جامعة الدول العربية، وتشديده على ضرورة الحل السلمي وأدانته للانتهاكات من طرف الحكومة ومطالبتها بالعمل وفق خطة جامعة الدول العربية المؤرقة في 2011/11/2 وقرارها المؤرخ في 22 جانفي 2012
S/2012/538	19 جويلية 2012	أدان المشروع استخدام الحكومة السورية للأسلحة الثقيلة، واعتبر أن سوريا تشكل تهديدا للسلام والأمن الدوليين ويتصرف بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة. وطالب الحكومة بتنفيذ فوري لخطة المبعوث ذات النقاط الست. قدمته كل من: ألمانيا، البرتغال، فرنسا، المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية، الولايات المتحدة الأمريكية.
S/2014/348	22 ماي 2014	أدان المشروع بيان جنيف 30 جوان 2014، وقرر إحالة ملف لانتهاكات إلى المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية ويجب على الحكومة السورية أن تتعاون مع المدعي العام، وأعدت المشروع 65 دولة منها 5 دول عربية.

S/2016/846	08 أكتوبر 2016	أعرب مجلس الأمن عن غضبه إزاء تواصل الانتهاكات، وأدان الهجمات الإرهابية، وطالب أطراف النزاع بالالتزام بالقانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان. وقدمت المشروع 46 دولة.
S/2016/1026	05 ديسمبر 2016	شدد المشروع على أن استمرار تدهور الوضع الإنساني لايزال يشكل تهديدا للسلام والأمن في المنطقة، وتكليف جميع الأطراف بوقف الأعمال العدائية، وإدانة أعمال العنف، وقف تدفق الإرهابيين الأجانب والتعاون بين الدول وتنسيق الجهود لوقف الحرب السورية. أعدته كل من: إسبانيا، مصر، نيوزيلاندا.
S/2017/315	12 أبريل 2017	أشار إلى بروتوكول حظر الاستعمال الحربي للغازات الخانقة أو السامة وأعرب عن هوله لاستخدام الأسلحة الكيميائية، وطالب الحكومة الامتثال للتوصيات ذات الصلة. أعدته كل من: فرنسا، المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى إيرلندا الشمالية والولايات المتحدة الأمريكية.
S/2017/172	28 فيفري 2017	انتقاد استعمال سوريا للغازات السامة، ومطالبة الدول بالتعاون مع منظمة حظر الأسلحة الكيميائية والأمم المتحدة، والتحقيق مع الأفراد المتسببين في هذه الحوادث.أعدته:43 دولة.
S/2017/884	24 أكتوبر 2017	طالب بتمديد آلية التحقيق لمدة سنة، وإنجاز تقرير في غضون 90 يوم، وضرورة مكافحة الإرهاب. قدمت المشروع:41 دولة
S/2017/962	16 نوفمبر 2017	أعرب المجلس عن بالغ قلقه إزاء استعمال الأسلحة الكيميائية، ونبه إلى نشاط الجماعات الإرهابية في سوريا وحث الدول على تبادل المعلومات بشأن الأسلحة الكيميائية

		والتحقيق المشترك ومنع انتشار الإرهاب ومكافحته. أعدت المشروع 7 دول إيطاليا، أوكرانيا، إيطاليا، السويد، فرنسا المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية، الولايات المتحدة الأمريكية واليابان.
S/2017/970	17 نوفمبر 2017	قدمته اليابان ودعت إلى تمديد آلية التحقيق لمدة شهر واحد
S/2018/321	10 أبريل 2018	ضرورة استمرار التحقيقات في استخدام النظام السوري للأسلحة الكيميائية، ودعم منظمة حظر الأسلحة الكيميائية أعدته:26 دولة.
S/2019/756	19 سبتمبر 2019	أكد المشروع سيادة سوريا، وندد بالانتهاكات وأعمال العنف والهجمات ضد المدنيين، وأعرب عن قلقه إزاء عدم القدرة على إيصال المساعدات الإنسانية وضرورة إيقاف الأعمال العدائية، والتعاون الدولي في مكافحة الإرهاب، أعدته كل من ألمانيا، بلجيكا والكويت.
	20 ديسمبر 2019	مشروع قرار متعلق بإيصال المساعدات الإنسانية الأممية عبر الحدود لمدة ستة (06) أشهر تعقبها مدة ستة (06) أشهر إضافية أعدته كل من ألمانيا، بلجيكا، الكويت.

المصدر: تصميم شخصي للباحث، بالاعتماد على الموقع الرسمي للأمم المتحدة (مجلس الأمن) http://undocs.org/

حضرت روسيا ثمانية (08) مؤتمرات في مدينة جنيف السويسرية بين سنتي 2012 و2017 كان أولها بتاريخ 30 جوان 2012 وآخرها في 28 نوفمبر 2017[1]، وتسعة (09) مؤتمرات خلال 16 شهرا في استانا سعت فيها "موسكو" لتقريب وجهات النظر في أواخر 2016 بدعوة من أنقرة لبحث سبل وقف إطلاق النار وحماية المدنيين، وانضمت اليهما إيران[2].

إن تاريخ بداية محادثات استانا دليل على أن روسيا بدأت بفرض منطقتها وحل النزاع السوري وفق مصالحها، كما أن نقل مكان المفاوضات من سويسرا في أوروبا (مجال الولايات المتحدة والغرب) إلى كازخستان في آسيا (المجال الروسي)، وتوقيتها الذي جاء بعد التدخل العسكري الروسي، وحسم قوته العسكرية وسيطرتها الميدانية وضع الغرب في موقف ضعيف وفسح المجال أمام الكرملين إلى الالتفاف وانتهاز الفرصة للظفر بهذا الانتصار وتحويل مكان المؤتمرات والتكثيف منها، حيث انعقدت ثماني مؤتمرات في جنيف خلال أكثر من خمس سنوات، بينما انعقدت تسع مؤتمرات خلال 16 شهرا بأستانا.

في 30 أكتوبر 2015 أعلنت وزارة الدفاع الروسية عن بدء العمليات الجوية في سوريا لمحاربة الإرهاب حسب وزير الدفاع "سيرغي شويغو"[3]، وهذا الموقف ترى فيه موسكو بأنه أكثر شرعية من التحالف الدولي، لأن التدخل جاء بطلب من الحكومة السورية ومن رئيس منتخب. لكن موسكو أغفلت أن هذا الرئيس لم يعد يتمتع بالقبول الشعبي وتناقصت شرعيته، وبالتالي فإن تدخلها لا يختلف عن تدخل القوى الإمبريالية في المنطقة إلا انه أقل وقعا، ففي حين يظهر تدخل الغرب كالغزو والاحتلال يظهر التدخل الروسي كأنه لحماية الدولة من الانهيار لكنهما وجهان لعملة واحدة. ومن خلال الاطلاع على مشاريع القرارات يمكن ملاحظة النقاط التالية:

- أبدت الحكومة الروسية موقفا واضحا، بأن ما يحدث في سوريا شأن داخلي ولا يمكن لأي طرف التدخل في شؤونها الداخلية.
- الحفاظ على مصالحها في المنطقة، وموقفها من أحداث سوريا سيؤثر على مكانتها في المنطقة وفي النظام الدولي.

---

[1] ***من جنيف 1 إلى جنيف 8... ماذا تحقق؟***،على الموقع الإلكتروني:
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2017/3/4 (28/10/2020)

[2] علي حسين باكير، ***مسار أستانا: الدول الضامنة ومسارات التسوية***، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، تقرير صادر بتاريخ 1 أوت 2019، ص.3-6.

[3] قلعيجة، مرجع سابق، ص.331.

يوضّح الموقف الروسي أنها لن تسمح بتسوية خارجة عن سيطرتها، ولن تتخلى عن الأسد ما لم تجد ترتيبات توافق مصالحها الإستراتيجية في إطار هندسة الأوضاع في المنطقة. لم تكتف روسيا بالعمل في إطار الأمم المتحدة، بل سعت منفردة لفرض منطقها، بتاريخ 2012/03/10 اتفق "لافروف" مع نظرائه من الدول العربية على حل يتألف من النقاط التالية:[1]

1. وقف إطلاق النار في سوريا.
2. ضمان وصول المساعدات الإنسانية دون عوائق.
3. دعم بعثة الأمم المتحدة المرؤوسة من "كوفي أنان" لسوريا.
4. عدم التدخل في شؤون سوريا الداخلية.

عند النظر لهذه النقاط يبدو تناقض واضح في الموقف الروسي، فقد استخدمت حق "الفيتو" ضد النقطة الأولى والثانية والثالثة ويتعلق الأمر بمشروعات القرارات (S/2012/77) و(S/2017/884) و(S/2019/756) وذلك راجع لعدم الاتفاق حول مستقبل "الأسد".

[1] زيدان، مرجع سابق، ص.300.

خلاصة الفصل

يمكن من خلال ما سبق استنتاج المرتكزات التي قام عليها الموقف الروسي من أحداث منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا:

1. التحفظ واليقظة الإستراتيجية: تعتمد روسيا في علاقتها بأطراف الأزمات في كل دولة بالتحفظ خاصة في بداية الأزمة، بحيث تخشى دعم أي طرف قد يخسر بعد ذلك وتخسر معه حليفا مأمولا، لذلك تتريث حتى تتبين وتنتظر ما تسفر عنه الأيام، لكن في نفس الوقت قد برهنت على يقظة إستراتيجية بإبقائها على المسافة نفسها مع جميع الفاعلين (تتفاوت هذه اليقظة من ازمة لأخرى)، كما أنها تسعى لفرض تواجدها في إطار القانون والأعراف الدولية.
2. نبذ العنف وأولوية الحل السياسي: ما تم ملاحظته أن موقف روسيا من أحداث المنطقة جاء دائما بالدعوة للحل السلمي السياسي، من خلال الحوار البناء بين جميع الأطراف ودعم الحلول التي تندرج في إطار الفصل السادس لميثاق الأمم المتحدة خاصة المادة 33، فقد أبدت روسيا موقفا واضحا اعتبرت أن ما يحدث في دول المنطقة شأن داخلي حكر على المكونات الداخلية، ورحبت في ذات الوقت بأي وساطة من شأنها إرساء السلام بين الأطراف المتنازعة ورفض التدخل الخارجي.
3. تباين الموقف بين الشعارات والميدان: تظهر روسيا أنها ملتزمة تجاه جميع الأطراف ولا تسعى لتغليب كفة طرف على آخر، والتزامها بالقانون الدولي واحترام الشؤون الداخلية للدول، لكن الواقع بيّن عكس ذلك في ظل تدخلها العسكري في سوريا، بجانب بشار الأسد، ودعمها للمشير خليفة حفتر في ليبيا، الذي استقبلته عدة مرات، لكنها تنفي ذلك خاصة فيما يتعلق "بالفاغنرز" وترى بأن تدخلها في سوريا شرعي.
4. رفض التدخل: عند تتبع الموقف الروسي في أحداث المنطقة، يسهل ملاحظة رفضها التدخل الخارجي باستثناء طلب الدعم من الحكومات القائمة في إطار الأمن الجماعي على غرار موقفها من تدخل قوات درع الجزيرة في البحرين، وتظل روسيا تصر على رفض التدخل الخارجي وتغيير الأنظمة بالقوة خوفا من إرساء هذا المبدأ في العلاقات الدولية، ما قد يؤدي إلى أزمات ونزاعات دولية ستؤثر على بنية النظام الدولي والأمن والسلم الدوليين.

تتشابه دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في النقاط التالية:

- أغلب دول الشرق الأوسط حديثة التكوين، بحيث أن أغلبها استقلت عن الاستعمار في النصف الثاني من القرن العشرين، بل إن فيها دولا ظهرت في التسعينيات.

– أغلب دول المنطقة غنية بالثروات الطبيعية، ويقوم اقتصادها على الريع الذي يغطي نسبة كبيرة من ميزانيات هذه الدول تقارب في بعض الأحيان 100% (على غرار الجزائر حوالي 98% من صادراتها محروقات).

– تتحدث شعوب أغلب المنطقة اللغة العربية وتعتبر أغلب الأحيان لغة رسمية في الدولة مما يضفي نوعا من التجانس الثقافي في المنطقة.

– تدين شعوب المنطقة في العموم ديانات سماوية يأتي في مقدمتها الإسلام، وبدرجة أقل من المسيحية واليهودية.

كل هذه التشابهات تشكل نقاطا يمكن لموسكو الاستثمار فيها لتحقيق أهدافها، فالإستراتيجية التي تنجح مع دولة من هذه الدول ستترفع نسبة نجاحها مع البقية، كما أن التجانس بينها يسهل عمليات التفاوض، والتعاون، لذلك لن تتغافل روسيا عن هذه النقاط وستأخذها في الحسبان.

الفصل الثالث:

مقارنة إستراتيجية روسيا بين سوريا وليبيا

الفصل الثالث: مقارنة إستراتيجية روسيا بين سوريا وليبيا

تعتبر المقارنة من أهمّ أساليب التّحليل وفهم الموضوع، لذلك سيتمّ التّعرّف أكثر على إستراتيجيّة روسيا الاتّحاديّة اعتمادا على المقارنة بين كيفيّة تطبيق هذه الإستراتيجيّة في سوريا وليبيا، ما يتيح فرصا أكثر للفهم والتّحليل والتّنبّؤ بما سيؤول إليه المستقبل، وسيكون البدء بمقارنة الأحداث بين ليبيا وسوريا في ما يتعلّق بشدّة الحرب وأطرافها والجهود السّاعية لحلّها وإنهائها، نظرا لأنّ الدّولتين من أهمّ الدّول في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا بالنّسبة لروسيا الّتي استغلّت العداء التّاريخي الذي يحمله قادة الدّولتين للغرب سببه طول مدّة حكمهم، حيث بقي معمر القذّافي لفترة 32 سنة وبشّار الأسد لفترة قاربت 20 سنة (ويعتبر استمرارا لنظام كان والده حافظ الأسد على رأسه)،

كما أنّ الثّروات الّتي تمتلكها الدّولتان تحفّز القوى الكبرى عموما وخاصة روسيا، فالقرب من أكبر الأسواق استهلاكا للنّفط والغاز(آسيا وأوروبا) يجعل من روسيا الّتي تعتمد كثيرا على قطاع الطّاقة تتأثّر بشكل مباشر بما يحدث في الإقليم، لذلك سيقارن هذا الفصل إستراتيجيّة موسكو تجاه المنطقة بعد أحداث 2010.

المبحث الأول: المقارنة على المستوى السياسي

بعد ما شهده الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا من أحداث بعد 2010 أثّرت على النظامين الإقليمي والدولي، دخلت روسيا كفاعل مهمّ في هذه الأحداث وتباينت ردود أفعالها من دولة لأخرى ومن مرحلة لأخرى خاصة في ليبيا وسوريا، وهذا ما سيتطرّق إليه هذا المبحث على المستوى السّياسي.

يلعب المؤشّر السّياسي دورا في إستراتيجيّة روسيا تجاه الإقليم ولمزيد من التّعمّق لا بدّ من مقارنة هذه الإستراتيجيّة بين كلّ من ليبيا وسوريا على المستوى السّياسي ودراسة كيفية تفاعل موسكو مع الحرب الدّائرة في الدّولتين، وتحكمّها في زمام الأمور.

المطلب الأول: علاقة روسيا بالحكومة في ليبيا وسوريا

تنظر روسيا لكلّ من الحكومتين في ليبيا وسوريا كحليفتين مهمّتين في المنطقة يمكن من خلالهما تحقيق توازن إستراتيجي مع الولايات المتّحدة الأمريكيّة، والملاحظ أنّ الحكومتين تتشابهان مع الحكومة الرّوسيّة، فالرؤساء بوتين والرّاحل القذافي والأسد حكموا بلدانهم لمدّة فاقت خمس عشرة (15) سنة، ويلعب التاريخ دورا في تكوين هذه العلاقة، ومن جهة أخرى فإنّ انطلاق الاحتجاجات في كليهما كان في الفترة نفسها تقريبا.

في بداية الحراك في كل من ليبيا وسويا كان موقف القيادة الروسية براغماتيا لأبعد الحدود ترجمه التّوازن الّذي ظهر على الرّئيس السّابق "ميدفيديف" بعد تصريحه: "رغم نجاحات الثّوّار وهجومهم على طرابلس، فإنّ القذّافي وأنصاره لا يزالون يحتفظون ببعض النّفوذ والقدرات العسكريّة ونتمنّى أن ينتهي الأمر بأسرع وقت ممكن"[1]، في إشارة إلى أنّ بلاده لن تتدخّل في أحداث ليبيا، ولكنّها على استعداد لبداية مرحلة جديدة مع الطّرف الّذي سيحصل على السلطة، وأضاف: "ينتظر الأسد مصير محزن إذا لم يبدأ حوارا مع المعارضة"[2]، هذا يوضّح تشابه موقفه من الأحداث، إذ يظهر للوهلة الأولى أنّ موسكو لن تدعم أيّ طرف، بالمقابل يظهر أيضا اختلاف من زاويتين:

– الأولى هي الاختلاف في استمرار موقف روسيا، ففي حين سكتت عن أحداث ليبيا قصد تبيّن المستقبل، يمكن اعتباره خطأ، أو سكوتا عن ما سيفعله الغرب في ليبيا مقابل سكوت عن ما ستفعله القيادة الرّوسيّة في أوكرانيا وسوريا لاحقا، حيث أنّ ترتيب الأولوّيات الإستراتيجيّة يضع الأخيرتين قبل ليبيا، كما أنّ فتح عدّة جبهات في نفس الوقت سيضعف قدرة الجيش الرّوسي وينقص فاعليّته، وينهكه نظرا للتّدخّل في جورجيا ثمّ أوكرانيا ثمّ سوريا، كلّ ذلك سيحدّ من ديناميكيته، من هذا المنطلق ساندت الأسد حليف روسيا وإيران، وأجّلت الملفّ اللّيبي.

– الثّانية، الاختلاف بين رأسي السّلطة في روسيا، الرّئيس "ميدفيديف" ورئيس الوزراء – في تلك الفترة– "بوتين"، حيث رأى الأوّل أنّ ما حدث في ليبيا شأن داخلي، انتقد الثّاني موقف الرّئيس بشدّة وصلت لدرجة الخلاف بينهما بدليل توقيع أمر تنفيذي يفرض عقوبات على ليبيا في 10 مارس 2011[3] من هنا يمكن استنتاج أن التغير في القيادة الرّوسية وعودة "بوتين" للسّلطة أعطى دفعة جديدة قوية لإستراتيجية الكرملين في المنطقة.

أمّا "دوغين" فقد أرجع الاهتمام بسوريا أكثر من ليبيا في إجابته على السؤاللماذا سمحت روسيا بتدخل حلف الناتو في ليبيا وإسقاط نظام القذافي، في حين لم تسمح بذلك مع نظام الأسد في سوريا؟ إلى نقطتين إحداهما متعلّقة بالشأن الداخلي لبلاده والثانية تتعلق بالقيادة في الدولتين.

الأولى أنّه في حين كانت روسيا تستعد لانتخابات رئاسية، كان نائب الرئيس "ميدفيديف" المدعوم من الغرب – حسبه – خاصة "بريجنسكي"، والنخبة الليبرالية تدعمه وتعمل معه في سعيه للوصول إلى السّلطة، انشغل القادة الرّوس في شأنهم الدّاخلي و(خسروا) القذّافي.

---

[1] الشيخ، *"روسيا.."*، مرجع سابق، ص ص.293-294.

[2] المكان نفسه.

[3] Russian Federation, ***Executive order on sanctions against Libya***, on kremlin official web site : http://en.kremlin.ru/catalog/countries/LY/events/10558 .(10/11/2020)

أمّا الثانية تعود إلى عدم وضوح موقف القذافي في تحالفه مع الغرب كفرنسا أو مع روسيا، وقد أخطأ القذافي في حساباته عندما لم يمل إلى الأخيرة إلا بعد فوات الأوان، عكس الأسد فقد كان موقفه واضحا منذ البداية ولم يتخلّ عن الكرملين فلم يتخلّ الكرملين عنه[1].

أدركت موسكو أنّ القذّافي "بصدد تقطير ساعاته الأخيرة"[2]، ولم يعد ذلك الحليف الموثوق فيه إضافة إلى شغله المنصب لفترة طويلة، ووجب قدوم رئيس جديد لفتح صفحة جديدة في العلاقات الرّوسيّة اللّيبيّة لكنّ هذا قد يحمل بعض المخاطر في حال قدوم حكومة موالية للغرب، ولا تخدم مصالح الكرملين.

على مستوى هيئة الأمم المتّحدة يبدو الاختلاف جليا في تباين الرّؤية حول الملفّين الليبي والسوري إثر تأييد روسيا القرار 1970 والامتناع عن التصويت على القرار 1973 الصادرين عن مجلس الأمن التّابع للأمم المتّحدة، ووصف "ميدفيديف" موقفه بالمتوازن[3].

بيّنت عودة "بوتين" وجود خلل في رؤية أحداث ليبيا، أين ظهر كأنّه موقف شخصي من "ميدفيديف" نحو القذّافي، فقد برّر أنّ سلوك بلاده يعكس فهمهم للأحداث، وحمّل المسؤوليّة لسلوك القيادة اللّيبيّة "الّذي لا يطاق" –حسبه– والجرائم المرتكبة ضدّ اللّيبيّين[4]، في حين بدأ "بوتين" يستعيد الدّور تدريجيّا بعد استقبال خليفة حفتر ثمّ فايز السّرّاج في إشارة إلى الرّؤية الجديدة تجاه هذه الحرب، وقد أعرب أمام الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة بتاريخ 28 أكتوبر 2015 عن أسفه إلى ما آلت إليه الأوضاع من تدهور وذكّر الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحلفاءها بفشلهم وخطئهم حين أسقطوا نظام القذافي[5]، وهذا دليل آخر على أنّ التّغيّر في القيادة الرّوسيّة أدّى إلى تغيّر الموقف والإستراتيجيّة بصفة عامة.

أمّا بالنّسبة لسوريا فالموقف كان واضحا حيث استخدمت موسكو "فيتو" ضد أغلب قرارات مجلس الأمن (14 مرة بين 2011 و2019)، أيضا تغيّرت النّظرة وأرجعت سقوط النّظام اللّيبي إلى سوء استخدام القرار 1973 من طرف الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحلفائها[6].

تتشابه إستراتيجيّة روسيا تجاه ليبيا وسوريا في أنّها تراهما فرصة كي تصبح رائدة في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا، وملء فراغ خلّفته واشنطن إثر مراجعة حساباتها في المنطقة وبدأ يظهر على مواقفها قبول

---

[1] مقابلة دوغين، مرجع سابق.

[2] هاشم، مرجع سابق، ص.118.

[3] Russian federation, ***Kremlin, Satement by Dmitry Medvedev on the situation in Libya***,On web site : http://en.kremlin.ru/catalog/countries/LY/events/10701 (10/11/2020)

[4] Ibid

[5] قلعجية، مرجع سابق، ص.330.

[6] Ethan Chorin ,***Russia's Strategic waiting game in Libya*** , Barcelona centre for international affairs, 11/2017, p.18.

للحلّ المفروض من قبل موسكو الّتي تحاول صنع "سلم على مقاسها" كبديل "للسلم الأمريكي"[1]، وإذا استطاعت الوصول إليه ستقلب النّظام الدّولي وترسّخ مكانتها وتنال الاعتراف بذلك[2]، في ذات الوقت لن يكون الانسحاب الأمريكي دائما بل مؤقّتا، وستنتبه واشنطن لتمدّد النّفوذ الرّوسي.

تستخدم موسكو الملفّين السّوري واللّيبي لإلهاء الاتّحاد الأوروبي في شؤونه الدّاخلية عن طريق اللّاجئين السّوريّين، والهجرة غير الشّرعيّة من إفريقيا عبر ليبيا، ما يزيد الضّغط عليه ويؤدّي إلى انشغاله بمسائله الخاصّة، ويسهّل عملية التحرّك وتوجيهه بعيدا عن ملفّ ضمّ شبه جزيرة القرم الأوكرانيّة، هذا ما يعتبر "تخطيطا ذكيّا لحماية أهداف موسكو الإستراتيجية"[3]، لكن أوروبا ليست ذلك الطّرف الّذي يمكنه فرض حلول دون الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وتبعيّتها في مجال الغاز والنّفط سيعزّز فرضيّة قبولها بالحلّ الّذي سيقدّمه الكرملين.

يأتي الاهتمام بسوريا وليبيا من أهميّتهما في مشروع روسي ينظر للجيوبوليتيك كلعبة ذات حصيلة صفرية، في ظلّ إدارة الرئيس بوتين فما يحقّقه من مكاسب يعتبر بالضّرورة خسارة للأطراف الأخرى، إذ أنّ الدّولتين تنتميان لنفس العالم الجيوبوليتيكي المتمثّل في العالم العربي الإسلامي، وتشتركان في أنّهما ضمن نطاق "الخارج القريب"[4] المتاخم لمشروع الإمبراطوريّة الرّوسية.

لكن إذا ما تمّ النظر إلى العالم الإسلامي على تكوّنه من ثلاث عوالم جيوبوليتيكية فرعيّة لكلّ منها خصائصه، هذه العوالم هي: إيران الثّورية، تركيا العلمانيّة الأطلسيّة، السّعوديّة الإسلاميّة[5]، إضافة إلى أنّ الأولى شيعية مشروعها الهلال الشّيعي، والثانية بمشروعها الإخواني وإعادة العثمانية بشكل جديد، أمّا الثالثة فهي سنيّة بمشروع نشر الفكر الوهابي، وتتصادم كل هذه المشاريع فيما بينها ضمن النّطاق الجيوبوليتيكي للإقليم، وستجد موسكو نفسها لا محال طرفا مباشرا أو غير مباشر في هذا التصادم.

تبرز من هنا نقطة اختلاف أخرى يفسّرها الواقع الدّولي، وتوضّح أهميّة دمشق أكثر من طرابلس، فرغم التّشابه المذكور، إلّا أنّ الأولى تبدو أقرب لروسيا، عن طريق الرّابط المشترك المتمثّل في إيران إضافة

---

[1] إيغور دولانويه، ***السلم الروسي في الشرق الأوسط: ما هي إحتمالاته؟***، 2019/12/17 على الموقع الالكتروني : https://orientxxi.info/magazine/article3501, (08/11/2020)

[2] Anna Boeshchevskaya, ***Russia in the middle east :is there an endgame? ,*** the Washington institule for near east policy , January 2019, p.16.

[3] Igor Sutyagin, ***Russian policy in the middle east and north africa*** , Spain : (IEMed, Mediterranean year book, 2017), p.107.

[4] دوغين، أسس...، مرجع سابق، ص.491.

[5] المكان نفسه

إلى أنّ لها علاقة بالعوالم الثّلاث، الانتماء الإسلامي، وحدودها مع تركيا العثمانيّة، وتحالفها مع إيران الشّيعيّة الثّورية، ما يبدي للعيان أنّ النّزاع السوري أكثر تعقيدا، والدّور الرّوسي فيه أكثر صرامة.

تنتمي الدّولتان للإمبراطوريّة الإسلاميّة المفترضة الّتي تعتبر العنصر الأهمّ في المشروع الأوراسي لكن هذه الإمبراطوريّة مليئة بالتّناقضات، فكلّ من سوريا وليبيا تدعوان إلى العروبة، وفي الوقت نفسه اشتراكيّة إسلاميّة تتطلّع إلى إقامة حلف معاد للأطلسيّة وترفض النّموذج السّوقي الرّأسمالي[1]، إنّ هذه النّظرة ستؤدّي إلى فشل إستراتيجية روسيا إذا ما اعتمدت عليها، لأنّ المشروع العروبي فشل منذ سبعينيّات القرن العشرين، كما أن معاداة الأطلسيّة والاشتراكيّة الإسلاميّة، لا تعبّر عن حقيقة الوضع الدّولي، فأغلب دول الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا لم تعد تعتمد على الاشتراكيّة، وترتبط ارتباطا وثيقا مع الدول الأطلسيّة لعدّة اعتبارات من بينها التّاريخية كالعلاقات الجزائريّة الفرنسية، أو الليبية الإيطالية، أو السعودية الأمريكية، ناهيك عن فرض المؤسّسات النّقديّة والماليّة الدّوليّة (صندوق النّقد الدّولي والبنك الدّولي) والمنظّمة العالمية للتجارة لنمط اقتصاد السوق من أجل الحصول على تسهيلات مالية واستشارات استشرافيّة.

يرى الكرملين أنّ "الثّورات العربيّة" خاصة في ليبيا وسوريا قد تمّ تصديرها من الغرب، وقد تشابهتا في تدنّي الأوضاع المعيشيّة، لذلك تطلّعت الشّعوب للتّغيير وتساءل بوتين أمام الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة في سبتمبر 2015 عن مآلات التّدخّل الأجنبي بقوله: "هل أدركتم ما فعلتموه؟"[2]، كما وصفها دوغين بأنّها "ثورات ملونة" بقيادة "جورج سورس" و"بيرنارند ليفي" وحتّى السّفارة الأمريكيّة[3]، وهذا يثبت عدم رضا بلاده عن تلك الأحداث، لكنّ هذا التّساؤل كان يمكن أن يسأله بوتين لنفسه، إذ لا يختلف تدخّل بلاده عن باقي التّدخّلات بالرّغم من محاولات التّلميع وتخفيف الحدّة إلّا أن مخلّفاته تشبه التّدخّل الغربي.

يعتبر النّزاعان اللّيبي والسّوري فرصة لتغيير الصّورة الّتي تحاول بعض الدول تسويقها على أنّ روسيا عدوّة للإسلام، والتّأثير على مكانتها[4]، لكن الواقع أنه يعيش فيها أكثر من عشرين (20) مليون مسلم وهو مجموع سكان خمس (05) أو ستّ (06) دول من الشّرق الأوسط وشمال أفريقيا على سبيل المثال (تونس وليبيا وقطر والكويت والبحرين والإمارات)، ناهيك عن أنها علمانية دستوريا وفي الوقت نفسه

---

[1] المرجع نفسه، ص ص .287، 293، 294.

[2] ***بوتين: "بدلا من الإصلاح أدت الثورات إلى تدخل أجنبي وتدمير المؤسسات الوطنية"***،الموقع الرسمي للأمم المتحدة: https://news.un.org/ar/story/2015/09/237022 , (08/09/2020)

[3] مقابلة دوغين، مرجع سابق.

[4] Nikolay Kazamov, ***Russia policy across the middle east Motivations and methods***, (London, the royal institute of international affairs, 2017),p.08.

تنتمي لمنظّمة المؤتمر الإسلامي، حيث ترى نفسها طرفا في حلّ المشاكل العالقة لأنها تتأثّر مباشرة بما يحدث في دول المنظّمة.

جدول رقم 05 أوجه التّشابه وأوجه الاختلاف في علاقة روسيا بالحكومتين اللّيبيّة والسّوريّة

المؤشّر	البعد	أوجه التّشابه	أوجه الاختلاف
مقارنة علاقة روسيا الاتّحاديّة بالحكومتين اللّيبيّة والسّوريّة	موقف الكرملين من الأحداث في ليبيا وسوريا	– عدم التّأخّر في إبداء الرأي وإصدار موقف تجاه الأحداث. – التّأكيد على أن ما يجري في ليبيا وسوريا شأن داخلي يجب حلّه بين الأطراف الدّاخلية. – رفض التّدخّل الأجنبي، الّذي سيزيد من تعقيد الأزمة وإطالة الحرب وليس حلّا، والتأكيد على عدم قبول أي تدخّل مهما كان نوعه. – ضرورة استماع الحكومات للمطالب الشّعبية، وتطبيق إجراءات من شأنها احتواء الأوضاع. – ضرورة الحل السياسي والإلحاح عليه، وضبط النّفس، ونبذ العنف.	– وضوح الموقف مع سوريا وعدم وضوحه مع ليبيا ثم الإسراع للاعتراف بالمجلس الانتقالي اللّيبي. – الوقوف مع النظام في سوريا بينما وقفت بجانب حفتر في ليبيا المعارض لحكومة الوفاق. – تعارض في موقف "ميدفيديف" و"بوتين" أدى إلى اختلاف في وجهات النّظر، لكنّ "بوتين" يحاول تعويض الخسارة بعد عودته للسلطة. – الوقوف بجانب الأسد ودعمه ماديا وبشريا ومعلوماتيا، والاستغناء عن القذافي وفسح المجال أمام التدخل الأجنبي من أجل إسقاطه
	موقف روسيا على مستوى هيئة الأمم	– تشارك روسيا باستمرار في الجلسات سواء الجمعية العامة أو مجلس الأمن الدّولي. – التأكيد على ضرورة حلّ النّزاعيين اللّيبي والسّوري وفق قواعد القانون الدّولي بعيدا عن الحلول الفرديّة	– معارضة أغلب مشاريع القرارات الصّادرة عن مجلس الأمن بشأن سوريا واستعمال الفيتو كلّ مرة بينما تميّز الموقف الروسي بالسّكوت وعدم المعارضة تارة والقبول بمشاريع القرارات تارة أخرى بخصوص ليبيا.

	المتّحدة	والتّدخّل الخارجي، ومرافقة الأمم المتّحدة وتفعيل دورها.	– بداية التغيّر في الموقف الرّوسي تجاه الحرب في ليبيا باستخدامها فيتو على مشروع قرار في فيفري 2020، بينما واصلت في دعم الحكومة السّورية.
	مستقبل روسيا بعلاقاتها مع حكومتي ليبيا وسوريا	– حكومتا الدولتين حليفتان تقليديّتان لروسيا الاتّحادية. – ستستمرّ الأوضاع على ما هي عليه في المدى المتوسّط لذلك يجب المحافظة على المكاسب المحقّقة. – لابدّ من دعم الحكومات الّتي تخدم المصالح في المنطقة ومواصلة تعزيز الدّور الروسي لذلك يجب إقامة حكومة موالية في كلتي الدّولتين. – سيكون انهاء الحربين بحضور روسيا هدفا إستراتيجيّا يعيدها للمنطقة ويؤسّس لدورها الرّائد على مستوى النّظام الدولي عامة.	– تتوقّع موسكو استمرار الأسد في السّلطة، بينما غير متأكّدة من بقاء حفتر أو وصوله للحكم في ليبيا لذلك تعمل مع جميع الأطراف من أجل الخروج بحلّ توافقي قد يكون سيف الإسلام القذافي. – ستواصل روسيا دعم الأسد بينما قد تغيّر من خطّتها في ليبيا في أيّ لحظة، ورغم أنّ حفتر يبدو حليفا إلّا أن سيناريو القذافي قد يتكرّر مع حفتر في حال التّوصّل إلى حلّ أفضل من مواصلة دعمه.

المصدر: تصميم شخصي للباحث.

أمّا عن مستقبل روسيا في المنطقة فإنّها ترى أنّ سقوط الأسد سيعيد سيناريو أوكرانيا عندما سقط النّظام الحليف فجأة ما أثّر على المصالح الروسية[1]، وهذا ما سيحصل في سوريا، أمّا عن سقوط القذّافي فإنّها تسعى لتدارك ما فاتها وإنهاء النّزاع بما يحقّق الأهداف الإستراتيجيّة.

[1] قلعجية، مرجع سابق، ص.330.

تتّفق روسيا مع عدّة أطراف لإنهاء الحرب في ليبيا وسوريا، ولكن نقطة الاختلاف في الأطراف ذاتها بلعبها دورا قريبا من الدّور الفرنسي المتناغم مع كلّ من مصر والإمارات العربيّة بشأن الملف الليبي[1] رغم اختلافها معهم فيما يتعلّق بسوريا، ولهذا يحدث أنّ الخلافات تترك جانبا وتتلاقى المصالح فلا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة، ما يدوم هي المصلحة.

ترى مجلة "فورين بوليسي" (Foreign policy) الأمريكيّة أنّ موسكو تهدف من خلال تدخّلها في ليبيا وسوريا إلى إنشاء نقطتي ارتكاز على مستوى الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا بغرض إنشاء "الهلال الروسي" في المنطقة واستقبلت حفتر ورتّبت اجتماعات مع وزراء رفيعي المستوى وكذلك مسؤولين أمنيّين ووزير الدّفاع "شويغو" وسكرتير مجلس الأمن "نيكولاي باتروشيف" (Nicolai Batrochev)، ووزير الخارجيّة "لافروف" على اعتبار أنّ حفتر "شخصيّة سياسيّة وعسكريّة رائدة" و"رجل موسكو" في هذه المرحلة[2]. ما يثبت أن روسيا لم تعد ترغب في التّعامل مع القذافي في ليبيا وتبقي على الأسد في سوريا.

تشترك كلّ من ليبيا وسوريا في نظرة موسكو إليهما كدولتين موحّدتين، بعد أن لاحظت استخدام عبارات تدلّ على نيّة تقسيم مثل "سوريا الصغرى" و"سوريا المفيدة"[3]، ليبيا الشّرق، الغرب والجنوب، نظرا للخبرة "القاسية" الّتي عانت منها ولازالت تعانيها بعد تفكّك الاتّحاد السّوفياتي، فالتّفكّك يسهّل انتقال التّهديدات، لكنّها تناست أنّها كانت أحد مهندسي تقسيم المنطقة في وقت سابق جرّاء اتّفاقية "سايكس-بيكو"، ويختلف التّدخّل في سوريا من وجهة النّظر الرّوسيّة عن ليبيا الّتي سقطت -حسبهم- لذلك لا يجب السّماح بسقوط الأسد، ويجب إجبار واشنطن على قبول الرّؤية والحل المفروضين من الكرملين[4] وتظهر الخريطة المقارنة الآتية التّواجد الرّوسي في كلّ من سوريا وليبيا:

[1] أحمد سعيد نوفل وآخرون، "الأزمة الليبية إلى أين؟"،الأردن، ***مركز دراسات الشرق الأوسط***، العدد 13، مارس 2017، ص ص.16-17.

[2]Lincoln pigman , Kyle orton, ***inside putin's Libyan powerplay***, Foreign Policy, 14/09/2017, on web site : https://foreignpolicy.com/2017/09/14/inside-putins-libyan-power-play/ , (20/11/2020)

[3] قلعجية ، مرجع سابق، ص.332.

[4]Kazlanov, op.cit, p.08.

خريطة رقم 03 تظهر التّواجد الرّوسي في كلّ من سوريا وليبيا

المصدر: تيم الحاج وآخرون، خيوط اللعبة بيد موسكو وأنقرة.. سوريّون على طرفي الصّراع في ليبيا، مأخوذ عن الموقع الإلكتروني:

https://www.enabbaladi.net/archives/371666 (05.02.2021)

تظهر الخريطة أعلاه نقاط تمركز القوّات الرّوسيّة، ما تمّ ملاحظته أنّ الخريطتين تتشابهن في تمركز القوّات الروسيّة ضمن المناطق القريبة من البحر المتوسّط والقريبة من حقول النّفط والغاز، لكن الاختلاف في أنّها تدعم النّظام السوري بينما تدعم المعارضة الليبية، وتتمركز أيضا في نطاق سيطرة حلفائها.

يحدث كلّ ذلك في ظلّ تفاؤل بخصوص انتعاش الدّور الرّوسي خلال العشرية الثّانية من القرن الحادي العشرين، وبالعودة إلى نهاية ثمانينيّات القرن العشرين جرّ البيت الأبيض الكرملين إلى حروب استنزفت قوّته العسكريّة والاقتصاديّة من قبيل حربه في أفغانستان ثمّ بعد سقوطه وتفكّكه حرب الشّيشان، وجورجيا ثم أوكرانيا وبعدها سوريا وليبيا، وعودة الملف الأوكراني في ديسمبر 2021 ليتصدر العلاقات الروسو – غربية، بالرّغم من التّقدّم الّذي تحرزه إلّا أنّه قد يكون استدراجا نحو سقوط آخر يصل إلى تفكّك جديد فحتّى الحرب الباردة كانت نهايتها مفاجئة وسبّبت صدمة للنّظام الدّولي وأنظمته الفرعيّة (الدول التي كانت تسير في فلك الاتّحاد السّوفياتي) على غرار ليبيا وسوريا الركيزتان الأساسيّتان في إستراتيجيّة بوتين لمواجهة الغرب بغرض إثبات أنّ بلاده تستطيع إصلاح ما أفسدته واشنطن فلا يمكن إفساد العلاقات الفاسدة أصلا.

تتشابه إستراتيجية روسيا نحو النّخب في ليبيا وسوريا من خلال المصلحة المشتركة والمتبادلة المرجوة للجانبين، ففي حين تطمح النخب السياسية إلى حليف دولي قوي يضمن بقايها ويرعاها ويوفّر لها الدعم خاصة في جانب التّسلّح، والحماية القانونيّة لا سيما أنّ موسكو تملك مقعدا دائما في مجلس الأمن وتسعى إلى اكتساب مزيد من الحلفاء في المنطقة يستوفون معاييرها وطموحها[1].

المطلب الثاني: مقارنة إستراتيجية روسيا لمكافحة الإرهاب بين ليبيا وسوريا

استفادت روسيا من هجمات 11 سبتمبر 2001 الّتي ضربت الولايات المتّحدة الأمريكية، بعد وصول الرّئيس الجديد "بوتين" في تلك الفترة الّذي رأى في الهجمات الإرهابيّة فرصة حقيقيّة للانخراط في الحملة الدّولية لمحاربة الإرهاب لسببين:

1. إذابة الجليد بين روسيا والغرب، وفتح مجالات التّعاون، وتجاوز العقبات والصّعوبات الّتي كانت تعاني منها، تمهيدا للتّعافي والعودة لاسترجاع "المجد الضّائع" وفتح صفحة جديدة دون عقوبات تقوم على التّعاون عوضا عن تضييق الخناق.
2. ركوب موجة الهبّة الدّوليّة لمواجهة الإرهاب، تحقّق عبرها أهدافها ومصالحها، كسب التأييد لمواجهة المقاتلين الشّيشانيّين، وإمكانيّة تدخّل الجيش الروسي في مناطق يراها ضمن دائرة الأمن القومي للبلاد خاصّة الجمهوريّات السّوفياتيّة السّابقة، واستعمال ورقة محاربة الإرهاب في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا "الخارج القريب" ومن ثمّ مزاحمة الولايات المتحدة الأمريكية في مناطق نفوذها.

تعتبر موسكو أن الإرهاب صناعة غربية تهدف إلى تقسيم الإقليم، وتأتي ليبيا وسوريا في هذا المشروع، وهذا ما كشفه الدّبلوماسي السّابق والخبير في شؤون الشّرق الأوسط "فيتشسلاف ماتوزوف"* (Vycheslav Matosof) أنّ الإرهاب وداعش صناعة من أجهزة استخبارات أمريكيّة وبريطانيّة وصهيونيّة في إطار إستراتيجيّة "عش الدبابير" استنادا إلى الوثائق السّريّة الّتي سرّبها عميل الاستخبارات الأمريكيّة (CIA) ومستشار الأمن القومي السّابق "إدوارد سنودن" تهدف الدّول المذكورة من خلال هذه الإستراتيجيّة

[1] Ziad Akl, "Russia and post-arab spring political elites in Egypt, Libya and Syria", ***in Alexandra chmielewska, the role of russian in the middle east and north africa region strategy or opportunism ?,*** (spain :the european institute of the mideterrean, April 2019), p.62.

* دبلوماسي روسي ومهتم بشؤون الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، رئيس الجمعية الروسية للصداقة والتعاون مع الدول العربية، لمزيد من المعلومات

يرجى الاطلاع على الموقع:

http://www.sana.sy/ (15/11/2020)

إلى جمع واستقطاب المتطرّفين وبقايا التّنظيمات الإرهابيّة في مكان واحد[1] حتّى يسهل السيطرة والقضاء عليهم فيما بعد.

يبيّن الواقع أنّ التّطرّف والإرهاب ليسا مرتبطين بالأشخاص بقدر ما هما مرتبطان بالفكر الّذي يصعب مراقبته أو القضاء عليه، وداعش نشأ في السّجون بعد التّدخّل الأمريكي في أفغانستان والعراق للقضاء على تنظيم القاعدة والنّتيجة مازال تنظيم القاعدة ينشط وظهر تنظيم أخطر، أكثر تنظيما وقدرة لوجيستيّة وبشريّة، وهو ما أكّده "بوتين" في خطاب له أمام الجمعيّة العامة للأمم المتّحدة أنّ "داعش" أعدّت مسبقا لإسقاط أنظمة غير مرغوب فيها[2].

تأتي الحرب في ليبيا وسوريا ضمن إستراتيجية روسيا لمحاربة الإرهاب، كونها ترفض ترك الثّورة ليستفيد منها المتطرّفون، لأن ذلك سيؤدّي إلى انتشار الجماعات والتّنظيمات الإرهابيّة، وفي هذا الصّدد دعا وزير الخارجيّة "لافروف" بتاريخ 27 سبتمبر 2014 إلى: "ضرورة إقامة جبهة موحّدة لمحاربة التّهديد الإرهابي المتنامي"[3]، اتّفق معه دوغين بقوله: "روسيا لا تتدخّل في الشؤون الدّاخلية للدّول لكنّها تتخوّف من الحركات السّلفيّة الوهابيّة وتتعامل مع الحكومات القائمة مثل الجزائر والمغرب،وتدعم الخيارات المجتمعيّة وما تفضّله وما نوع الحكومة الّتي تراها (يقصد المجتمعات) مناسبة، كل ذلك محترم لأنّنا نحترم الخيارات والعادات والتّقاليد ونقبل أيّ شيء باستثناء الرّاديكاليّة"[4]، أصبح مفهوم الإرهاب والتطرف والراديكالية لا يعبر على الدقة، فالإرهابي في نظر دولة قد لا يكون كذلك في نظر أخرى، وبالتالي فإن رأي دوغين يعبر عن رؤيته ورؤية بلاده لا غير.

تعتبر المنطقة أكبر المتضرّرين من انتشار التّطرّف والجماعات الإرهابيّة، خاصّة داعش الّتي تنشط عبر عدة دول من جهة وانتقل تأثيرها خارج حدود العراق وسوريا ووصل إلى ليبيا، ما أثّر بشكل مباشر على الأمن القومي الرّوسي، في السّياق نفسه نشر موقع قناة "أخبار الآن"[5] 900 وثيقة أصلية* صادرة عن "تنظيم الدولة" تحتوي على بيانات 470 عنصر من كتيبة الفاتحين التي تنشط على مستوى الرّقّة بسوريا، وبعد تحليل هذه الوثائق تمّ التّوصّل إلى النقاط التالية:

---

[1] ***داعش.. الولد الهجين بصناعة أمريكية فاخرة***، مقال منشور بتاريخ 2016/09/22:
http://www.almubarek.org/2016/09/22/59385.(2020/11/05)

[2] قلعجية، مرجع سابق، ص.330.

[3] لافروف: الحرب ضد الإرهاب يجب أن تقوم على أساس قوي من القانون الدولي، الموقع الرسمي للأمم المتحدة 2014/09/07:
https://news.un.org/ar/story/2014/09/209712(08/11/2020)

[4] دوغين، المقابلة، مرجع سابق.

[5] **ملفات داعش: أكثر من 800 وثيقة أصلية تحتوي معلومات مفصلة عن مقاتلي التنظيم**، مأخوذة عن الموقع الإلكتروني:
https://www.akhbaralaan.net/jenan/isisfiles?fbclid=IwAR37NWQWlmhXiMdt5KOo6_QghCwqII39rNJqFMock1p89xwXI36qF4I2BhE(20.02.2020)

*تجدون نسخة من نماذج الوثائق الأصلية في قائمة الملاحق.

- تنشط هذه الكتيبة على مستوى محافظة الرّقّة مستغلة الحرب الدائرة على الأراضي السورية وضعف الدولة فيها.

- ينتمي أفراد الكتيبة لدول الإقليم بـ 165 فردا وهذا يشكّل تهديدا للمصالح الرّوسيّة أو لأمنها القومي بطريقة مباشرة، وقد أظهر تحليل الوثائق وجود 94 روسيّا، 188 فردا من دّول لها حدود مشتركة مع روسيا.

- لوحظ من خلال مراجعة الدّول الأصلية للمقاتلين (إن كانت المعلومات صحيحة) أنّ 305 من الإرهابيين حتّى وإن كانوا (مسلمين) فإنّهم لا يعرفون اللّغة العربيّة جيّدا، لذلك لا يمكنهم فهم الآيات القرآنية أو الأحاديث النبويّة ما يسهّل عملية تجنيدهم بعد إقناعهم بفكرة الجهاد عن طريق تفاسير متطرّفة أو مغلوطة، بسبب غنى اللّغة العربيّة بالمفردات المتشابهة وتقارب المعاني لا يعني تطابقها تماما.

- من بين 470 إرهابيّ في كتيبة الفاتحين النّاشطة على مستوى محافظة الرّقّة لم يتجاوز عدد المنخرطين من دول شمال إفريقيا العشرين (20) فردا، ولم يلاحظ أي انخراط جزائري مردّ ذلك إلى الخبرة الّتي اكتسبتها الجزائر في مواجهة الإرهاب والفكر المتطرّف، ولا ليبي بسبب انشغال الليبيّين بالحرب القائمة في بلادهم.

تتخوف روسيا من عودة الإرهابيين (المقاتلين) الرّوس من سوريا وليبيا، فاعتبارا من بداية 2016 قدّر عدد المنخرطين الرّوس في صفوف "داعش" حوالي 4600 عنصر، وسيعودون يوما ما لبلادهم حاملين معهم فكرهم المتطرّف، وخبرتهم الميدانيّة في القتال خاصة في الشّيشان (1500 عنصر) وداغستان (200 عنصر)[1] وسيشكّلون تهديدا للأمن القومي الرّوسي، لذلك يجب التّصرّف بحزم تجنّبا للعواقب المستقبليّة.

ذكر مدير معهد كازاخستان للدّراسات الإستراتيجية "إيرلان كارين" (Erlan Karin)، منذ سنة 2015 تمّ رصد حوالي 500 أوزبكي، 360 تركماني، و100 قزقيزي، و190 طاجيكي في سوريا فقط، وقد أثبتوا خبرة وثباتا كبيرين في القتال[2]، وتتخوّف روسيا من أمرين، انتقال هؤلاء المقاتلين إلى ليبيا، واكتسابهم مزيدا من الخبرة ثمّ عودتهم إلى بلدانهم الأصليّة أين ستصبح محاطة بالتّهديدات من دول الاتّحاد السّوفياتي السّابقة بعد أن أصبحت اللّغة الروسية ثالث لغة استعمالا بين مقاتلي "داعش" قبلها العربيّة والإنجليزيّة، ونشر التنظيم مجلة باللغة الروسية.

[1]Chorin.op.cit, p.19.
[2]Kazlanov, op.cit.pp.12-14.

يحدث ذلك في ظل عيش ما بين 21 و23 مليون مسلم في روسيا، وهذا الرقم يوازي تقريبا 16% من إجمالي عدد السكان[1]، وبما أنها تعترف بأنّ الجماعات الإرهابيّة صناعة أمريكيّة (Made in USA) فربطها بالإسلام والمسلمين أمر ليس دقيقا بالكامل، فقد يكون بعض المتطرّفين من غير المسلمين فلا يوجد دليل على ذلك، وبالتّالي يبقى ربط الإرهاب بالإسلام نسبيّا، وبذلك فالتّخوّف أيضا يجب أن يكون نسبيّا، فكما تمّ التآمر على دول الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا لضرب استقرارها (باعتراف المسؤولين الروس) فليس من الصّعب التّآمر على الإسلام والمسلمين واتهامهم بالإرهاب.

لم تعد موسكو تعتبر نفسها فاعلا عاديّا، بل فاعلا رئيسيّا في محاربة الإرهاب، وسيغيّر دورها في ليبيا وسوريا مسار الأمور، أعلن "بوتين" أنّه مستمرّ في محاربة المتطرّفين ليس في سوريا وحسب، وإنّما طالب الدّول الأخرى بالانضمام إليه مثل ما فعل الحلفاء في مواجهة "الشّر النّازي" خلال الحرب العالميّة الثّانية[2]، في إشارة إلى أن بلاده لن تكتفي بدور ثانوي وستتزعّم قيادة محاربة الإرهاب، فالفضل يعود لها في تخليص أوروبا والعالم من النّازيّين وستكون ليبيا وسوريا بوابتي القضاء على الإرهاب.

تختلف إستراتيجية روسيا لمحاربة الإرهاب في ليبيا وسوريا من حيث طريقة التّعامل ودّعم النّظام السّوري دعما لوجيستيّا وميدانيّا ومعلوماتيّا عن طريق التّواجد العسكري المباشر، بينما تدعم المعارضة في ليبيا والحليف الرّئيسي قائد الجيش الوطني اللّيبي (LNA) (Libyan National Army) خليفة حفتر الّذي يعتبر نفسه "الحصن المنيع" لمواجهة الإرهاب في ليبيا، خاصّة بعد الظّهور الواضح لأفراد تنظيم الدّولة الإسلاميّة[3]، وقد تكون هذه الورقة الأساسة التي دفعت اللّيبيين للتّخندق وراءه والوقوف بجانبه واستطاع إقناع أتباعه أن دوره سينتهي بمجرّد القضاء على داعش ولم يبرز أيّ أطماع سياسيّة في البداية.

أغرب الكرملين عن دعم البيت الأبيض لمواجهة الإرهاب، ومحاولة تعزيز طرق التّعاون[4]، إلّا أنّ الواقع الميداني يبيّن عكس ذلك، فهما مختلفان حتّى في تصنيف الجماعات الإرهابيّة على غرار جبهة النّصرة، وحزب الله.

تتشابه ليبيا وسوريا في كونهما معقلا للجماعات الإرهابيّة، لذلك تدخلان في صلب إستراتيجيّة روسيا لمواجهة الإرهاب، بموجب المادة الخامسة من القانون الفيدرالي 35-Fzالمؤرّخ في 06 مارس 2006

[1] Anna Borshchevskaya, ***Russia in the middle east motives, consequences, prospects***, USA, Washington institute for near east policy, 2016, p.13.

[2] قلعجية، مرجع سابق، ص.330.

[3] Pigman, op.cit

[4] United states of America, ***U.S.-Russia cooperation in the war against international torrorism***, national war college, 2002, p.02.

والمعدّل بتاريخ 31 ديسمبر 2014 الّتي تنصّ في فقرتها الثّالثة على: "اتّخاذ القرار بعد الإجراءات الواجبة بشأن استخدام وحدات القوّات المسلّحة للاتّحاد الرّوسي والوحدات ذات الأغراض الخاصّة خارج حدود الاتّحاد"[1]، ما يسهّل على الرّئيس استخدام حجّة مكافحة الإرهاب لتسخير القوّات المسلّحة وإخراجها للمناطق والدّول المستهدفة[1].

تحاول روسيا دائما التّسويق أنّها السّبب الرّئيسي في دعمها لسوريا وليبيا هو محاربة الإرهاب لا غير وأنّ استقرار هاتين الدّولتين سيؤدّي إلى استقرار المنطقة ويضيّق الخناق أكثر على التّنظيمات الإرهابيّة لكن الدّول الغربيّة يتّهمونها بالتّركيز على ضرب المعارضة أكثر من "داعش"، وأدّت العديد من الغارات إلى تمكين تنظيم الدّولة من تحقيق مكاسب ميدانيّة ضدّ المعارضة[2]، أمّا دعم حفتر فيأتي باعتباره قوّة فاعلة في مواجهة الإرهاب المتسلّل من سوريا ومصر، وحتّى تركيا، والواقع الميداني بيّن فضل الجيش الرّوسي في مواجهة الإرهاب بسوريا خاصة "داعش"، وهذا ما تبينه الخريطة المقارنة التالية:

[1] Russia federation, council of federation, ***federal low N° : 50FFZ on counteraction against terrorism***, 31 december 2014, article 5.

[2] Mark N.Katz, ***Russian intervention in Syrian civil war***, in Russian anatycal digest, (Germany, n175, 16 november 2015), p.04.

خريط رقم 04 توضّح نسبة السيطرة الميدانية على الأراضي السوريّة قبل وبعد التدخل الروسي، بين 2016 و2020.

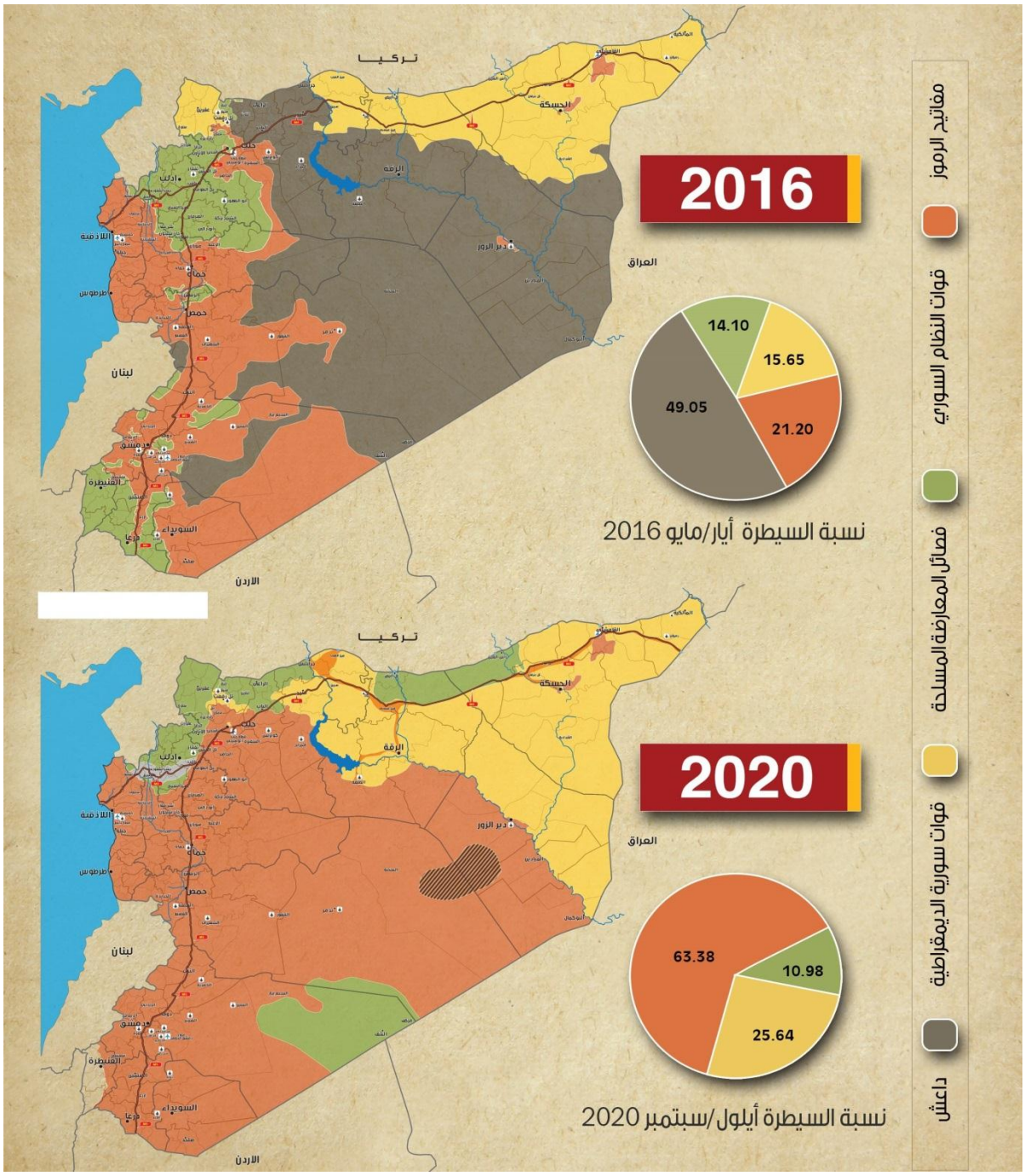

المصدر: خمس سنوات على التّدخّل الروسي في سوريا ماذا أراد وماذا حقّق؟، مأخوذ عن الموقع الإلكتروني:

https://jusoor.com/details/%D8%AE%D9%85%D8%B3%20%D8%B3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%AA%20%D8%B9%D9%84%D9%89%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AF%D8%AE%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%20%D9%81%D9%8A%20%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9/774/ar(02.03.2021)

تظهر الخريطة قوّة الجيش الرّوسي في مواجهة الإرهاب من جهة ودعمه الأسد من جهة أخرى، لقد وصلت سيطرة "داعش" في سنة 2016 لنسبة 49,05% من الأراضي السّورية، ولم يتبقّ سوى 21,2% من الأراضي تحت سيطرة النّظام، إلّا أنّه بعد أقلّ من 5 سنوات من التّدخّل الرّوسي، لم يعد تنظيم الدولة

يسيطر على مساحات تظهر على الخريطة، وارتفعت نسبة سيطرة النّظام السّوري إلى 63,38%، إلّا أنّ مثل هذه الإحصائيّات والخرائط لا يمكن توفيرها فيما يخص ليبيا كون الجهات الرّسميّة تنفي أي تواجد للجيش الرّوسي على الأراضي اللّيبية.

تختلف إستراتيجيّة روسيا لمواجهة الإرهاب في ليبيا وسوريا من حيث التّعامل التّكتيكي الميداني تواجه الجماعات الإرهابيّة مباشرة في سوريا، وقد ذكرت وزارة الدفاع الرّوسية أن الجماعات الإرهابية كانت تسيطر على 92% من الأراضي السّورية عندما بدأ الجيش الرّوسي عملياته في 2015، لكن الجيش السّوري وحلفائه استعاد السّيطرة على 96،5% من الأراضي في جانفي 2019[1].واكتفت فيما يخص ليبيا خلال عدّة مناسبات بالإشارة إلى أنّ قوات حفتر استطاعت دفع الجماعات نحو الغرب ولم تقدّم أي توضيحات، من هنا يظهر أنّ التّركيز على مواجهة الإرهاب في سوريا بالدّرجة الأولى، وأنّ الكرملين يدعم الأسد في حربه ضدّ الإرهاب فقد صرح وزير الدفاع الروسي "شويغو" أن الأهداف الإرهابية المدمرة حتى منتصف 2018 قد بلغ 121466 هدفا، واعترف المرصد السوري لحقوق الإنسان "المعارض" بأنه خلال الفترة الممتدة بين 2015/07/30 و2018/06/30 قضت القوات الروسية على 4868 جهادي و5021 عنصر من تنظيم الدولة.[2]

[1] 460 جنرالا روسيا أداروا العمليات وعززوا خبراتهم القتالية في سوريا، مقال منشور بتاريخ: 2019/01/03 على الموقع الالكتروني: http://arabic.com/middleeast/992666-70(24/11/2020)

[2] أكثر من 63000 عسكري روسي ساهموا في العملية الروسية في سوريا، مقال منشور بتاريخ: 2018/08/23 على الموقع الإلكتروني: https://www.bbc.com/arabic/middleeast-45282591(16/03/2020)

جدول رقم 05: يوضّح نقاط التّشابه والاختلاف في إستراتيجيّة روسيا لمواجهة الإرهاب بليبيا وسوريا

المؤشّر	أوجه التّشابه	أوجه الاختلاف
محاربة الإرهاب	– أدخلت روسيا حربها على الإرهاب في الدّولتين لاستعادة موطئ القدم في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتعزيز التّعاون مع الغرب ظاهريا، لكنّ الحقيقة هي مواجهة الولايات المتّحدة الأمريكيّة والأطلسيّة في مناطق نفوذها. – الجماعات الإرهابيّة في ليبيا وسوريا صناعة أمريكو – غربيّة عن طريق مخابرات هذه الدّول، وبالتّالي يجب عليها الكفّ عن إشاعة الفوضى الّتي ستؤدّي إلى تكريس مبدأ القوّة في العلاقات الدوليّة. – لا يمكن فسح المجال أمام المتطرّفين وترك الثّورة لهم، حتّى لا تنتشر الجماعات الإرهابيّة. – التّخوّف من عودة الإرهابيّين الرّوس ودول الاتّحاد السّوفياتي السّابقة من ليبيا وسوريا ما يشكّل تهديدا للأمن القومي الرّوسي. – ربط الإرهاب بالإسلام والمسلمين سيؤثّر على مكانة روسيا في المنطقة، وسيحمل خطرا لأمنها الوطني نظرا للعدد الكبير منهم فيها. – محاربة الإرهاب في ليبيا وسوريا سيؤدّي إلى استقرار المنطقة وسينعكس ذلك إيجابيّا على أمن القوقاز وروسيا	– تدعم روسيا المعارضة اللّيبيّة "حفتر" في حربه ضدّ الإرهاب، أو على الأقل تخليص المناطق التابعة له في شرق ليبيا، وتعتبره موسكو "رجلها لمكافحة الإرهاب" بينما تدعم النظام السوري في حربه ضد المعارضة بصفة عامة وليس الجماعات الإرهابية وحسب، في ظل اتهامات حتى باستهدافها للمدنيين. ـ يأتي الدعم الروسي للأسد بشكل مباشر ماديا وبشريا، لوجستيا وتكتيكيا عن طريق القوات العسكرية المتواجدة على الأراضي السورية، في حين تظهر روسيا دعمها لحفتر دبلوماسيا ومعلوماتيا (استخباراتيا) وحسب، ووصلت لحد نفي تواجد قوات عسكرية روسية أو حتى مؤسسات أمنية خاصة على غرار "فاغنر".

المطلب الثالث: المستقبل السّياسي لروسيا في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا من خلال المقارنة بين ليبيا وسوريا

تشكّل الحرب في ليبيا وسوريا فرصة مستقبليّة لتوطيد العلاقات الرّوسيّة مع دول الإقليم، بعد تراجع الدّور البارز للولايات المتّحدة الأمريكيّة، بالمقابل يجب على موسكو تسريع الخطوات لأنّ التّغيّر في الإدارة الأمريكيّة، سيعيد ليبيا وسوريا لحساباتها الإستراتيجيّة، وستجد موسكو نفسها في نقطة البداية، ويجب عليها تكوين تحالفات إقليميّة أو حتّى دوليّة مثل ما تفعله واشنطن[1]، تتوقّع روسيا ظهور "نقاط ساخنة" جديدة وتتوسّع المناطق الّتي لا تخضع لسيطرة أي دولة ممّا سيؤدي إلى مزيد من النّزاعات العرقيّة والتّطرّف والإرهاب[2]، وستكون ليبيا وسوريا أهمّ هذه النّقاط، لن تنخفض حدّة التّوتّر في المنطقة على المدى المتوسّط.

تبني روسيا مستقبلها السّياسي في الشّرق الأوسط على إستراتيجية "تخفيض الخيارات" (Options Reduction) القائمة على المراحل التي يكون للأنظمة عدد أقل من الخيارات فيما يتعلّق بالتّحالفات الدولية[3]، لذلك تضطرّ هذه الأنظمة إلى بناء تحالفات مع الدّول القويّة فلا تجد غير روسيا تتقبلّها، يظهر ذلك في كلّ من سوريا وليبيا. أين تحالفت روسيا مع الأسد في سوريا وحفتر في ليبيا، لأنّهما لا يحظيان بتأييد أو دعم دوليّين، لذلك سيكون تحالفهما مع روسيا شبه إجباري، وطبعا سيرضخان للشّروط الّتي تضعها وسيحقّقان أهدافها الإستراتيجيّة، ونفس الوقت يحقّقان أهمّ هدف بالنّسبة إليهما ببقائهما في السّلطة.

ستركّز موسكو على المستقبل خاصّة الخارج القريب (أي الدّول الأقرب إليها) إيران وتركيا، العراق سوريا، كلّ هذه الدّول يمكن أن تتناقص من حيث المساحة بظهور دولة كرديّة، وسيؤدّي انهيار نظام الأسد إلى خلط أوراقها[4]، بالمقابل لن يؤثّر ذلك كثيرا على الخيارات في حال تقسيم ليبيا، بدعم حفتر الّذي سيبقى مسيطرا على أهمّ مصادر النّفط وسيكون على رأس السّلطة في "دولة الشّرق"، ولن يكون أيّ مشكل في حال قسّمت ليبيا عكس سوريا، حيث لا تضمن قدوم حكومة موالية، وموقفها من دولة الأكراد –في حال تأسيسها– وكيف سيؤثّر على حلفائها سوريا إيران، العراق، وبدرجة أقلّ تركيا.

---

[1] مي عيث، ***التدخل الروسي في سوريا والسيناريوهات***، تقدير موقف، مصر: المعهد الوطني للدراسات السياسية والإستراتيجية، 25 نوفمبر 2015، ص.01.

[2]Russian federation presidential edict, n683, op.cit, p.05.
[3]AKL, op.cit, p.59.
[4]Hukkala, op.cit, p.59.

بدأت إستراتيجيّة روسيا تأخذ منحنى تصاعديّا منذ سنة 2015 بعد تدخّلها في سوريا، وعودتها لليبيا ممّا يتيح لها لعب دور أكبر في السّنوات القادمة، في حدود 2025[1]، وستكون الدّولتان مؤشّرا للمستقبل السّياسي لروسيا في الإقليم، بسبب مرور عشر سنوات على تدخّلها في سوريا وعودتها التّدريجيّة لفرض حلّ يلائمها في ليبيا، وفرض انتخابات رئاسية يفوز بعا حليفها، من هنا تكون المرحلة قصيرة المدى قد انتهت وستعيد موسكو حساباتها وتقيم مكاسبها مقارنة بخسائرها، وتكتيكاتها حسب المرحلة بعد 2025 وتعديل الإستراتيجيّة حسب المستجدّات الّتي ستطرأ خلال هذه الفترة (2020-2025)، في حين يظهر أنّ صنّاع القرار الرّوس نسوا أو تناسوا شعوب المنطقة الّتي قامت بهذه الثّورات ضد الأنظمة وقد تعيد الكرّة من جديد، وما يفعله الكرملين يزيد من مكانته لدى الأنظمة، وبالمقابل لا يملك المكانة نفسها لدى الشّعوب.

ستكون سوريا وليبيا محددين لمستقبل العلاقات الرّوسيّة التّركيّة سيما بعد الضّغوطات الّتي كانت تفرضها الولايات المتّحدة الأمريكيّة على أنقرة[2]، رغم عدم اتّفاقهما حول الملفّين اللّيبي والسّوري، إلّا أنّ مصالحهما المشتركة ستكون فوق كل اعتبار عندما تستعيد تركيا السّيطرة على مضيق البوسفور، فمن الضّروري أن تسعى موسكو للحصول على معاملة تفضيليّة، وتستغلّ العوامل التّاريخيّة والثّقافيّة في الإقليم لتجعل من سوريا بوّابة لها شمال البحر الأبيض المتوسّط، وليبيا جنوبه، ومن ثمّ أفريقيا، ويسهل الوصول إلى السّاحل وجنوب الصّحراء نحو إفريقيا، وسيتواصل ذلك حتّى حدود 2030[3]، وهذا في حال نجاح إستراتيجيتها، لأنّه من غير المعقول أن يبقى المجال مفتوحا أمامها بهذه السّهولة – رغم النّجاح الّذي حقّقته ولازالت – فعاجلا أم آجلا ستجد من يكبح طموحها ويخفّض من وتيرته المتسارعة بشكل كبير جدّا سواء الولايات المتّحدة الأمريكية أو غيرها.

تستطيع روسيا الحفاظ على مستوى متقدّم لإستراتيجيتها وتبقى على الوتيرة نفسها، بسبب الاستقرار الّذي ستشهده على مستوى رأس هرم السّلطة، الّذي لن يتغيّر قبل سنة 2024 نهاية العهدة الرئاسيّة الثّانية على التّوالي لبوتين، وقد زاد ثقة بعد نجاحه في تعديل الدستور ما يتيح له البقاء في السّلطة لغاية 2036 بحجّة استمراره في الإنجازات الّتي يقوم بها، وفي حال بقائه لهذه الفترة سيكون من أطول القادة حكما لروسيا بين كلّ القياصرة والزّعماء والرّؤساء بعد إيفان الثّالث (43 سنة) وإيفان الرّهيب (37 سنة)

[1] Stephen Blank," Russia's middle eastern position in 2025" , in theodor karask ans Stephen Blank, ***Russia in the middle east***, (united states of america : the jamstown foundation ,2018), p.369.
[2] Ibid, p.370.
[3] Ibid, p.371.

وكاترين الثّانيّة (24 سنة) وبطرس الأكبر (35 سنة) وستالين (29 سنة)[1]. وتبيّن الصّورة التّالية أكثر الرّؤساء بقاء في الحكم منذ 1924 حتّى سنة 2036:[2]

جاءت هذه التعديلات بتاريخ 14 مارس 2020 رقم FKZ-1، بموجب المرسوم الرّئاسي رقم 445 بتاريخ 2020/07/03 بشأن النّشر الرّسمي لدستور الاتّحاد الرّوسي بصيغة معدّلة[3]، وفي هذه الحالة تتشابه روسيا مع ليبيا وسوريا وأغلب دول المنطقة بحيث سيكون بوتين رئيسا لمدة 32 سنة، ومن المحتمل أن يستمرّ في الإستراتيجيّة نفسها اعتمادا على نقطتي الارتكاز ليبيا وسوريا.

يختلف المستقبل السّياسي لروسيا في المنطقة بين ليبيا وسوريا كون موسكو تبدو غير مكترثة بمن سيأتي للسّلطة في الأولى، ومهتمّة بالتّواجد والتّغلغل أكثر فيها، رغم الدّعم المقدّم لحفتر، عكس الثّانية الّتي يؤدي صعود التّيّار السّنّي للسّلطة إلى تقويض التّحالف موسكو – دمشق، كما لن تسمح طهران

[1]Grzegorz Kuezynski, ***Putin's constitution***, warsaw institution, special raport, 30/06/2020, p.04.
[2]Ibid, p.05.
[3] بوابة الإنترنت الرسمية للمعلومات الرسمية، باللغة الروسية، على الموقع الإلكتروني:
http://pravo.gov.ru/(2020/12/02)

بعزل الأسد، ما يؤدّي إلى تفاقم الوضع خاصّة أن التّيّار السّنّي سيكون حليفا للسّعوديّة[1]، العدو التّقليدي لإيران أو الإخواني الموالي لقطر وتركيا، وبالتّالي سيكون الحفاظ على وحدة سوريا من الأولويّات الإستراتيجيّة لروسيا في الإقليم.

يمكن أن تبني روسيا إستراتيجيّتها تجاه ليبيا وسوريا على النّقاط التّالية:

– استمرار دعم الأسد في سوريا، طالما لم يظهر نيّة لفض الترابط مع الكرملين في المستقبل بالمقابل لن تستمر في دعم حفتر إذا ما تطورت الأوضاع في ليبيا وظهور طرف أقوى ويضمن مصالح أكثر ويحظى بقبول وتزكية شعبيين.

– ستعود روسيا بصفتها فاعلا مهما في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط، من خلال البوابتين ليبيا جنوب المتوسط وسوريا شماله، لكن الاختلاف سيكون في التواجد، حيث سيكون أكثر وضوحا في سوريا من ليبيا، إلّا إذا نجح الجيش الرّوسي في إنشاء قواعد برّيّة أو بحريّة في ليبيا.

– قد يؤدي نجاح استراتيجية روسيا في ليبيا وسوريا إلى استعادة الثقة الكرملين وبين الحلفاء القدامى الّذين تأثّروا بتفكّك الاتّحاد السّوفياتي سابقا، وستزاحم موسكو الولايات المتّحدة الأمريكيّة في المنطقة ومناطق أخرى، في مشهد يعيد سيناريو الحرب الباردة من جديد، أو الجيل الثّاني من الحرب الباردة.

ولتحقيق هذه الإستراتيجيّة لابدّمن توفّر الشّروط الآتية:

– بقاء بوتين في السلطة، لأنّه بنى نظاما قائما على سلطويّة الفرد، وقد تنهار مكانة بلاده في حال رحيله، ودليل ذلك الاختلاف الّذي كان واضحا بينه وبين ميدفيديف عندما كان رئيسا حول الملفّين اللّيبي والسّوري، والنّخبة الليبرالية التي ستحاول إعادة ترجيح الكفّة لصالحها، زد على ذلك بقاءه في السّلطة لغاية 2036 سيؤثّر على مستقبل بلاده.

– استمرار التّراجع الّذي تشهده الولايات المتّحدة الأمريكيّة، بعد تدخّلها في ليبيا من أجل إسقاط القذّافي وترك الأمور تزداد سوء بعد ذلك، وفشلها في اسقاط نظام الأسد حتى بعد تحالف دولي قادته، فسح المجال أمام المجال موسكو لملء الفراغ الذي خلّفته واشنطن.

ستكون موسكو أمام تحديّات كثيرة في المنطقة، وستواجه صعوبات لإنهاء النّزاع الليبي أو السّوري حسب رغباتها ومصالحها، لذلك تراها تبذل جهدها لتحقيق هدفين هما:[2]

[1] Mark N.katz, Russia and Arab spring, middle east institute, 03/04/2012, on web site : http://mei.edu/publication/russia-and-arab-spring, (02/12/2020).
[2] AKL, op.cit, p.62.

1. الحفاظ على شكل النّظام الّذي كان قائما قبل 2010، واستمراره ولو بوجوه جديدة، لكنّ تحوّله سيضرّ مصالحها.

2. الاستثمار في النّخب السّياسيّة والشركاء المحتملين في المستقبل لموسكو يسهرون على تحقيق المصالح.

تبدو إستراتيجية الاستثمار في النخب فعالة، وتضمن مستقبل موسكو في المنطقة، لكنّها لم تستثمر في نخبها فبقاء بوتين في السّلطة لمدّة 32 سنة بحلول سنة 2036 يدلّ على عدم الاستثمار في النّخب والاقتناع بأنّه لا يوجد أفضل من بوتين في حدّ ذاته فشل، فلا أحد يبقى رئيسا على الدّوام، ولو نجح في استعادة أمجاد روسيا، فقد فشل في إيجاد بديل له يواصل مشواره وانتصاراته.

أعلن الرّئيس الأمريكي السّابق، جورج بوش "الابن" بتاريخ 07 نوفمبر 2003 بأنّ: " إنشاء عراق حرّ في قلب الشّرق الأوسط من شأنه أن يكون حدثا مفصليّا في الثّورة الدّيموقراطيّة العالميّة"[1]، يظهر بعد تمعّن هذا التصريح بأنّ الولايات المتّحدة تسعى إلى نشر الدّيموقراطيّة الغربيّة في الإقليم عن طريق العدوى والانتشار ولم تنجح بل هزّت استقراره تمهيدا لمشروع تقسيم أكبر عن طريق "نظريّة الدّومينو" ستسقط باقي الدّول بعد إسقاط العراق في إطار ما يعرف بالشّرق الأوسط الجديد.

تفطّنت روسيا لهذا المشروع مبكّرا، وسعت ألّا توجّه واشنطن أي ضربة للعراق، وهذا ما كشفه "بريماكوف" عن مهمّته السّرّيّة في بغداد خلال فيفري 2003 لإقناع الرّئيس السّابق الرّاحل صدّام حسين بالتّنحّي عن السّلطة للحيلولة دون استصدار قرار من الأمم المتّحدة يفوّض الولايات المتّحدة الأمريكيّة بضرب العراق[2]،واعتبر أنّ إضافة سوريا إلى محور الشّرّ، إيران وكوريا الشمالية –حسب الإستراتيجيّة الأمريكيّة– يأتي بعد ضغط من يمين "الصّهيوني" وهو من يدفع الإدارة الأمريكيّة إلى ضرب سوريا[3] وأشار إلى مشروع قد يزيد من التّوتّر يصل إلى التّقسيم، وروسيا تهدف إلى إفشال هذا المشروع لأنّه لا يخدم مصالحها، لذلك سيستمر التّجاذب بين الطّرفين في هذه النّقطة وستكون سوريا وليبيا محور ذلك.

---

[1] ماريانا أوتاواي، الشرق الأوسط الجديد، (الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي 2008)، ص.01.

[2] سامي عمارة، بريماكوف يشرح ل" الشرق الأوسط" مهمته السرية في بغداد: صدام سجل في مفكرته ما قلته حول ضرورة تنحيته"، ***الشرق الأوسط***، ع 8905، 16 أفريل 2003.

[3] المكان نفسه.

جدول رقم 06 يوضح أوجه التّشابه والاختلاف في المستقبل السّياسي لروسيا في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا بين ليبيا وسوريا

أوجه التّشابه	أوجه الاختلاف
– ستحافظ موسكو على علاقاتها الوطيدة مع كلّمن ليبيا وسوريا، ما يسهّل عليها توطيد العلاقات مع باقي دول المنطقة. – تغيّر الإدارة الأمريكية سيؤدي إلى تغير محتمل في إستراتيجيتها تجاه الإقليم، لذلك يجب على روسيا أن تستعدّ للسّيناريوهات المستقبليّة في ليبيا وسوريا. – تشكّل ليبيا وسوريا قاعدة لتحالفات روسيا المستقبلية في المنطقة وستجمع الحلفاء الذين يوافقونها الرؤية. – يتشابه كل من الأسد وحفتر بالنسبة لروسيا في أنّهما منبوذان دوليا، فلا الاتّحاد الأوروبي يريد بقاءهما على رأس السلطة، ولا الولايات المتّحدة الأمريكيّة تريد ذلك، ما يرفع نسبة نجاح مهامّها المستقبليّة، وتحقيق أهدافها في المنطقة. – لا تتمتّع موسكو بالتّأييد من طرف الشّعبين اللّيبي والسّوري، لذلك سيكون مستقبلها السّياسيقائما ومرهونا بمدى حسن توظيف أوراقها وتوطيد علاقتها مع النّخب المسيطرة على	– تتوقّع روسيا استمرار النّزاع بحدة مختلفة بين ليبيا وسوريا خلال المدى المتوسط في حدود 2030 وسيزداد أحدهما تعقدا. – تختلف أهمّية ليبيا وسوريا بالنّسبة لمستقبل روسيا في المنطقة بحيث تهدف كي تكون الأولى بوابة لإفريقيا عبر دول السّاحل والصّحراء وستكون الثّانية بوّابة البحر المتوسّط والضّامنة للتّواجد فيه. – يهتمّ الكرملين بالإبقاء على الأسد في السّلطة بينما لا يهتمّ كثيرا بوصول حفتر إلى الحكم، بقدر ما يهمّها البقاء في ليبيا. – يدخل الجانب الدّيني في تحالف موسكو–دمشق، بسبب دعمها للتّيّار الشّيعي ترسيخا لتحالف روسيا–إيراني، ولكن ذلك لا يدخل في التّحالف الرّوسي اللّيبي.

السّلطة في كل دولة من دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.	

عادت روسيا للشّرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010 آملة في الوصول لعدّة أهداف، ومن خلال مقارنة الإستراتيجيّة بين سوريا وليبيا على المستوى السياسي والبحث في علاقة روسيا بالحكومة في كلتا الدّولتين، وملف محاربة الإرهاب، ومستقبلها السياسي في المنطقة، يمكن استنتاج ما يلي:

1. لا بدّ على القوى الدّوليّة والإقليميّة من الاعتراف بعودة روسيا واستعادة مكانتها الّتي خسرتها سابقا بدليل إستراتيجيّة تسييرها للحربين اللّيبيّة والسّوريّة.
2. رفض التّدخّل الأجنبي في أزمات المنطقة، وفسح المجال أمام القوى الدّاخليّة لحلّ مشاكلها بنفسها ودعم الجهود الأمميّة وفق مبادئ القانون الدّولي.
3. الاعتماد على الانتشار، فبعد نجاح موسكو في ليبيا وسوريا، ستنتقل لعقد تحالفات جديدة مع دول المنطقة.
4. ستمثّل محاربة الإرهاب الحجّة الّتي يقدّمها الكرملين لإيجاد موطئ قدم في المنطقة، وستكون هذه الحجّة في مواجهة الحجة الأمريكية المتمثّلة في نشر الدّيموقراطيّة، ومجابهة قوى الشّرّ أي الأنظمة غير المرغوب فيها وغير المرحّب بها في أروقة البيت الأبيض.
5. الاعتماد على نشر إشاعة أنّ الإرهاب صناعة أمريكيّة، ما يوسّع الهوة ويزيد المسافة بين حكومات المنطقة وواشنطن، باعتبار أن خسائرها ستتيح لروسيا فرصة تعظيم مكاسبها.
6. لن تسمح موسكو بوصول متطرّفين إلى الحكم، وستنسّق مع نخب المنطقة للحيلولة دون وقوع مكاسب الثّورة بيد أطراف لا تخدم المصالح الروسيّة.
7. لا يمكن أن تستقرّ الأوضاع في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في حدود 2030، وستكون هذه الفترة بمثابة اختبار حقيقي لإستراتيجيّة روسيا، وستضعها في مفترق الطّرق لترتيب الفرص المتاحة والمتلائمة مع الإمكانيّات، وتحديد الخيارات المثلى.
8. تتعارض إستراتيجيّة روسيا مع إستراتيجيّة الولايات المتحدة الأمريكية الّتي ترغب في تقسيم المنطقة

فقد نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" (The newyork times) الأمريكيّة بتاريخ 28 سبتمبر 2003خريطة لتقسيم الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا تحت عنوان "كيف يمكن أن تصبح خمس دول 14 دولة" (How

does 5 countries could became 14) وشمل مخطّط تقسيم سوريا وليبيا، وقسمت كلّ منهما إلى ثلاث دويلات. بالإضافة إلى العراق والسعودية واليمن (انظر الخريطة رقم 05)[1].

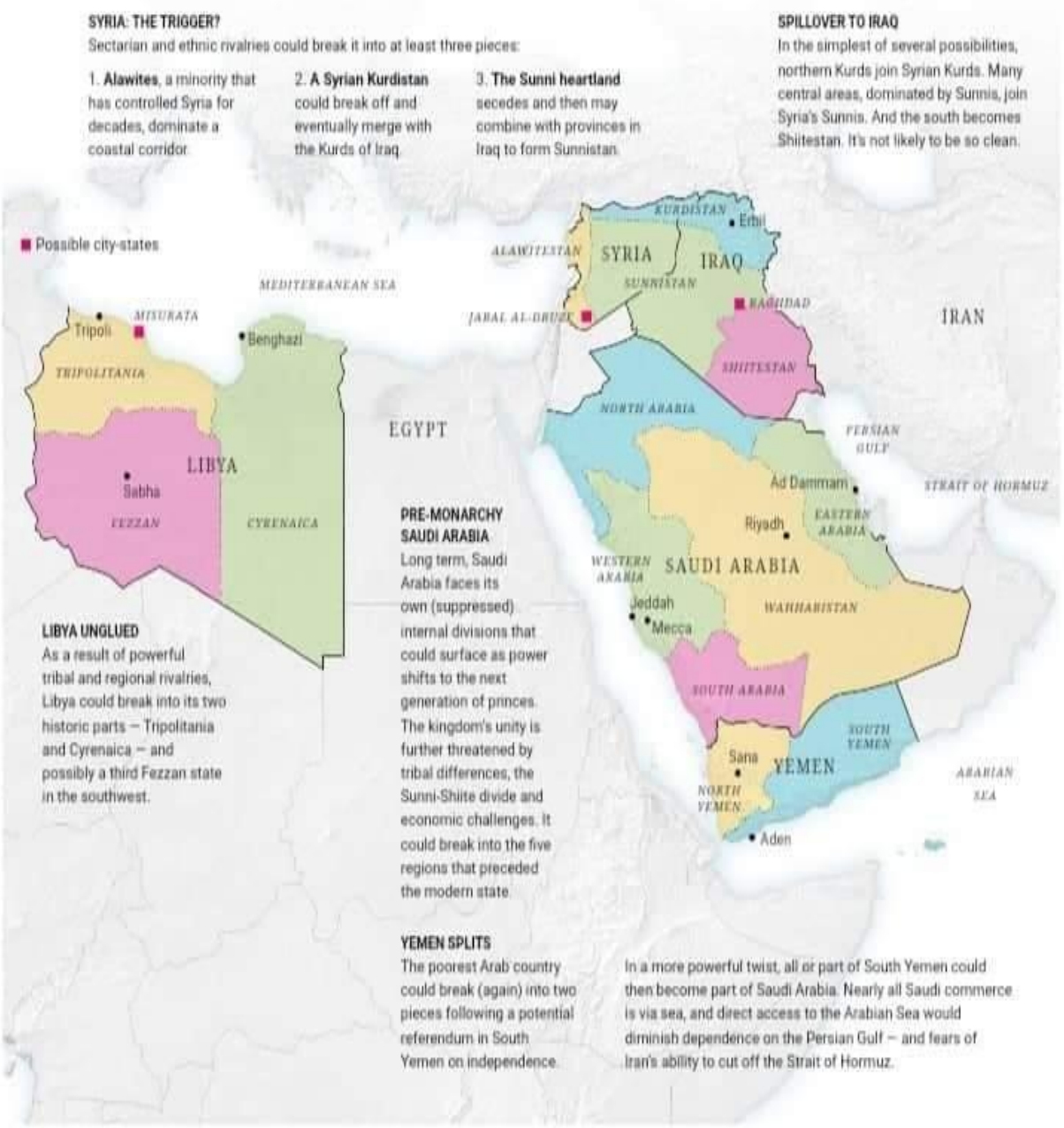

خريطة رقم 05 تبيّن المشروع الغربي لتقسيم الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا.

المصدر:

How does 5 countries could became 14, the new york times , 28/09/2003, on website:https://archive.nytimes.com/www.nytimes.com/interactive/2013/09/29/sunday-review/how-5-countries-could-become-14.html

[1]***How does 5 countries could became 14,*** the new york times , 28/09/2003, on website:https://archive.nytimes.com/www.nytimes.com/interactive/2013/09/29/sunday-review/how-5-countries-could-become-14.html(2020/09/20)

الملاحظ أنّ هذا التّقسيم لم يشمل مصر حليف واشنطن لكنّه شمل السّعودية أكبر حليف ولم يشمل إيران أكبر عدو في الإقليم، وتبدو معارضة روسيا لهذا المشروع مستقاة من دروس التاريخ، أين لم تستفد من اتّفاقيّة سايكس–بيكو الّتي جرّت المنطقة لأزمات وحروب جعلت موسكو دائمة التّخوّف من وصول كلّ ذلك إليها أو الدّول المجاورة لها غرار القوقاز.

لا يجب غضّ الطّرف عن دور موسكو في تحقيق الوحدة التّرابيّة لسوريا بدعمها المباشر للأسد، وفي ليبيا كذلك فهي تظهر أنها تحاول الوقوف على نفس المسافة مع أطراف الصّراع رغم دعمها غير المباشر لحفتر، لكنّها لم تنس نجل القذّافي سيف الإسلام الّذي قال عنه نائب وزير الخارجيّة "بوغدانوف" أنّه يحظى بدعم بعض القبائل في ليبيا ولا يمكن تجاهله في العمليّة السّياسيّة[1].

[1] Aron lund, Russia in the middle east, swideal institute for international affairs, February 2019, p.38.

المبحث الثاني: مقارنة إستراتيجيّة روسيا بين ليبيا وسوريا على المستوى الاقتصادي

يعتبر الاقتصاد بعدا مهمّا في إستراتيجيّة روسيا تجاه الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا، ولفهم ذلك أكثر سيتمّ المقارنة بين ليبيا وسوريا، خاصة أن دول المنطقة تشترك مع روسيا في أهم نقطة وهي اعتماد ميزانياتها على عائدات تصدير النفط والغاز. لذلك فإنّ أي تغير في سعر هذه المواد سيؤثّر على الوضع الاقتصادي للدّولة والوضع الاجتماعي للمواطنين بطريقة مباشرة وتسعى موسكو لضمان استقرار الأسعار ولن يحدث ذلك إلّا بإبقاء المنطقة ضمن أولويّاتها الإستراتيجيّة.

المطلب الأول: مقارنة استثمارات روسيا في ليبيا وسوريا

لقد أوشكت روسيا على فقدان المنطقة اقتصاديا، بخسارة شركة "روسوبرواكسبورت" (Rosoboronexport) صفقات لتصدير أسلحة بقيمة 4 مليار دولار[1]، و2,2 مليار خسرتها شركة RDZ وأيضا مسحت موسكو ديون لليبيا مقدّرة ب 4,5 مليار دولار كانت مستحقّة منذ فترة الاتّحاد السّوفياتي خلال فترة حكم القذافي مقابل تفضيل الشّركات الرّوسية وحصولها على عقود امتياز.

أمّا بالنّسبة لسوريا، فقد ارتفعت العقود العسكريّة بين الحكومتين سنة 2010 إلى 20 مليار دولار ومن جهة أخرى عجزت دمشق عن تسديد ديون بقيمة 13 مليار دولار لموسكو الّتي وافقت بموجب اتّفاق على شطب 9,8 مليار دولار مقابل صيغ تفضيلية لصالح شركاتها، وبعد 2010 أصبحت سوريا ثالث أكبر مستورد للسّلاح الرّوسي بنسبة 7% من صادرات الأسلحة[2]، لقد استطاعت موسكو في الحالتين فرض عقود استثماريّة لصالح مؤسّساتها بصيغ تفضيليّة ما يعني امتيازات أكثر وفوائد أكبر ومستقبل واعد ولكن بصيغة أفضل لصالح سوريا مقارنة بليبيا وهذا ما يعكس كيفيّة تصرّف روسيا خلال الحرب في الدّوليتين.

تتشابه الإستراتيجيّة الاقتصاديّة لموسكو في طرابلس ودمشق من حيث مجالات الاستثمار، فإعادة الإعمار خاصّة البنية التّحتية تشكّل مطمعا لكلّ الدّول بعد أن تضع الحرب أوزارها، قطاع النّفط والغاز نظرا لاعتماد روسيا هذا القطاع، ورغبتها في السّيطرة على منابع الغاز، وتمثّل كلّ من الدّولتين فرصة لتحقيق هذا الهدف الإستراتيجي، لذلك تخشى موسكو من سيطرة تنظيم الدّولة على منابع المحروقات وبيعه في السّوق السّوداء، حيث أشارت تقارير أنّ "داعش" كان يبيع ما بين 2 و3 مليون دولار يوميّا

[1]Mokhmad Akliyanov,***Russia's strategy in Libya***, Turkey, Human and social research center, 08/07/2020, p.02.

[2]مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ***فك رموز التدخل الروسي في سوريا، ماذا ستخسر موسكو؟***، تقرير صادر في: ديسمبر 2015، ص.06.

خلال سنة 2015[1]، هذا سيؤدّي إلى زيادة قوّة التّنظيم ما سيؤثّر على أمن القوّات الرّوسيّة المتواجدة في المنطقة، وتشير التّقديرات أنّ الاقتصاد السّوري خسر أكثر من 237 مليار دولار[1]، وانخفض النّاتج المحلّي الإجمالي من 70,67 مليار دولار إلى أقلّ من 33 مليار، بعد 2010[2].

تسعى سوريا وليبيا إلى جلب المستثمرين الأجانب لتجاوز الضّغوط الّتي يفرضها الوضع الأمني المتردّي، فرأس المال جبان لا يحبّ عدم الاستقرار أين ترتفع درجة المخاطرة، ومن جهة أخرى تسعى الدّولتان لتجاوز الحظر والعقوبات المفروضة عليهما، وهذه فرصة لروسيا كي تنال مكاسب تساعدها على تحقيق أهدافها، أكّده اللّقاء الّذي جمع الرّئيس السّوري بشّار الأسد بنائب رئيس الوزراء الرّوسي "يوري بوريسوف" (Yuri Borissov) ووزير الخارجيّة "لافروف" في سبتمبر 2020حسب ما ذكرته وكالة "روتيز" (reuters) وكان الغرض من هذا الاجتماع أن الأسد يريد زيادة الاستثمارات الرّوسية لمساعدة بلاده على تحمّل العقوبات الأمريكية حيث أكّد: "عزم الحكومة السّوريّة على مواصلة العمل مع الحلفاء الرّوس بغية تنفيذ الاتّفاقات الموّقعة بين البلدين بما في ذلك إنجاح الاستثمارات الرّوسيّة في سوريا"[3]، فهو يدرك تمام الإدراك أنّه يصعب عليه جلب استثمارات من دول أخرى، وهذا ما ينطبق على ليبيا سواء بالنّسبة لحفتر أو السّرّاج، وذلك للأسباب التالية:

1. تردّي الوضع الأمني، يجعل فرص الاستثمار قليلة، كما أن السّوق ستكون متذبذبة، ولا يمكن تقدير المخاطر بسبب ضبابيّة الرؤية بالنّسبة للمستثمرين.
2. ستكون الفوائد المحصّلة من الاستثمار منخفضة مقارنة بحجم المخاطرة، فلا يمكن التّنبّؤ بمآلات اقتصاد البلدين إلّا بالقدرة على التّنبّؤ بمستقبل الحرب والحكومة الّتي ستأتي بعد نهايتها، وهذا سيمنح روسيا فرصا إضافيّة لتعظيم استثماراتها في سوريا أو حتّى ليبيا.

تعتقد موسكو أنّ نظام الأسد هو الضّامن الوحيد لاستثماراتها في سوريا، باعتبار أن حوالي 70% من مواردها من العملات الأجنبيّة تأتي من قطاع النّفط والغاز، و76% من ميزانيّة الدّولة تقوم عليه[4]، أي أنّ

[1] Tim Eaton, ***comparing the war economies of Syria and Libya***, Iemed center, Report N°=150/02, 2018, p.02.

[2] محمد مجاهد الزيات، "تحولات الصراع الداخلي المسلح في سوريا"، في عبد المنعم سعيد وآخرون، مسارات متشابكة، ***إدارة الصراعات الداخلية المعقدة في الشرق الأوسط***، (القاهرة: المركز الإقليمي للدراسات الإستراتيجية، 2015)، ص.29.

[3] محمد اليمافي، سوريا تطلب مزيدا من الاستثمار الروسي بعدما اضرت عقوبات أمريكا بالاقتصاد، مقال منشور في وكالة رويترز بتاريخ 2020/09/07 على الموقع الإلكتروني:
https://www.reuters.com/article/syria-russia-fm-meeting-lands-eaz-idARAKBN25YOZD(2020/09/20)

[4] Ellement Ndidi oligie, « why russia is involved in the Syrian civil war : one issue, many view », ***relations internationales***, vol 12, no1 , (2019), p.103.

السيطرة على تدفّق الغاز والنّفط خاصّة نحو أوروبا يعتبر مسألة إستراتيجيّة لذلك يجب الحفاظ على السّوق الأوروبيّة، وضمان تبعيّتها في هذا المجال.

تمتلك روسيا استثمارات في خطّ الأنابيب ومنشأة الغاز الطّبيعي على بعد 200 كيلومتر شرق حمص[1] عكس ليبيا الّتي لا يبدو مستقبلها السّياسي مهمّا، والاهتمام الأكبر هو الحفاظ على مكتسبات موسكو واستثماراتها سواء مع السّرّاج في الغرب أو مع حفتر في الشّرق، ما قد يحمل بعض المخاطر بعد الاكتشافات الكبيرة في البحر المتوسّط بين كلّ من تركيا واليونان ولبنان والكيان الصهيوني ومصر وليبيا لذلك يجب على الكرملين تكييف خططه الاستثماريّة[2] بإعادة النّظر في أهميّة الأخيرة.

ويلعب موقع سوريا دورا بصفتها معبرا للغاز نحو أوروبا سيجعل الدّول المذكورة لا تستطيع استبعاد روسيا عن حساباتها القادمة، وخططها المستقبلية[3]، لذلك تركّز روسيا على الاستثمار في أنابيب الغاز حتّى تضمن تواجدها الدّائم في المستقبل.

3. تقوم الاستثمارات على البيئة القانونيّة والجبائيّة للدّولة وما تمنحه من تحفيزات لذلك سيكون من الصّعب الاستثمار في ليبيا وبدرجة أقلّ بكثير سوريا دون معرفة الإطار القانوني والجبائي الّذي ستقوم عليه الحكومة القادمة.

4. تتصارع العديد من الفواعل، كما لا تتمتّع الحكومات القائمة سواء في سوريا أو ليبيا بالقبول داخليّا وإقليميّا ودوليّا وحتّى عالميّا ما يصعّب جلب الاستثمارات الأجنبيّة، ويمثّل فرصة أمام روسيا لتحقيق مكاسب قد لا تكون متاحة في المراحل القادمة.

5. افتقاد الأسد للتّأييد الدّولي، وحتّى في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا فأغلب الدّول ترفض بقاءه وتسعى لإسقاطه، لذلك يستحيل عليه جلب الاستثمارات من الإقليم أو خارجه مهما قدّم من تنازلات.

تتّفق إستراتيجيّة روسيا تجاه سوريا وليبيا في تعاونها مع الطّرف الّذي سيضمن مصالح وفوائد أكبر للشّركات الروسية، لأنهّا وقّعت في السابق مع حكومة القذافي عقدا لصالح مؤسّسة سكك الحديد بقيمة 2,6 مليار دولار لربط سرت ببنغازي على طول 500 كلم، وعقود أخرى في قطاع الطّاقة بقيمة 3,5 مليار دولار، و150 مليونا في البناء، وتشير التّقديرات أنّ موسكو خسرت حوالي 10 مليار دولار بعد تدخّل النّاتو، لذلك تدعم حفتر الّذي وعد بتجديد العقود وستصل إلى 19 مليار دولار، لكنّها ناقشت الأمر

[1] Ibidem
[2] Ibid, p.104.
[3] Ibidem

نفسه مع حكومة الوفاق[1]، وهنا تكمن نقطة الاختلاف حيث تراهن موسكو على الأسد وتدعمه، بينما توزّع مفاوضاتها بين السّرّاج وحفتر وسيخضعان للمفاضلة ودليل ذلك توقيع شركة "روسفنت" عقدا مع المؤسّسة الوطنيّة للنّفط التابعة لحكومة الوفاق يمنح الأولى حقّ الاستثمار في النّفط والسّماح ببيع النّفط اللّيبي الخام[1].

ترتبط الاستثمارات الرّوسيّة في قطاع الطّاقة في ليبيا وسوريا باستراتيجيّة الهيمنة الطّاقويّة التي يفرضها الكرملين على الدّول الأوروبيّة الّتي تحاول تحقيق أمنها الطّاقوي بعيدا عن أكبر مصدّر للغاز في العالم، وبالتّالي فأينما يتواجد الغاز ستتواجد روسيا خاصة في الدّول القريبة من أوروبا. وهذه نقطة تشترك فيها ليبيا وسوريا، وتوجد نقطة اختلاف، ففي حين تمثّل الاستثمارات الرّوسيّة في قطاع النّفط اللّيبي للأسباب المذكورة تقف سوريا حاجز صدّ في وجه الخطوط القادمة من المشرق العربي والخليج المراد تمريرها عبر الأراضي السورية[2]، لذلك سيجسّد تواجد الشّركات الرّوسيّة دعما لدمشق وعينا لموسكو، وهذا من بين أسباب الصّراع الجيوطاقوي مع الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ولذلك تريد الأخيرة إسقاط الحكومة السّوريّة وإنشاء دولة كرديّة، بينما تريد الأولى عكس ذلك[3] واستمرار الوضع على ما هو عليه لأنّ قدوم حكومة موالية للغرب سيزيد عزلتها والأكثر من ذلك سيهدّد اقتصادها بصفة كبيرة.

يمثّل الاستثمار في القواعد البحريّة هدفا في إستراتيجيّة روسيا يضمن تواجدها في البحر المتوسّط ويكسر عزلتها البحريّة، لذلك تستثمر في سوريا وليبيا بما يضمن التّواجد في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا، ومنه التّواجد في ضفتي المتوسّط (شماله وجنوبه).

تتشابه ليبيا وسوريا في سعي روسيا للاستثمار في مجال النّقل البحري وانشاء موانئ تجاريّة، لكن الفرق بينهما أن الهدف تحقّق في الثانية، ومازال لم يتحقق في الأولى، رغم أنّه ليس بعيد المنال، وعلى هذا أكّد وزير النّقل السّوري علي حمّود بتاريخ 2020/04/20 أن شركة روسيّة ستقوم بتوسيع ميناء

[1]Aref Bijan, ***importance of the libyan crisis for Russia after the arab spring***, Russian international affairs council, December 13,2019, on web site : https://russiancouncil.ru/en-analysis-and-comments/columns/africanpolicy/importance-of-the-libyan-crisis-for-russia-after-arab-spring, (06/12/2020)

[2] ديب، مرجع سابق، ص.241.

[3]Oligie, op.cit, p.102.

"طرطوس" وتمّ ضخّ 500 مليون دولار لهذه العملية[1]، من ناحية أخرى أكّد " ليف دينغوف" أنّ القائد العام للجيش اللّيبي الحرّ "حفتر" طلب إنشاء قاعدة بحريّة عسكريّة في ليبيا[2].

يظهر من هاذين التصريحين اختلاف النظرة بحيث تجاوزت موسكو البعد العسكري في سوريا لتنتقل إلى القطاع الاقتصادي بينما لازالت تخطط ضمن البعد الإستراتيجي البحت في ليبيا، لكن من المؤكد أن إنشاء قاعدة بحرية عسكرية سيفتح المجال وسيؤمنه للشركات الروسية للاستثمار في مجال الموانئ البحرية، وقد أكد "لينغوف" أن العقود الاقتصادية جارية وتم تأسيس المركز التجاري الروسي–الليبي[3]. وسيكون مرفأ طرطوس بعد التوسعة قادرا على استيعاب 4 مليون طن سنويا ويصل حتى 38 مليون طن وسيصل إلى مليوني حاوية سنويا، مقارنة ب15 إلى 20 ألف حاوية حاليا[4]. وبذلك ستكون سوريا مستفيدة من حيث الديناميكية التي سيصبح عليها المرفأ سواء بالنسبة للسلع التي ستدخلها أو السلع التي تمر عبره لدول أخرى.

تخلّف الحروب عادة دمارا يمس البينة التحتية والممتلكات العامة والخاصة وهذه نقطة تشابه في الحروب على مر التاريخ، وليبيا وسوريا ليستا استثناء، من هذا المنطلق تستهدف روسيا المشاريع المتعلقة بإعادة الإعمار، أين عبر نائب رئيس الحكومة الروسي "ديميتري روفوزين" خلال أعمال الدورة العاشرة للجنة الحكومية السورية الروسية المشتركة للتعاون الاقتصادي التجاري والعلمي الفني، عن إصرار بلاده على مساعدة دمشق على إعادة الإعمار بقوله: "إن الشركات الروسية ستباشر عملها في إعادة إعمار سورية بعد أن تم التوصل إيجابية إلى اتفاقات محددة"[5]. وقدرت الأمم المتحدة الأمريكية تكلفة إعادة إعمار سوريا حتى سنة 2018 بحوالي 400 مليار دولار[6].

---

[1] وزير النقل: عقد استثمار مرفأ طرطوس مع الجانب الروسي، وكالة الأنباء السورية 2020/04/20، على الموقع الالكتروني: http://sana.sy/?p=938626 (25/04/2020)

[2] أحمد جمعة، ***ليف دينغوف لليوم السابع: "حفتر والسراج ناشدوا استئناف العقود العسكرية الموقعة في عهد القذافي"***، حوار نشر بتاريخ 18 فيفري 2018 على الموقع الالكتروني:

https://www.youm7.com/story/2018/2/18 (22/01/2019)

[3] المكان نفسه

[4] وزير النقل: ...، مرجع سابق

[5] المعلم: بناء قاعدة صلبة من التعاون الاستراتيجي في المجال الاقتصادي بين سورية وروسيا، زوغوزين: مصممون على مساعدة سورية في إحياء اقتصادها، الجمهورية العربية السورية، وزارة الخارجية والمغتربون، على الموقع الالكتروني:

http://mofa.gov.sy/ar/news/596/(21/12/2020)

[6] هيئة الأمم المتحدة، الاسكوا (Escwa)، وحدة الاتصال والإعلام، ***قصاصات صحفية***، نيويورك، 2018/08/10، ص.06.

تشير التقديرات أنه منذ 2010 حتى 2017 قد دمرت 50% من المستشفيات في سوريا، و40% من المرافق المدرسية، وحوالي 70% من مجمل السوريين ليس لهم القدرة على الوصول إلى المياه النظيفة[1].

تطمح روسيا للفوز بمشاريع إعادة الإعمار ويمكنها استغلال اليد العاملة بعد عودة اللاجئين الذين سيكونون بحاجة للعمل، يدعمها النظام السوري الذي أكد من خلال رئيس الوزراء "خميس" بأن بلاده لا تقبل الانخراط الأجنبي في إعادة الإعمار باستثناء الدول التي وقفت معهم بقوله: "فرص استثمارية ستمنح للبلدان التي وقفت في سوريا"[2].

بينما اختلفت التقديرات لإعادة إعمار ليبيا بين 100 و200 مليار دولار، هذا ما يبين أن فرص الاستثمار في سوريا أكبر، كون الأسد مازال في الحكم عكس ليبيا التي لم يتضح فيها الرئيس القادم كما أن المبلغ المقدر لإعادة إعمارها سيصل إلى نصف مبلغ إعمار سوريا، وهو ما يوضح أكثر أهمية دمشق حتى بالنسبة للقوى الإقليمية والدولية، فحجم الدمار برهن على حجم وشدة الحرب، وفي نقطة أخرى لا تستطيع موسكو استغلال العمال الليبيين مثلما ستفعله مع السوريين خاصة العائدين منهم، لكنها يمكن أن تستغل ورقة أكثر فاعلية تتمثل في المهاجرين الأفارقة ذوي البنية المورفولوجية القوية التي تساعدهم على الأعمال الصعبة.

تهدف روسيا إلى تكوين مصادر تمويل إعادة الإعمار بمصادر متنوعة، بما فيها دول المنطقة نفسها كالإمارات والسعودية[3]، إلا أنه سيكون من الصعب نيل مرادها في حال بقاء الأسد، وعلى الطرف فإنّ هذا الهدف ليس بنفس الصّعوبة في ليبيا أين تتفق مع الإمارات بشأن حفتر.

[1] Faysal Itani and Tobias Schider ,***rebuilding Syria***, part1 , report atlantic council policy, december 2017, p.00.
[2]Muriel Asseburg, ***Reconstruction in Syria challanges and policy options for the eu and its member state***, Germany, German institute for international and security affairs , july2020,p.12.
[3] Andrey Kortonov and Joost Hilterman, ***squaring the cirale : Russian and european views on Syrian reconstruction***, report N°=48/2019 international affairs council , june 5,2019.

جدول رقم 07 يوضح أوجه التشابه والاختلاف بين الاستثمارات الروسية في ليبيا وسوريا

أوجه التشابه	أوجه الاختلاف
– تعويض الخسائر المادية التي تكبدتها روسيا في الحرب.	ترى موسكو أن الضامن الوحيد لاستثماراتها هو الأسد في سوريا، بينما لا يتمتع حفتر بنفس الثقة فيمكن للسراج أن يحقق هذه المصلحة أيضا.
– تتشابه الاستثمارات الروسية في كل من ليبيا وسوريا حيث ترتكز بشكل كبير على قطاعات الطاقة والتنقيب وإعادة الإعمار والمشاريع البنية التحتية.	– تستثمر روسيا في ليبيا من أجل السيطرة على الغاز لكنها تستثمر في سوريا بالإضافة إلى السّيطرة على معابر الغاز فإنها تشكل حاجزا أمام الغاز الخليجي نحو أوروبا.
– تستثمر روسيا في الدولتين للتخفيف من حدة العقوبات المفروضة عليها، هي نفس الرؤية لليبيا وسوريا اللتين تسعيان لتجاوز العقوبات أيضا.	– تختلف إعادة الإعمار في سوريا عن ليبيا حيث تمثل الأولى ضعف الثانية، وبالتالي سيكون الترتيب نفسه في قائمة الأولويات الاستثمارية الروسية.

المطلب الثاني: مقارنة التبادل التجاري لروسيا مع سوريا وليبيا

تستخدم روسيا التبادل التجاري كمؤشر لمدى تحقيقها الأهداف الاقتصادية المسطرة ضمن إستراتيجيتها في المنطقة وسيتم مقارنة التبادل التجاري لروسيا مع كل من ليبيا وسوريا. ويرتبط النشاط الاقتصادي لموسكو بالموارد المتاحة اعتمادا على طريقتين:[1]

– الأولى: عندما لا تكبح الضغوط الاقتصادية أنشطتها خارج حدودها، ما ينعكس على الوضع الاقتصادي للدولة عامة.

[1]Wasser, op.cit, p.04.

– الثانية: عندما تعاني قوى دولية وإقليمية من عثرات في المنطقة، ما يفسح المجال أمام روسيا للتمدد، وهذا يؤدي إلى زيادة الطلب على سلعها والخدمات التي تقدمها.

تشير الإحصائيات إلى أن التبادل التجاري بين روسيا ودول المنطقة لا يمثل سوى 5,46% من إجمالي المعاملات التجارية حسب إحصائيات 2017، بحيث جاءت سوريا في المرتبة العاشرة بينما حلت ليبيا في المرتبة العشرين[1]، ورغم الاهتمام التي تبديه موسكو تجاها إلا أن تجارتها في المنطقة لا تزال ضئيلة جدا[2] نظرا للفرص والإمكانات التي تطرحها المنطقة بصفتها سوقا استهلاكية كبيرة. يبين الجدول التالي قيمة المبادلات التجارية مع كل من ليبيا وسوريا:

جدول رقم 08 يوضح المبادلات التجارية بين مل من روسيا وسوريا من جهة وروسيا وليبيا من جهة أخرى

	السنوات / مليون دولار																			
	2010		2011		2012		2013		2014		2015		2016		2017		2018		2019	
	ص	و	ص	و	ص	و	ص	و	ص	و	ص	و	ص	و	ص	و	ص	و	ص	و
ليبيا	382,38	473,59	149,78	21436	479,56	505,89	361	723,75	163,33	508,98	89,52	440,22	74,23	232,23	144,43	304,31	227	0,014	157,32	0,006
سوريا	276,19	460,28	237,34	546,83	34,86	331,91	64,75	152,01	49,64	175,6	34,64	131,05	36,69	117,94	38,85	151,01	228	4,04	157,32	5,26

المصدر: تصميم شخصي للباحث بالاعتماد على معلومات البنك الدولي ومرصد التعقيد الاقتصادي*

[1]Michel Haas ad others, « strategic trends 2019 key developements in global affairs », in Jack Thompson and Olivier Thranet.
[2]Lisa Watanabe, « Russia's renaissance in the arab world » in Michel Haas and others, ***strategic trends 2019 key developements in global affairs***, (Switzerland : center of sécurity studies, 2019), p.69.

* مرصد التعقيد الاقتصادي (Observatory of Economic complexity) (OEC) عبارة عن منصة لعرض البيانات وتوزيعها عبر الانترنت، لمزيد من المعلومات يرجى زيارة الموقع الإلكتروني:

يقدّم الجدول بيانات حول قيمة صادرات روسيا نحو ليبيا أين بلغت 382,38 مليون دولار سنة 2010 وانخفض بأكثر من النصف سنة 2011 بلغ 149,78 مليون والمثير للانتباه أنه ازداد بأكثر من الضعف خلال سنة 2012، وانخفض سنة 2013 وعاود الارتفاع سنة 2014 ثم انخفض ثانية سنة 2015 واستمر بالانخفاض خلال 2016، لكنه ارتفع مجددا سنة 2017 واستمر بالارتفاع سنة 2018 وانخفض سنة 2019، وبذلك يظهر نقص ثبات وتغير التجارة البينية.

يعتبر نقص الاستقرار السياسي من بين العوامل التي أدت إلى ذلك، والملاحظ أن الأرقام المذكورة سلفا في الجدول تبين أهمية ليبيا بالنسبة لروسيا رغم الغموض ونقص الرؤية التي تؤدي إلى مغامرة في المستقبل وتصعّب التنبؤ به. وأما صادرات ليبيا نحو روسيا فهي لا تقل تذبذبا، إذ تتراوح بين الارتفاع والانخفاض من 473,59 مليون دولار سنة 2010 إلى 214,36 سنة 2011 ثم ارتفع إلى 589,50 سنة 2012 واستقر الارتفاع سنة 2013 وانخفض سنة 2014 واستمر في الانخفاض في سنتي 2015 و2016 وارتفع سنة 2017، لكن صادرات ليبيا نحو روسيا أصابها انخفاض كبير جدا سنتي 2018 و2019، فلم تتجاوز 140000 دولار في الأولى و60000 في الثانية.

ومن خلال ما تمّ تقديمه يمكن ملاحظة مايلي:

1. تراجعت المبادلات التجارية بين البلدين بين 2010 و2019، يرجع ذلك لتناقص الاستقرار الأمني والسياسي في ليبيا، والتركيز على الجوانب الإستراتيجية والعسكرية عوض المسائل الاقتصادية.
2. تحول الميزان التجاري بين الدولتين من فائض لصالح ليبيا سنة 2010 ب 91,21 مليون دولار إلى 157,26 مليون دولار فائض لصالح روسيا سنة 2019.
3. يبدو من خلال الأرقام المقدمة أن المصالح الروسية في ليبيا ليست تجارية، نظرا لقيمة مبالغ المبادلات التجارية، وهذا يعني أن إستراتيجية روسيا قائمة على حماية مصالح موسكو الأخرى جيواستراتيجيا، وجيوطاقويا، فيمكن أن تكون ليبيا بوابة روسيا نحو إفريقيا.

بلغت صادرات روسيا نحو سوريا 382,38 مليون دولار سنة 2010 وانخفضت سنة 2011 إلى 149,78 لكنها ارتفعت من جديد سنة 2012، ثم عاودت الانخفاض سنة 2013 إلى 361 مليون دولار واستمرت بالانخفاض خلال 2014 و2015 و2016 وارتفعت سنة 2017 إلى 144,43 مليون دولار وواصلت الارتفاع في 2018 و2019 لتبلغ 157,32 مليونا.

https://oec.world/en/resources/about, (20.12.2021)

أما بالنسبة لصادرات سوريا نحو روسيا فقد بلغت 460,28 سنة 2010 وارتفعت في 2011 لتبلغ 546,83 مليون، لكنها انخفضت في 2012 لتبلغ 191,33 مليون واستمرت في الانخفاض حتى بلغت 5,26 مليون سنة 2019، وبالتالي يمكن ملاحظة النقاط التالية:

1. تذبذب المبادلات التجارية بين الدولتين، يرجع ذلك لنقص الاستقرار الذي تشهده سوريا.
2. استطاعت روسيا ان تحول ميزانها التجاري مع سوريا من عجز في 2010 إلى فائض في 2019.

وبعد المقارنة بين المبادلات التجارية مع ليبيا وسوريا تم التوصل إلى ما يلي:

- تقارب قيمة المبادلات التجارية مع كل من ليبيا وسوريا، مع تفوق طفيف للأولى من حيث المبالغ، لكن الثانية تفوقت في الميزان التجاري مع روسيا.
- استطاعت روسيا تحويل المبادلات التجارية مع ليبيا وسوريا من عجز سنة 2010 إلى فائض سنة 2019.
- لعب الاستقرار السياسي والأمني بليبيا وسوريا دورا في تذبذب المبادلات التجارية مع روسيا.
- يظهر بوضوح أن أهداف موسكو في ليبيا وسوريا لا تتعلق كثيرا بالمبادلات التجارية بقدر ما تتعلق بمشروع إستراتيجي تكون فيه مسائل أخرى ذات أولوية مثل تأمين سوق الطاقة الروسية، والتواجد في البحر الأبيض المتوسط.

جدول 09 يقارن المبادلات التجارية بين ليبيا وسوريا

أوجه التشابه	أوجه الاختلاف
– لا تمثل المبادلات التجارية مع الدولتين أولوية بالنسبة لروسيا. – تسعى روسيا للحفاظ على فائض في ميزانها التجاري مع الدولتين. – يدخل عامل الاستقرار بشكل كبير في التأثير على قيمة المبادلات التجارية مع ليبيا وسوريا. – لا تشكل المبادلات التجارية أساس العلاقات الروسية الليبية والروسية السورية.	– انخفضت قيمة صادرات ليبيا نحو روسيا بشكل كبير بينما بدت أقل انخفاضا بالنسبة للصادرات السورية. – تدل البيانات المقدمة أن صادرات روسيا نحو سوريا أكثر ارتفاعا من تلك الموجهة نحو ليبيا. – تبدو المبادلات الروسية الليبية أكثر ارتفاعا وانخفاضا من المبادلات الروسية السورية.

المطلب الثالث: الاقتصاد الروسي في ليبيا وسوريا

يمثل نجاح موسكو لضمان استثمارات مستقبلية في ليبيا وسوريا نقطة مشتركة بينهما، فقد منحت الحكومة السورية عقد امتياز لشركة "ستروي ترانس غاز" (Stroy Transgaz) الروسية لاستخراج وبيع 2,2 مليون طن من الفوسفات سنويا، مع تخصيص 30% من الإيرادات لسوريا حتى سنة 2050[1]، كما ضمنت استثمارات في ليبيا على المدى الطويل سواء مع حفتر الذي وعد بتجديد العقود التي كانت مبرمجة مع حكومة القذافي، وتوقيع المؤسسة الوطنية للنفط الموالية لحكومة الوفاق، عقدا مع شركة "روسفنت" (Rosfent) الروسية يمنحها حق الاستثمار في النفط والسماح ببيعه[2].

هذا يتيح الفرصة لروسيا ضمان التواجد في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، خلال الثلاثين سنة القادمة على الأقل، ومع ذلك يبقى استقرار المنطقة شرطا لضمان عوائد أكبر من الاستثمارات، إلا أن الأوضاع والبيئة لا تبشر بقرب انتهاء الحرب في سوريا وليبيا، وبالتالي ستضع موسكو مزيدا من الأموال لضمان تأمين شركاتها، ويمثّل التخوف من الاستثمار في إطار ضبابية المستقبل عائقا أمام الشركات لن تستثمر باستثناء الشركات الكبرى.

تستهلك أوروبا 30% من النفط الروسي، و50% من غازها الطبيعي وإذا استمرت الأوضاع على ماهي عليه في المنطقة سيصل تموين أوروبا ب 80% بحلول عام 2030[3]. وستدخل ليبيا وسوريا ضمن هذه الإستراتيجية، فالغاز المصدر إلى أوروبا ليس بالضرورة أن يكون من روسيا، بل قد تكون سيطرتها على منابعه خاصة بعد الاكتشافات الجديدة في البحر المتوسط لحقول الغاز، وحصول موسكو على عقد طويل الأمد للاستثمار في خطوط أنابيب الغاز والنفط الحالية والمستقبلية لصالح مؤسسات مثل: "غازبروم نيفت" (Gaz promoneft)، "لوك أويل" (Lokoil)، و"أس تي اينرجينغ" (ST energing)[4].

تضمن الاستثمارات طويلة الأجل موطئ قدم روسيا في المنطقة عامة وخاصة سوريا وليبيا، وبعد الاكتشافات الجديدة في البحر المتوسط ستصبح سوق الغاز الروسية مهددة، ثم إن رفع العقوبات عن إيران بعد مجيء إدارة جديدة من الديموقراطيين في الولايات المتحدة الأمريكية سيعقد الأمر أكثر، كون

[1] Siman Hathet, ***Russia and Iran : economic influence in Syria***, chaltman house, The royal institute of international affairs, March 2019, p.04.
[2] Bijan, op.cit
[3] R.craig Nation, « US interest in the new eurassia » in r.craig.nation and Dmitri ternin ,***Russian security strategy under putin : US.interests in the new eurassia***, (USA : Strategic studies institute, 2017), p.08.
[4] Hathet, op.cit, p.12.

إيران تمتلك احتياطيا يقدر ب 16 ترليون م^3 ولن ينضب قبل 2070[1]، أي أن إستراتيجية روسيا لابد أن تضع في الحسبان ما بعد هذا التاريخ.

وإذا كانت سوريا بوابة الاستثمارات الروسية في الشرق الأوسط فإن ليبيا هي بوابة إفريقيا عبر دول الساحل والصحراء، لذلك ستسعى موسكو لتعزيز استثماراتها في حدود 2025، وترقية استثماراتها البحرية في ميناء "طرطوس" والقاعدة الجوية "حميميم" على مدى 49 سنة[2] التي استخدمها المجال الاقتصادي وحده بل تتعداه لمجالات أخرى واستغلال ليبيا لتوسيع مصالحها في إفريقيا بصفة عامة وذلك في حدود 2030.[3]

سيرتبط مستقبل الاستثمارات الروسية بمستقبل الحرب في ليبيا وسوريا، فتطور الأوضاع نحو الأسوأ قد يضع موسكو في موقف صعب، وكثرة المتغيرات والأحداث وتدفق المعلومات جرّاء تسارع العمليات الميدانية تعقد النظرة المستقبلية ويصعب استشراف البيئة الاقتصادية والاستثمارية.

يتوقع الكرملين انكماشا اقتصاديا ما بعد 2020 لذلك يجب تدارك الاختلالات بإيجاد استثمارات جديدة، وستبدأ بوادر النجاح أو الفشل ما بين 2020 و2025[4]، وسيكون التدخل في ليبيا وسوريا هو مؤشر ذلك.

يمكن الانتقال بعد ذلك من التفكير في المدى القصير إلى المدى المتوسط والطويل، وستواصل روسيا فرض منطقها للحصول على امتيازات واستثمارات جديدة ، خاصة بعد نجاحها في سوريا وليبيا ولحد الآن (2021). تبدو استراتيجيتها فعالة وفي الطريق الصحيح وستوسع دائرة نفوذها وستزيد استثماراتها بحلول سنة 2025[5]، بالمقابل يجب عليها ان تكون مستعدة للدفاع عن مكاسبها والحفاظ على ما وصلت إليه، ويجب ان تضع في الحسبان ما حدث لاستثماراتها مع نظام القذافي بعد إسقاطه، فمن الممكن أن يحدث ذلك مع الأسد –ولو بنسبة ضئيلة– ففي حال إسقاطه سيصيب استثماراتها مثل أصابها في ليبيا وتخسر مكانتها في المنطقة بأكملها. سيؤدي ضمان روسيا استثمارات إلى انتشارها نحو باقي دول المنطقة، لكن يجب الأخذ في الحسبان كل السيناريوهات المحتملة بعد قرابة 10 سنوات من بداية الحراك الشعبي وتطور الأمور إلى حرب دولية خاصة في سوريا وليبيا.

---

[1] ديب، مرجع سابق، ص.248.

[2] Stephen Blank, ***Russia's Middle eastern position in 2025*** , the james town founation, november 20, 2018. On web site : https://jamestown.org/program/russias-middle-eastern-position-in-2015/ (20/12/2020)

[3] Blank, **Russia's..** ,karasik, op.cit, p.367.

[4] Vladislav Inozentsev and Yulia Zhuchkava, ***the future***.., op.cit, p.29.

[5] Blank, ***Russia's..***, op.cit, p.371.

تقوم الاستثمارات الروسية في ليبيا وسوريا على قطاع أكثر أهمية من القطاعات الأخرى هو قطاع النفط والغاز، ويبدو انه سيكون كذلك في باقي دول المنطقة، لكن على الكرملين أن يضع في حسبانه نضوب هذه الموارد الطبيعية على أقصى تقدير خلال المئة سنة القادمة، والابتعاد التدريجي للاقتصاد العالمي عن الوقود الأحفوري والبحث عن مصادر جديدة تكون أقل تكلفة وأكثر استدامة، وتقلل من التبعية في مجال الطاقة.

وقد خلصت دراسة مشروع (MINARA) (Middle East North Africa Regional Architecture) هندسة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا الإقليمية، تحت عنوان: تصور مستقبل الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (Imagining future for the middle East and North Africa) بتاريخ 02 مارس 2019، بعد إجراء تقنية دلفي مع 71 خبير من المنطقة، إلى أن الطلب العالمي على الطاقة سيبدأ في التباطؤ في حدود 2025 ما سيؤدي إلى مزيد من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة[1]. لذلك يجب على روسيا التفكير في مرحلة ما بعد النفط والغاز، وتنوع استثماراتها في ليبيا وسوريا، لأن تحول العالم نحو الطاقة المتجددة سيحول موسكو من مصدر للطاقة إلى مستورد، بسبب ظروفها المناخية خاصة ما يتعلق بالطاقة الشمسية.

ستكون ليبيا وسوريا مركز مستقبل الاستثمارات الروسية في المنطقة، ولتجاوز العقوبات والتحايل عليها التقليل منها في المستقبل[2]. وإذا ما نجحت استراتيجية موسكو في الدولتين ستمهد إلى نفوذ أكثر وأكبر وبالمقابل ستنجح في جلب رؤوس الأموال الخليجية من أجل صفقات واستثمارات مع صناديق الثروة السيادية لهذه الدول (SWFs) (Sovereign Wealth Funds)[3]، ما سيرفع الحصار وسيكون المستقبل كفيلا بكشف نجاح أو فشل الإستراتيجية لأن نسبة المخاطرة مرتفعة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بسبب الوضع الأمني، ولكن هذه النسبة لا تقل في روسيا بسبب العقوبات المفروضة عليها من طرف الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي.

يمكن أن يؤثر فشل الاستثمارات الروسية في المستقبل على أوضاعها الاقتصادية الداخلية ما سيؤدي إلى تقليص دورها في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا عموما وفي ليبيا وسوريا خاصة[2]، وقد اعترف بذلك "أندريه كورتونوف" (Andrey Korthnov) المدير العام لمجلس الشؤون الدولية الروسي أن بلاده تستطيع

[1] Edgan Güll and others, ***imaging future(s) for the Middle East and North Africa***, european union, MENERA project, report 09/03/2019, pp.01-18.
[2] Becca wasser, ***The limits of Russian strategy in the middle east*** , USA, RAND coporation , november 2016, p.06.
[3] Ibid, p.07.

مساعدة حلفائها على الانتصار لكنها لا تستطيع فرض سيطرتها على الاقتصاد والاستثمارات وتفوز بها أطراف أخرى كالاتحاد الأوروبي ودول الخليج، ما سيجعل روسيا تعاني في المستقبل والأخذبعين الاعتبار أنّ اللعبة ليست فردية أو خاصة، إنما هي لعبة جماعية تقوم على التعاون والاتفاق والتنسيق أو التنافس والنزاع، ويقول في هذا الصدد خلال مقابلة مع صحيفة "أزفيستيا" الروسية متحدثا عن مستقبل بلاده في المنطقة أنه: "يظهر التاريخ أن روسيا تفوز أحيانا بالحرب، لكنها تخسر السلم"[1] في إشارة إلى بلاده تستطيع حسم الحرب عسكريا، لكنها لا تستطيع المحافظة على المكتسبات. وأضاف:" وهذا يعني أن روسيا تساعد على الانتصار، لكن عندما يتعلق الأمر بتطوير الاقتصاد يأتي شركاء آخرون ويفوزون"[2]. وذلك ما سيشكل خطرا على مستقبل تواجد موسكو، كما أن مساهمتها في تشكيل الحكومات قد يؤدي إلى تغيرات على البنية المجتمعية نظرا لخصوصية ليبيا القبلية وسوريا الطائفية والقبلية في الوقت نفسه ما سيؤدي إلى صراعات أكثر تعقيدا قد يطول حلها.

تتطلع روسيا إلى مستقبل أفضل لاستثماراتها المتعلقة بإعادة إعمار ليبيا وسوريا، وتطمح إلى أن تكون مصادر التمويل متنوعة حتى من دول المنطقة نفسها كالإمارات والسعودية[3]، وفي هذه النقطة تتفق مع دول الاتحاد الأوروبي في ضرورة عودة السوريين إلى بلادهم، وبناء الدولة في ليبيا للحد من تفشي ظاهرة الهجرة غير الشرعية عبرها، وستكون ملفات حفتر والسراج والأسد أكبر عوائق في تحقيق التوافق بين جميع الأطراف،

[1] ксения погчнова, когданастчмит 3арта :что будет делать россия сирии после окончания войны, и3вестия, 13/09/2020 كيسينا لوجينوفا، عندما يأتي الغد: ماذا ستفعل روسيا في سوريا، جريدة إزفيستيا، 2020/09/13 على الرابط:
https://iz.ru/1059721/kseniia-loginova/kogda-nastupit-zavtra-chto-budet-delat-rossiia-v-sirii-posle-okonchaniia-voiny (29/12/2020)

[3] Andrey Kortumov and joost hilterman, ***squaring the circle : Russian and european views on Syrian reconstruction***, report n=°48/2019, Russian international affairs council, june5 ,2019.

جدول رقم 10 يبين أوجه التشابه والاختلاف مستقبل استثمارات روسيا في ليبيا وسوريا

أوجه التشابه	أوجه الاختلاف
– تمثل كل من الدولتين فرصة روسيا لضمان استثمارات في المستقبل. – تسعى روسيا للاستثمار مستقبلا في القطاعات التالية: • النفط والغاز والمواد الأولية. • إعادة الإعمار. • البنى التحتية. – ضمان الاستقرار السياسي وانهاء الحرب لصالح روسيا سيزيد من فرص استثماراتها في المستقبل. – الاستثمار في قطاع النفط والغاز يحقق أهداف روسيا لضمان تبعية أوروبا وضمان استقرار أسعار الغاز خاصة. – تعتبر الاستثمارات الروسية في ليبيا وسوريا موطئ قدم تنتقل من خلالها بباقي دول المنطقة. – تدهور الأوضاع الأمنية في ليبيا وسوريا يرفع نسبة المخاطرة بالنسبة للاستثمارات الروسية. – نجاح الاستثمارات الروسية في ليبيا وسوريا يساعد على انتشارها في باقي المنطقة. – تعتمد موسكو على ليبيا وسوريا للتخفيف من شدة العقوبات الغربية المفروضة عليها.	– تستهدف روسيا منطقة الشرق الأوسط من خلال الاستثمار في سوريا بينما تعتبر ليبيا بوابة لإفريقيا عبر دول الساحل والصحراء. – تطل موسكو من خلال سوريا على شمال البحر الأبيض المتوسط بينما تطل على جنوبه من خلال ليبيا. – تستثمر روسيا مع الأسد في سوريا بينما توزع عقودها في ليبيا بين السراج وحفتر، فهي لا تريد وضع كل البيض في سلة واحدة. – إمكانية استغلال ملف اللاجئين السوريين للضغط على دول أوروبا من أجل المساهمة في إعادة إعمار أوروبا، كما يمكن استغلال القائدين للعمل في ورشات البناء من أجل تخفيض التكاليف، لكن ذلك لن يكون ممكنا مع الليبيين الذين لا يعملون في هذه المهن، لكن موسكو يمكنها تعويض ذلك عن طريق المهاجرين الأفارقة عبر ليبيا أو المصريين.

المصدر: تصميم شخصي للباحث.

يتوقع المشروع الذي أعدته وزارة المالية تحت عنوان توقعات ميزانية الاتحاد الروسي للفترة حتى عام 2036 توقعات بنمو الاستثمارات الروسية على المستويين الداخلي والخارجي إلى 26,4% من الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة 2027–2031 و26,8% ما بين 2032–2036، لكنه مع ذلك ستباطؤنموه خلال الفترة الممتدة من 2020 إلى 2036 من 7,6% إلى 3% سنة 2036[1]. ولا يمكن

[1]Российской Федерации, Министерство финансов, БЮДЖЕТНЫЙ ПРОГНОЗ РОССИЙСКОЙ ФЕДЕРАЦИИ НА ПЕРИОД ДО 2036 ГОДА,Москва, 2019 , с.27.

الاتّحاد الرّوسي، وزارة المالية،توقعات ميزانية الاتحاد الروسي للفترة حتى عام 2036، موسكو، 2019، ص.27.

وضعتصورات مستقبلية للميزانية دون الأخذ بعين الاعتبار المؤثرات الداخلية والخارجية التي تدخل نزاعات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في صلبها وعلى رأسها الحرب في سوريا وليبيا.

المبحث الثالث: مقارنة استراتيجية روسيا تجاه ليبيا وسوريا على المستوى العسكري

تعتمد روسيا على قوتها العسكرية، اذ يلعب البعد العسكري دورا مهما في تفعيل استراتيجيتها، وليس اليوم فقط، بل عبر التاريخ، فقد كان العامل العسكري هو المحدد الأساس لحضورها في الأحداث الكبرى ومساهمتها في صياغة النظام الدولي وميزان القوى، واستغلت أحداث الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لإعادة فرض تواجدها بصفتها قوة عظمى، وسيتم من خلال هذا المبحث التطرق إلى مقارنة العامل العسكري بين ليبيا وسوريا.

ولموسكو تبريراتها لتدخلاتها العسكرية في ليبيا وسوريا، حيث أدت عودة بوتين إلى السلطة إلى استعادة الرغبة في التواجد بالمنطقة، وقد بدى واضحا من خلال خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السبعين سنة 2015، ترجمه ما جاء في وثيقة الأمن القومي الصادرة في السنة نفسها، أين عبر الكرملين عن تخوفه من التدخلات العسكرية التي ستؤدي إلى إرساء مبدأ القوة في التغيير.

المطلب الأول: مقارنة التدخل العسكري الروسي في ليبيا وسوريا

جاء التدخل العسكري الروسي في سوريا بعد ان تمت الإطاحة بالقذافي في ليبيا، خاصة بعد الخلاف الذي ظهر "بوتين" و"ميدفيديف" بشأنها بالإضافة إلى الخسائر التي لحقت بالاستثمارات الروسية، ما هدد فرص لعودة قوية للمنطقة. لذلك لم تستطع موسكو تحمل هزيمة أخرى في سوريا واستفادت من الدروس المستفاد من الحالة الليبية. كما أن دمشق حليف استراتيجي أكثر أهمية من طرابلس، نظرا للعلاقات التاريخية ومكانتها في النظام الإقليمي.[1]كما أن الفئة العلوية الحاكمة في سوريا تتمتع بدعم إيران حليف موسكو القوي في المنطقة لذلك لا يمكن السماح بسقوط الأسد. وما يمكن ملاحظته وجود تباين بين استراتيجيي الكرملين، فالظاهر ان هناك مجموعة ترى ضرورة معاملة المنطقة بصفة موحدة بسبب التشابه الكبير بين دولها مع بعض الاختلافات التي يمكن أخذها بالحسبان، ومجموعة أخرى ترى بضرورة التعامل مع كل من دولة المنطقة لوحدها، بالرغم من ذلك تبدو موسكو أكثر ثباتا في موقفها من الأسد في حين لم تحسمه في ليبيا ومع ذلك تسعى لضمان مصالحها وتواجدها هناك.

[1]László poti, ***Russian policies towards the MENA region*** , European union's horizon 2020 research and innovation programme, working paper 2018, p.11.

ويأتي تدخل روسيا عسكريا في ليبيا وسوريا بناء على التخوف من التهديدات التي قد يشكلها النزاع في الدولتين، فالتطرف والإرهاب أهم هذه التهديدات التي تتخوف من انتقالها لأفغانستان والشيشان ومنها إلى داخل الحدود الروسية[1] فحجة موسكو في ذلك مواجهة الإرهاب الذي انتشر في سوريا وليبيا وبدأت الضربات الجوية في سبتمبر 2015، أين اعتبر "بوتين" أنّ " المسلمين الذين يخضعون للتلقين الإيديولوجي والتدريب العسكري من قبل داعش يأتون من العديد من دول العالم، بما في ذلك روسيا ودول الاتحاد السوفياتي سابقا"[2]، وهذه نقطة تشابه بين سوريا وليبيا لكن نقطة الاختلاف بينهما في أن التدخل في الأولى كان عسكريا مباشرا، بينما ترفض الاعتراف بالتدخل في الثانية، بالرغم من وجود عدة دلائل على غرار زيارات حفتر المتكررة إلى موسكو، أو اللقاءات الافتراضية مع وزير الدفاع الروسي "شويغو" الذي لم تتدخل بلاده بشكل مباشر لكنها تتدخل عن طريق القوات الخاصة وشركات الأمن.

وقد نشرت وزارة الدفاع الأمريكية بتاريخ 13 جويلية 2020 صورا من الأقمار الصناعية لتحركات طائرات نقل وسوخوي (SV 24)، ومضادات طيران نسبتها لمجموعة "فاغنر"[*] (Vagner) الروسية، وتظهر تقارير القيادة الأمريكية في إفريقيا نشاطا متزايدا لهذه القوات ومعداتها على الخطوط الأمامية للصراع الليبي في سرت، وهذا ما أكده مدير العمليات في أفريكوم "برادفورد جيرينغ" (Bradford Gering): "تواصل روسيا لعب دور غير مفيد لليبيا من خلال تسليم الامدادات والمعدات لمجموعة "فاغنر" واتهمت القيادة روسيا بنقل 14 طائرة SV29 على الأقل إلى سوريا، وطمس الأدلة لتمويه أصلها ومكان قدومها ثم نقلها جوا إلى ليبيا وذلك في ماي 2020[3].

وتتواجد مجموعة "فاغنر" أيضا في سوريا، ويمكن ملاحظة ازدياد أهمية ليبيا بالنسبة للكرملين بعد قيام هذه المجموعة بالانتقال من سوريا نحو ليبيا. ولم يقتصر الأمر عليها وحسب، بل تعداه لإرسال مقاتلين سوريين، على غرار وحدة "صائدو داعش"[4]، بهدف مواجهة الإرهاب وتجفيف منابع تمويل التنظيمات

---

[1] Trenin, op.cit, p.04.

[2] Hanna Notte, Russia's role in the syrian war-domestic drivers and regional implications, maison du futur, policy paper n°=28, january 2017, p.15.

[*] شركة عسكرية خاصة تقوم بعمليات مأجورة في عدة دول من العالم على غرار سوريا وليبيا، وتشير تقارير أنها مملوكة لرجل الأعمار الروسي "يفغيني بريغوزين" (Evgeny prigozlin) الذي يطلق عليه اسم طباخ بوتين (putin's chef) لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على الموقع الإلكتروني:

https://meduza.io/en/feature/2020/12/03/guys-you-re-destined-for-war(2020/12/04)

[3] US dept of defense, ***Russia, wagner groupe continue military involvement in Libya***, July 24, 2020 , on web site : https://www.defense.gov/Explore/News/Article/Article/2287821/russia-wagner-group-continue-military-involvement-in-libya/#pop4394597(29/07/2020)

[4] "فاليري لفيمانوف"، "يا رفاق،انتم متجهون للحرب"، مقاتل من مجموعة المرتزقة الروسية المرتبط "بطاهي بوتين" يمنح ميدوزا أول مقابلة من نوعها، جريدة ميدوزا، 2020/12/10

الإرهابية، ولم يكن التدخل إيجابيا دائما –بالرغم من محاولة الكرملين تلميع صورته – فقد انتشرت مقولة الشعب الروسي والجنود على حد سواء مفادها: "إرثنا الوحيد الذي انتقل من نظام لآخر إخفاء الحقيقة عن أنفسنا"[3].

جاء التدخل الروسي في سوريا بعد أن شارف نظام الأسد على السقوط إثر الهزائم المتكررة التي طالته ميدانيا، ودعمت الطرف الذي ترى فيه حليفا مستقبليا في ليبيا "حفتر"، وقد قامت القوات الروسية بتوسيع مدارج القاعدة الجوية "حميميم" (باسل الأسد) وتأهيلها لاستقبال طائرات الشحن التي بدأت رحلاتها تأخذ شكلا متعاظما بشكل يومي، بما فيها من قوات خاصة وتدخل سريع، خبراء ومدربين ومستشارين[1]. في المقابل تنفي وزارة الدفاع الروسية وجود قوات عسكرية في ليبيا، لكن عددها في سوريا يتراوح بين 4000 و5000 فرد منخرط في القوات الأمامية في الحرب[2].

تتشابه نظرة روسيا وإستراتيجيتها تجاه ليبيا وسوريا انطلاقا من اعتبارات تاريخية، تظهر من خلالها قوة منافسة للغرب نظرا للتحالف الذي كان قائما بين موسكو ودمشق وطرابلس، لذلك مثل التدخل العسكري في ليبيا وسوريا ضرورة تسترجع من خلالها المكانة التي فقدتها بانهيار الاتحاد السوفياتي، ثم أن التاريخ يؤكد أن القوة الضاربة لم تكن يوما إلا من خلال الجيش الروسي الذي كان ولازال المحرك الرئيسي في إستراتيجية روسيا.

أظهر المسؤولون الروس تنديدا بالدعم اللوجستي الذي تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية ممثلة في قيادة الأفريكوم الأمريكية كالتدريب والمعلومات والضربات الجوية، وهذا يعمق الأزمة الليبية، ويزيد الفرقة بين الفرقاء الليبيين، ولا تعتبر ذلك قانونيا لأنه ليس له سند قانوني، سواء من مجلس الأمن أو من الحكومة المعترف بها دوليا[3]. من هذا المنطلق لا تعترف بتدخل الجيش الروسي في ليبيا.

تعيد كل هذه الأحداث للأذهان الحروب التي كانت إبان الحرب الباردة التي كانت تدور بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، لكن لا على أراضيها ولا بين جيوشها، بل على أراضي الغير وجيوش الغير على غرار الحرب الكورية (1950–1953)، لذلك يبدو التدخل في ليبيا وسوريا وكأنه عودة لحرب باردة جديدة. وفرصة تستعيد فيها سوريا دورها في المنطقة والتمدد نحو مناطق أخرى.

---

[1] بهلول، إستراتيجية روسيا الاتحادية تجاه الحرب في سوريا (2010–2018)، مرجع سابق، ص.179.

[2] Lavrav, ***Russia.***., op.cit, p.50.

[3] المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، ***الدور الروسي في ليبيا سياق للحرب الباردة الجديدة***، تقرير صادر في أكتوبر 2016، ص.02.

تحمل روسيا أسبابا جعلتها تتدخل في ليبيا وسوريا، لكن هذه الأسباب لا تتشابه تماما، فقد جاء التدخل العسكري في سوريا لمنع اسقاط نظام الأسد[1] الذي يهدد سقوطه النفوذ الروسي. أما التدخل في ليبيا فقد جاء بعد إسقاط القذافي، لذلك يعتبر ما حصل في ليبيا وما خسرته موسكو جراء قيام نظام جديد درسا لا يجب ان يتكرر في سوريا، ويعمل الكرملين بالتنسيق مع الأطراف الداخلية والإقليمية للإبقاء على وحدة سوريا وتماسكها جغرافيا خاصة بعد ظهور مفاهيم جديدة كسوريا الصغرى وسوريا الكبرى[2]. وهذا ينطبق على سياسة تضمن وحدة الدولة مع ضمان وجود حليفها، وذلك في ظل ظهور مؤشرات انقسام بين الشرق والغرب والجنوب في ليبيا.

تتحدى روسيا النظام الأحادي الذي تفرضه الولايات المتحدة الأمريكية عبر خلق موانع جيوسياسية في مناطق مختلفة[3]. فجاء التدخل في سوريا المتواجدة في آسيا، والأمر نفسه ينطبق على ليبيا المتواجدة في إفريقيا واللتين تطلان على البحر الأبيض المتوسط. وتسعى موسكو لمواجهة التهديدات الإرهابية على رأسها "داعش" سواء في ليبيا أو سوريا، حيث يرى الروس أن تدخلهم رابح على طول الخط، فإذا انتصروا سيكسبون مكانة ونفوذا كانوا يحلمون بهما منذ زمن، وإن فشلوا فليس ذلك خسارة كبيرة لإنهم اكتسبوا مزيدا من الخبرة، وتخلصوا من عدد كبير من الإرهابيين خاصة القادمين من دول الجوار الروسي على غرار داغستان وجمهوريا آسيا الوسطى السوفياتية سابقا، والمقدر عددهم بحوالي 5000 إرهابي[4]، إضافة إلى تجريب العديد من الأسلحة، والتكتيكات الميدانية، وضمان مكانة في سوق السلاح الدولي.

استهدفت في عدة مرات مواقع للجيش السوري الحر "المعارض" في حين يخرج المسؤولون بقصة مخالفة وتصوير هذه المواقع على أنها تابعة للجماعات الإرهابية[5]، ولا يحدث الشيء نفسه في ليبيا فالحكومة الروسية تدعم حفتر ولكنها تنكر ذلك، أو تحصر الأمر في تعاون استخباراتي لمواجهة الإرهاب ويأتي هذا التدخل بعد التراجع العسكري الذي واجهه الأسد أو حفتر، خاصة أن الأول قد فقد حوالي 80% من مساحة البلاد إما للمعارضة أو للجماعات الإرهابية[6].

---

[1] قلعجية، مرجع سابق، ص.332.

[2] المكان نفسه.

[3] المرجع نفسه، ص.333.

[4] المرجع نفسه، ص.335.

[5] عبد الناصر العايد، ***التدخل العسكري الروسي في سوريا: الدواعي والتداعيات والآفاق***، تقرير صادر عن مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2015/10/01، ص.03.

[6] المرجع نفسه، ص.04.

ولم يستعدها إلا بعد التدخل الروسي، وأما الثاني فلم يستطع الفوز بمعركة السيطرة على طرابلس، ولم يفرض تواجده الميداني، لذلك تظل موسكو مترددة في دعمها المطلق له. يحمل التدخل العسكري الروسي في سوريا وليبيا عدة إيجابيات، فكل طرف يحقق بعضا من أهدافه اعتمادا على الطرف الآخر، ومع ذلك يواجه التدخل تحديات تتمثل فيما يلي:

– لا يتفق جميع الأطراف سواء المحلية أو الإقليمية أو الدولية حول تدخل روسيا في المنطقة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، تأتي في مقدمة هذه الأطراف الولايات المتحدة الأمريكية التي تظهر دائما التدخل الروسي بصورة مشوهة.

– تمثل قدرة الاقتصاد الروسي على تمويل التدخل العسكري في حال طالت الحرب عائقا أمام الكرملين يجب عليه الأخذ بعين الاعتبار مصادر تمويله.ويبين الجدول التالي أوجه التشابه والاختلاف للتدخل العسكري الروسي في كل من سوريا وليبيا:

أوجه التشابه	أوجه الاختلاف
– جاء التدخل العسكري بعد عودة بوتين للسلطة، وترتيب أوراقه في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. – تسعى روسيا لفرض نفوذها والاعلان عن عودتها وإجبار العرب على الاعتراف بها كشريك قوي له وزنه في النظام الدولي، يظهر ذلك من خلال التدخل العسكري. – ضمان التواجد في ضفتي المتوسط من أجل التوغل في الشرق الأوسط عبر سوريا، وإفريقيا عبر ليبيا. – الأسباب المباشرة نفسها يمثل تهديد الإرهاب أهم هذه الأسباب، لكن الأسباب الخفية تبقى ذات صلة بالتدخل العسكري على غرار المصالح الاقتصادية. – ترغب موسكو في كسب مزيد من الحلفاء	– لم تدخل روسيا عسكريا بعد إسقاط القذافي في ليبيا، لكنها تداركت الموقف في سوريا، خاصة بعد فقدان الأسد حوالي 80% من الأرض قبل التدخل الروسي. – التدخل في سوريا مباشرة وله مبرراته القانونية، لأنه جاء بناء على طلب من حكومة شرعية، لكنه غير مباشر في ليبيا، يصل لحد الإنكار الرسمي، لذلك تسعى موسكو لإيجاد مخرج لتبرره.

وزيادة الثقة بينهم لنشر الطمأنينة لديهم بأنها لا تتخلى عن حلفائها وأنها على استعداد ذائم لمساعدتهم ودعمهم والوقوف بجانبهم، وأن حلفائها دائما يفوزون.	

المطلب الثاني: مبيعات الأسلحة الروسية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مقارنة ليبيا وسوريا

تعتبر صادرات الأسلحة والمعدات العسكرية أكبر صادرات روسيا بعد الموارد الطبيعية ويمكن أن يكون هذا القطاع هو أكبر القطاعات التي يمكن أن تنافس دولا أخرى على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. ولمعرفة تأثير هذا القطاع على الاقتصاد الروسي عموما وعلاقة موسكو بكل من ليبيا وسوريا لابد من العودة إلى الوراء قليلا.

نمت صادرات روسيا في القطاع العسكري من 4,8 مليار دولار سنة 2002 إلى 13,2 سنة 2011 وشكلت الهند والصين نحو 80% من هذه الصادرات[1]. يمكن اعتبار 80% من صادرات السلاح الروسي نحو الهند والصين رقما كبيرا يدل على عمق العلاقات بين هذه الدول، ومع ذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار أن هاتين الدولتين صناعيتين ولن تستمر الصادرات الروسية على المنوال نفسه لوقت طويل وستتحولان إلى منافستين في سوق السلاح، ومن جهة أخرى أثر انضمام روسيا إلى العقوبات المفروضة على إيران وليبيا وسوريا بشكل كبير على صادراتها وترتيب المستوردين، ويمثل الجدول التالي قيمة صادرات السلاح الروسي بين عامي 2002 و2011:

السنوات	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011
القيمة بملايين الدولار	4800	5400	5780	6126	6460	7550	8350	8965	10370	13200

تصميم شخصي للباحث

Source : Sergey Denisentsev, ***the arms fade treat and russian arms export : expectations and possible consequances***, Russia, centre for analysis of strategies and technologies, 2012, p.05.

[1]Sergey Denisentev, ***the arms fade treat and russian arms export : expectations and possible consequances***, Russia, centre for analysis of strategies and technologies ,2012, p.04.

يظهر الجدول الارتفاع المستمر خلال عشر سنوات ولم ينخفض في أي سنة، بل فاق ثلاثة أضعاف القيمة بين 2002 و2011، وهذا يرجع لعدة أسباب منها انتعاش أسواق النفط ما ساعد على دعم الاستثمارات العسكرية، وارتفاع مداخيل الدول الريعية خاصة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أدى بها إلى شراء المزيد من الأسلحة. ترى موسكو في المنطقة ثاني أكبر مستورد للأسلحة وشكلت حوالي 17,8% من إجمالي الصادرات بين 2000 و2016. تستورد العراق 1,4%، سوريا 1,4%، مصر 1,4%، إيران 2%، والجزائر 9,1% التي تمثل أكثر من نصف صادرات الأسلحة الروسية للمنطقة[1].

تعد المنطقة من أكثر المناطق توترا بسبع نزاعات على الأقل حتى سنة 2020[2]، ما يجعل منها سوقا مهمة للسلاح خاصة النزاعين اليمني والسوري اللذين صنفهما معهد ستوكهولهم للسلام الدولي بأكبر النزاعات المسلحة (أكثر من 10000 وفاة مرتبطة بالنزاع في العام)، بالمقابل صنف ليبيا في خانة النزاعات شديدة الحدة[3*] (بين 100 و999 وفاة في العام)[4] وبالتالي يجب تصدير الأسلحة لهذه الدول ولو عن طريق أجهزة وأطراف غير رسمية في ظل الحظر المفروض من طرف الأمم المتحدة. وارتفعت صادرات الأسلحة الروسية للشرق الأوسط بنسبة 30% بين 2010 و2019، جاءت مصر والعراق ب 49% و29% على التوالي، والمفارقة أن شحنات الأسلحة المصدرة نحو سوريا انخفضت بنسبة 87% بين 2010 و2019، وبلغت نسبة 3,7% من الأسلحة المصدرة للمنطقة، و0,7% فقط من إجمالي الصادرات. وللإشارة تأتي الجزائر كأكبر مستورد بعد الصين والهند بنسبة 14% من إجمالي صادرات السلاح الروسي[5].

يمكن للإحصائيات السابقة ان تبين مكانة روسيا في سوق السلاح الدولي/العالمي، من خلال الارتفاع المستمر لصادراتها منذ سنة 2000. وما يلفت الانتباه أن تدخل روسيا في سوريا عسكريا، وقوفها بجانب الأسد رغم أنها لا تصدر سوى 0,7% من أسلحتها لدمشق. وهذا يثبت أن هذا التدخل ليس بسبب هذه الصادرات فالعراق تستورد أكثر من ذلك بكثير ومع ذلك لم تتدخل موسكو للوقوف مع النظام العراقي السابق، وبالتالي فإن حسابات الكرملين تتعدى بيع الأسلحة لمسائل أكثر أهمية تتعلق بحسابات إستراتيجية كالجيوبوليتيك والجيوطاقة.

---

[1] Richard Connolly and Cecilie Sendstad, ***Russia's role as an arm exporter the strategic and economic importance of arms exports for Russia***, London, the royal institute of international affairs chathan house, 2017, p.16.

[2] Sipri yearbook 2020 Armements, ***desarmement and international security***, 2020, on web site :http://siri.org/yearbook//2020/02 (25/01/2021).

[*] أصبح ضحايا الحروب والنزاعات مجرد أرقام تستخدمها المعاهد ومراكز البحث في أعمالها، وأصبح النزاع الذي يخلف أقل من عشرة آلاف وفاة مرتبطة به نزاعا منخفض الحدة، وكل هذا بسبب حب السلطة والتمسك بها ولو مات أو قتل أو هجر كل الشعب.

[4] Sipri fact sheet, ***trends in international arms transfers***, 2019, stockhalm, march 2020, p.04.

[5] Ibidem

خسرت روسيا صفقات لبيع الأسلحة لليبيا، حسب تصريح المسؤول عن صادرات الأسلحة "ميخائيل ديميتريييف" (Michail Dmitriyev) رئيس الخدمة الفيدرالية الروسية للتعاون العسكري أن بلاده خسرت صفقتان بقيمة إسمية قدرت بحوالي 4 مليار دولار، لكن القيمة الفعلية تتجاوز عشرات المليارات. وانتقد تخلي القيادة عن القذافي بقوله: "ليس هناك شك بوقوع خسائر... لم تعد لدينا اتصالات بالقيادة الليبية الجديدة في مجال الدفاع بعد الآن"[1] وبعد عودة بوتين تغيرت المعطيات وبدأت تسترجع العلاقات أملا في استرجاع الصفقات كيف لا وقد كانت عقود التسلح الليبية مع روسيا في ظل حكم القذافي تشكل 12% من صادرات الأسلحة الروسية في العالم سنة 2010[2].

بمقارنة حجم صادرات روسيا لكل من ليبيا وسوريا يبدو للوهلة الأولى أن موسكو لم تكن لتسمح بإسقاط حليف مثل القذافي الذي يستورد 12% من السلاح الروسي المصدر للعالم. بينما لا تستورد دمشق أكثر من 0,7%، وبالتالي يمكن ملاحظة أن تغير القيادة في روسيا غيرت توجهها الإستراتيجي، وبالتالي يزداد اليقين أن المسألة ليست مسألة تسلح بل تتعداها، فأهمية سوريا في إستراتيجية روسيا أكثر من ليبيا. تستغل موسكو تدخلها العسكري في سوريا لزيادة حصتها من سوق السلاح، فبقاء الأسد على رأس السلطة بعد أن فقد سيطرته على الدولة وخسائره الميدانية المتكررة، بل واستعادته لكل ما خسره بفضل الجيش الروسي أكسب سلاح روسيا سمعة حسنة وأخذ مكانة جديدة، وهذا ما أكده "ألكسندر ميخيف" (Alexander mikhev) الرئيس التنفيذي لشركة "روسوبورونيكسبورت" (Rosoboronexport) أن الشركة وقعت عقودا في 53 دولة بقيمة 15 مليار دولار ما يوسع النطاق الجغرافي لسوق الأسلحة الروسية[3].

هذا شيء إيجابي للاقتصاد الروسي بصفة عامة، كما أن تجريب فعالية السلاح خلال الحرب في سوريا سيدعم كل ذلك. يحدث كل ذلك بعد اتهام موسكو أنها تستهدف المدنيين ويجب فرض عقوبات عليها. وعلى العكس من ذلك قال مساعد الرئيس بوتين المكلف بالتعاون العسكري والتقني "فلاديمير كوزين" (Vladimin Kozhin) أنهم قد بدأوا بإبرام عقود مع السعودية وقطر والبحرين[4]. وهذه كلها دول من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا معروفة بتعاملها مع الولايات المتحدة الأمريكية خاصة. وهذه هي الأهداف

[1]Alexei Anishchuk, ***Gadddafi all cost Russia tens of blns in arms deals***, reuters 02/11/2011, on web site :https://www.reuters.com/article/russia-libya-arms-idUSL5E7M221H20111002 (27/01/2021).
[2]Ibidem.
[3] Lama Fakih, ***Russia makes a killing off its military support to Assad***, human right watch, 13/03/2018, on web site : https://www.hrw.org/news/2018/03/13/russia-makes-killing-its-military-support-assad (27/01/2021)
[4]Ibidem

الحقيقية التي تريد موسكو تحقيقها، وستزداد حصتها في حال تدخلها المباشر في ليبيا، وفرض تمكين حليفها حفتر من السلطة.

وربط "كوزين" اهتمام دول المنطقة بالسلاح الروسي بسبب إثبات فعاليته في حرب سوريا وما يحدث في مصر (شبه جزيرة سيناء) وليبيا حيث أضاف: "لا عجب أن دول الشرق الأوسط تريد شراء أسلحتنا التي أثبتت فعاليتها خلال الحرب السورية"[1]. يتفق معه "فلاديمير شومانوف" (Vladimin Shamanov) عضو لجنة الدفاع في مجلس الدوما الذي أوضح أنه قد تم تجريب أكثر من 200 نوع من الأسلحة في سوريا وقال: "ليس من قبيل المصادفة أنهم يأتون إلينا اليوم من عدة اتجاهات لشراء أسلحتنا، بما في ذلك دولا ليست حليفة لنا"[2].

يكمن الفرق بين سوريا وليبيا في مجال التعاون العسكري والتقني مع روسيا في أن مبيعات الأسلحة لليبيا تكون نقدا بالدولار الأمريكي عكس سوريا التي تكون مقابل استثمارات، بدليل إعلان موسكو حصولها على إذن من الحكومة السورية لإقامة منشآت بحرية دائمة في طرطوس واللاذقية[3]. والملاحظ أن زبائنها غالبا هي الدول التي لا تتمتع بعلاقات طيبة مع الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، ومن جهة أخرى الأسعار المنخفضة للسلاح الروسي مقارنة بجودتها وبسعر نظيرتها الأمريكية، وبالتالي سيصبح لزاما على الدول متوسطة أو منخفضة الدخل التوجه نحو روسيا خاصة في مجال المدرعات والدبابات ومضادات الطيران والناقلات والصواريخ.

لا ترتبط مبيعات الأسلحة الروسية في المنطقة بالأهداف الاقتصادية وحسب، بل تتعداه إلى المجال الإستراتيجي، وتتمثل هذه الأهداف فيما يلي:[4]

أثرت العقوبات الأمريكو – غربية المفروضة على روسيا بعد تدخلها في أوكرانيا على الاقتصاد الروسي المتذبذب أصلا بسبب تقلص إيرادات الدولة جراء انخفاض أسعار المحروقات، وانتشرت هذه المشاكل إلى باقي القطاعات، لذلك ترى أن مبيعات الأسلحة خاصة في ليبيا وسوريا ودول المنطقة عامة ستشكل فرصة لتعويض هذه الخسائر وتساعد الاقتصاد الروسي على الصمود والتعافي من جديد. بدليل أن إجمالي الصادرات الروسية خارج المحروقات بلغ 25 مليار دولار سنة 2015، شكلت صادرات الأسلحة 14,5 مليار دولار.

[1] Ibidem
[2] Ibidem
[3] Anna Borshchevskaya, ***the tactical side of Russia's arms sale to middle east***, the jamestown foundation, 20/12/2017, on web site : http://jamestown.org/program/tactical-side-russias-arms-sales-middle-east (28/01/2021)
[4] Hamidreza Aziz, "russian arms trade approch in the middle east and north africa (MENA) : economic and strategic aspects ", ***geopolitics quartery***, volume 14, N°=4, winter, 2019, pp.92,97.

من الناحية الإستراتيجية تسعى روسيا لفرض تواجدها في المنطقة عن طريق تكوين تحالفات قوية تنتقل من المجال العسكري إلى المجالات الأخرى، اعتمادا على المكانة التي أصبح يحتلها كل من الجيش والأسلحة الروسية معا. والوقوف ندا لند مع الولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى دعم الحلفاء والشركاء الإقليميين إيران، سوريا، ليبيا والجزائر. ثم التأثير على الدول الضعيفة في المنطقة تمهيدا لإقامة حكومات مؤيدة وحليفة لموسكو.

تستورد سوريا 78% بينما تستورد ليبيا 63% من أسلحتها من روسيا[1]. وهذه النسب تبين قيمة الدولتين في الإستراتيجية الروسية ونجاحها فيهما سيؤدي إلى نجاحها في باقي دول المنطقة. ومع ذلك ليستا الأهم في مجال شراء الأسلحة من روسيا فقد بلغت صادرات الأسلحة التقليدية لكل من ليبيا وسوريا بين سنتي 2011 و2017 ما قيمته 36 و992 مليون دولار على التوالي في حين بلغت قيمة الصادرات نحو الجزائر خلال الفترة نفسها 4990 مليون دولار والعراق 1874[2].تشير هذه الأرقام أن أهداف موسكو لا تقتصر على مبيعات الأسلحة بدليل أن العراق لوحده استورد أكثر من طرابلس ودمشق معا. ومع ذلك لم يتحرك الكرملين لمنع التدخل الأمريكي في العراق سنة 2003، وقد يرجع السكوت أيضا عن عدم قدرة التحرك في تلك الفترة ما يعكس القوة التي أصبحت روسيا تتمتع بها، وعودتها للنظام الدولي بصفتها قوة "عظمى".

المطلب الثالث: مآلات العلاقات العسكرية الروسية مع ليبيا وسوريا

لاتزال روسيا تسعى لتثبيت مكاسبها في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وتوسيع آفاقها وأهدافها المستقبلية وترى في ليبيا وسوريا الفرصة لتحقيق ذلك خاصة بعد نجاح تدخلها العسكري في سوريا. والإبقاء على الحرب الليبية عند مستوى معين دون تصاعدها، ما يفسح المجال لفرض الحل الروسي أو جزء منه، وهذا ما سيتم التطرق إليه في هذا المطلب لتوقعات العلاقات العسكرية الروسية مع دول المنطقة من خلال المقارنة بين ليبيا وسوريا. وتخشى موسكو من تفاقم النزاع فيهما وتصاعد التهديدات التي قد تمس بالمصالح الإستراتيجية، ومع ذلك فإنه من مصلحتها الحفاظ على النزاع في حدود مستوى معين يساهم في توازن القوى في المنطقة أو يعدله لصالح موسكو ضد الولايات المتحدة الأمريكية.

[1] مارك بروملي، بيتر ويزمان، ***سياسيات تصدير الأسلحة إلى الدول المتأثرة بالربيع العربي، في: التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي***، تر: عمر الايوبي وآخرون، (السويد: معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي، 2012)، ص.373.

[2] Aron lund, ***Russia in Middle East***, Swedech institute of international affairs, February, 2019, p.37.

لتحقيق كل ذلك تم وضع مهام رئيسة للجيش من أجل بناء المستقبل ضمن إستراتيجية متكاملة تتمثل هذه المهام في الردع الإستراتيجي الذي من شأنه منع العدوان على الاتحاد بالاعتماد على تطوير القدرات وتعزيز القوات. ضمان التفوق في المجال الإقليمي في إطار الهيمنة الإقليمية، بما في ذلك مواجهة الإرهاب والحفاظ على الحلفاء وخفض الصراعات في الخارج القريب. يجب على الجيش الاستعداد للحرب البرية الكبرى والتي يعتقد الإستراتيجيون الروس أنها ستكون ضد القوى الأطلسية. ثم الحفاظ على الاستقرار الداخلي، حيث يجب على الجيش المساهمة في الاستقرار المجتمعي والرخاء الاقتصادي وتحقيق الأهداف المسطرة في حدود 2030[1].

يبني الكرملين تصوره للعلاقات العسكرية مع سوريا وليبيا اعتمادا على التهديدات التي تحملانها خاصة الفكر المتطرف الذي يقود إلى الإرهاب (تربط روسيا كغيرها من الدول الإرهاب بالإسلام) لذلك فإن هاتين الدولتين والشرق الأوسط وشمال إفريقيا تشكل وجهة أصحاب الفكر المتطرف للمشاركة في حروبها (تحت حلم إنشاء وإحياء الدولة أو الإمبراطورية الإسلامية وجهاد الكفار) ويمثل خطر انتقال الإرهاب إلى روسيا ودول الجوار هاجسا بالنسبة لصناع القرار الروس، نظرا للعلاقة الوطيدة مع الإسلام والمسلمين، وسيبقى مستقبل العلاقات العسكرية الروسية مع دول المنطقة مبينا على هذه الفكرة خلال الفترة القادمة على مدى العشرة سنوات أي في حدود 2030[2].

لا تتأثر العلاقات العسكرية الروسية مع ليبيا وسوريا بالأحداث والمصالح السياسية والأمنية وحسب

بل تتعداها إلى البعد الاقتصادي الذي تسعى موسكو إلى تطويره في ظل توقع وصول البرميل إلى 152 دولار أمريكي سنة 2035، ومن الضروري ان تزداد مساهمة العلاقات العسكرية مع المنطقة بصفة عامة في تحسين الناتج المحلي الإجمالي في ظل توقع تضاؤل نسبة الطاقة في الاقتصاد الروسي سنة 2040. لذلك يعتبر التواجد العسكري جد مهم في إستراتيجيتها. من هذا المنطلق ستبقي على جيشها ضمن نقاط تواجده وتوسيعها إذا أتيحت له الفرصة خاصة سوريا. وكللت جهودها في ليبيا بالنجاح، بعد ضمان حفتر مكانة ضمن التشكيل الحكومي الجديد في ليبيا في إطار حكومة الوحدة الوطنية التي بدأت بوادر تكوينها في فيفري 2021. ستضمن موسكو استمرار توريد الأسلحة إلى ليبيا ومصالح عسكرية واقتصادية أخرى.

يشكل الشرق الأوسط وشمال إفريقيا منطقة صراع بين روسيا والغرب وسيكون العامل العسكري فيصلا في هذا الصراع، من هذا المنطلق يمكن للنجاح العسكري في ليبيا وسوريا في حدود 2025 أن يؤسس

[1]Andrew Lynn and others, ***future of Russian military***, USA, RAND corporation, 2019, p.13.
[2]Ibidem.

لقاعدة تحالفات جديدة في المنطقة مع دول محسوبة على الغرب مثل السعودية والإمارات وحتى تركيا. ويجب ضمان زبائن دائمين للأسلحة الروسية نظرا لتوقع انخفاض الطلب على موارد الطاقة الأحفورية في السنوات القادمة، ومن المتوقع أيضا أن ينخفض إجمالي الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 15% في حدود سنة 2040[1].

ستحافظ موسكو على تواجدها العسكري وزيادته إن اقتضت الضرورة فلا يمكن تضييع ما حصلت عليه لحد الآن 2021، وسيلعب بقاء بوتين في السلطة وعلى المنوال نفسه دورا في ذلك، إلا أن تقدم بوتين في السن سيصعب عليه إدارة شؤون الدولة بالقوة نفسها حتى سنة 2036 تاريخ انتهاء عهدته وفراغ الساحة السياسية من شخص قوي يستطيع مواصلة المشوار بعده. وستتأثر ميزانية الدفاع بالحرب في سوريا وليبيا، لذلك يجب تسييرها بعقلانية، ورغم ذلك من المتوقع أن تستمر ميزانية الدفاع في الحصول على 17% من ميزانية الدولة أي حوالي 3% من الناتج المحلي الإجمالي.[2]

ستكون سوريا في المرحلة القادمة قاعدة خلفية للقوات العسكرية الروسية في حال تدخلت في ليبيا نظرا لقرب المسافة بين الدولتين والخبرة التي اكتسبها الجيش الروسي حيث شارك حوالي 48000 جندي وضابط في سوريا. وتناوب جميع قادة المناطق العسكرية أن يكونوا قادة لمقر العمليات المشتركة في حميميم، كما أن 80% إلى 90% من أطقم الطيران قاموا بعملية جوية واحدة على الأقل خلال هذه الحرب[3].

ستلعب حرب سوريا وليبيا وفي كل الحالات دورا في تطوير القدرات العسكرية الروسية وتحسين التكتيكات القتالية، وستكون استثمارا كبيرا خلال العشرة سنوات القادمة (المستقبل المنظور) وستلعب دورا في تغيير الأولويات الإستراتيجية حيث يعتبر الاستثمار في أسطول بحري غير فعال من حيث التكلفة فلا يوجد خطط لبناء حاملات طائرات أو حاملات "هيلوكبتر" جديدة[4]. لقد ذهب الاستراتيجيون الروس إلى تفكير أكثر براغماتية من بناء هذه الحاملات فبدلا من تحمل تكاليف كبيرة لبنائها أعباء لحمايتها من أي هجمات قاموا بتأمين قاعدة جوية أكثر صلابة ومتانة وأسهل تأمينا سواء في ليبيا أو في سوريا، بل وأكثر أهمية من الناحية الإستراتيجية، فلا يوجد أفضل من الحصول على قاعدة جوية أو بحرية تجعل الكرملين في غنى عن زيادة تكاليف ميزانية الدفاع المرتفعة أصلا.

[1]Ibid, p.29.
[2]Ibid, p.30.
[3]Anton, ***Russia..***, op.cit, p.54.
[4]Ibid, p.55.

أصبحت الحرب في ليبيا أو سوريا مؤشرا لمستقبل العلاقة العسكرية الروسية مع دول المنطقة، ومستقبل تطور الأسلحة فقد كانت الحرب فيهما فرصة لمراقبة الأعمال العسكرية والأسلحة الأمريكية والناتو عن قرب، وسمح بإلقاء نظرة على التكتيكات الغربية وطريقة تحديثهم لوسائلهم وأساليبهم لتطوير الأسلحة الروسية في المستقبل.[1]

وفيما يلي أوجه التشابه والاختلاف التي تتعلق بمستقبل روسيا العسكري في المنطقة من خلال المقارنة في سوريا وليبيا:

1. أوجه التشابه:

– يتعلق مستقبل روسيا في المنطقة بمستقبلها في سوريا وليبيا، ذلك أن قوة الدولة من قوة جيشها كأحد أهم الركائز الأساسية لقياس قوتها ولن تتخلى عما حققته اليوم في الحرب السورية أو الليبية وسيشكل الحل السياسي في الأخيرة دعما كبيرا لإستراتيجية موسكو وسيقوي حضورها ويزيد الثقة بينها وبين حلفائها، وسيفتح المجال أمامها لخلق حلفاء جدد في المنطقة.

– تتشابه سوريا وليبيا في كونهما من أهم الفرص التي أتيحت للجيش الروسي منذ مدة طويلة مكنته من رفع قدراته وتجريب العديد من التقنيات الحديثة وتطويرها، وهذا ما سيؤثر بشكل مباشر على مستقبل الإستراتيجية الروسية. وسترتفع تنافسية الأسلحة الروسية مما يرفع نسبة تصديرها إلى ما يفوق 27% في حدود 2025.

– سيستمر التواجد العسكري في المنطقة على المدى المتوسط في حدود 2036 الفترة المتوقعة لبقاء بوتين على رأس السلطة، هذا من جهة. أما على المدى البعيد فقد تم ضمان البقاء في البحر الأبيض المتوسط عبر ميناء "طرطوس" التي ستنتهي مدة إيجارها سنة 2066 على الأقل، وستزيد المدة في حال تجديد العقد، هذه القاعدة الوحيدة التي تضمن التواجد الروسي في البحر الأبيض المتوسط، ومن المتوقع أن توسع دائرة المنشآت المستأجرة سواء في سوريا أو ليبيا وبهذا سيتمدد النفوذ الروسي في المنطقة بكاملها.

– سيستفيد النظام السوري ببقاء الأسد رئيسا لسوريا لفترة طويلة ترتبط بمدى حفاظه على المصالح الروسية، وسيسعى صناع القرار في دمشق إلى تقديم رئيس آخر بعد رحيل الأسد الذي يبدو أنه سيبقى رئيسا على المدى المتوسط، وهذا ما ينطبق على ليبيا بفرض الحل السياسي بوجود حليف، كل ذلك سيضمن التواجد الروسي من جهة، وسيضمن بقاء هذه الشخصيات أو من يتبعهم في السلطة.

[1]Ibid, p.56.

2. أوجه الاختلاف:

– ضمنت روسيا تواجدا عسكريا مباشرا، وقواعد بحرية وجوية حتى حدود سنة 2070، ولازالت في مفاوضات مع النظام السوري من أجل زيادة هذه المدة، لكنها بالمقابل لم تضمنه في ليبيا، بل اكتفت بشركات الأمن الخاصة ووحدات الاستخبارات، وبعض القادة، وأكثر من ذلك فهي ترفض الاعتراف بهذا التواجد، ومع ذلك ستسعى لفرض إنشاء قواعد على الأراضي الليبية.

– لا يشكل تواجد القواعد البحرية والجوية الروسية في سوريا أية مشاكل، اذ لم تتعرض لمضايقات من طرف دول الجوار السوري، لكنها ستجد صعوبة في إنشاء قواعد في ليبيا، خاصة أن الجزائر سترفض ذلك، وقد تضع علاقاتها الإستراتيجية وما يتعلق بصفقات السلاح مقابل إنشاء روسيا لقواعد عسكرية في ليبيا.

– اختلفت إستراتيجية روسيا في التواجد العسكري فهي تدعم الأسد في سوريا وستظل تدعمه في المستقبل –إذا لم يحدث أي طارئ– وباعتباره رئيسا لن تجد موسكو مشكلا في تحقيق أهدافها العسكرية لكن علاقتها بحفتر في ليبيا لا تحقق الطموح نفسه حتى ولو استطاعت فرضه وزيرا للدفاع بعد التوافقات الأخيرة فيفري 2021، لذلك ستبني علاقاتها مع الحكومة بصفة عامة، وستكون جزءا من الحل السياسي حتى يسهل عليها التفاوض.

الخاتمـــة

الخاتمة:

تملك روسيا تاريخا طويلا في العلاقات الدولية، سواء زمن الحرب فقد خاضت حروبا كثيرة حفاظا على مكاسبها أو توسّعا لها وزيادة في مصالحها، وقد عرّضها ذلك لصدامات عديدة مع عدّة دول لها الطّموح نفسه، أو زمن السّلم أين كان دور بارز في عدة مؤتمرات واتّفاقيات ساهمت عبرها في تحديد هوية النظام الدولي، إلّا أنّها لم تكن دائما بخير ذلك لأنّها عانت من انتفاضات وانقسامات أثّرت على مساحتها ووحدة ترابها الجغرافية وسلامتها المجتمعية، وبالتالي ليس من السّهل تقييم إستراتيجيتها دون الخوض في هذا التّاريخ المليء بأحداث أنتجت روسيا اليوم أو روسيا الجديدة بكلّ الغموض الذي تحمله حيث يصعب فهم ما إذا كانت قوة عظمى أو صاعدة أو تعديلية، أم أنّها دولة مترهّلة جيوبوليتيكيا ومجتمعيا واجتماعيا جرّاء تردّي الأوضاع المعيشية في أقاليمها المختلفة.

كل هذا الغموض جعل البحث يمر على طريق التطور التاريخي لإستراتيجية روسيا انطلاقا من إستراتيجية الإمبراطورية الروسية وخوضها حروبا جيوبوليتيكية تصادمت فيها مع إمبراطوريات تحمل الطموح نفسه كالإمبراطورية اليابانية والعثمانية والفارسية، وشبكة معقدة من التحالفات مع فرنسا وألمانيا وحتى الإمبراطوريات السابقة، وظلت على هذه الحال حتى سقوطها بعد ثورة شعبية سنة 1917، وبروز دولة جديدة.

المرحلة الثانية في تاريخ روسيا كانت مع الاتحاد السوفياتي عندما بدأت العلاقات الدولية تأخذ منحى جديدا دشّنته بحرب عالمية أولى، صفى بعدها الاتحاد السوفياتي حساباته مع خصومه التقليديين لا سيما الدولة العثمانية، ثم حرب عالمية ثانية واصل بعدها استكمال تصفية الحسابات مع باقي الأعداء (اليابان وألمانيا)، وبعدها حربا باردة ضدّ الدول الغربية بقيادة الولايات المتّحدة الأمريكية، وفي خضم كل وأخرى تاريخ من المفاوضات السّرّيّة ترنّح فيها بين جموح الطموح وكثرة الجروح، بين أمل سيادة النظام الدولي وألم التفكك الداخلي، ليس ذلك وحسب بل وقوف بين طمع الانتصار وهاجس الانكسار، ليصدم الشعب السوفياتي بتفكّك للمرة الثانية في أقل من 100 سنة (74 سنة فقط)، تأسست بعده دولة روسيا لتبدأ الإستراتيجة مرحلة جديدة.

انطلقت المرحلة الثالثة من إستراتيجية روسيا انطلاقة متعثّرة على أنقاض حروب ساخنة وأخرى باردة أنهكت النظام السياسي والشعب معا، وكشفت خللا بنيويا على مستوى النّظام الاجتماعي والعلاقات الدّولية، وما تم ملاحظته إبان هذه المرحلة مرور روسيا بفترتين الأولى انتقالية إجبارية أجبرت إثرها على مواكبة التحولات التي طرأت على النظام الدولي بعد 1989 وانهيار جدار برلينرمز الشيوعية، وفي الوقت نفسه أجبرت على تكبد عناء الانقسامات الداخلية وتصدع البناء المجتمعي، وهذه المرحلة هي مرحلة

القطعية، أين كان يجب تحمل القطيعة بين نظامهم الشيوعي الاشتراكي والتأقلم مع التحولات الدولية الطارئة في ذلك الوقت، أما الفترة الثانية بدأت عندما تولى بوتين زمام السلطة، سنة 2000 عندها انتقلت البلاد من مرحلة اليأس إلى مرحلة الشباب من جديد، وهي مرحلة الثورة البوتينية الجديدة بأهم تحدّ لها المتمثل في نقل الدولة من مرحلة الاحتضار واحتمال انقسام مرة أخرى قد يكون الضربة القاضية لأحلام كل الشعب الروسي، استعادة المكانة المعهودة كقطب في النّظام الدّولي.

امتزج دور روسيا في المناطق والأقاليم المختلفة بالدور الذي كانت تلعبه خلال كل مرحلة، والشرق الأوسط وشمال إفريقيا ليس استثناء، فقد عرفت علاقة دوله تذبذبا مع روسيا مرد ذلك الضغط المسبّب من الدول الكبرى والأوضاع غير المستقرة التي عرفتها روسيا خلال القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، إلا أن هذا الدور شهد تطورا بعد أحداث 2010، أين أحس الكرملين أن الإقليم قد يضيع للأبد هذه المرة إذا تركت الولايات المتحدة الأمريكية تتحرك بحرية، وقد شاركت روسيا في حروب الإقليم، غير أن مشاركتها لم تأت كمشاركة قوى أخرى لأدخلت الإقليم في حروب عصفت باستقراره، وعرضت دوله لتهديدات كثيرة من إرهاب وهجرة ونزوح، وحتى إمكانية الانقسام، فلا يمكن إنكار الفضل الذي قامت به موسكو في مواجهة كل هذه التهديدات، ولا يمكن إنكار أهدافها ومصالحها التي يجب عليها حمايتها كغيرها من الدول الكبرى إما على المستوى الاقتصادي والفوز بإعادة إعمار دول ما بعد الحرب، وافتكاك مشاريع تفضيلية لصالح شركاتها لا سيما أنها تتشابه مع دول المنطقة في اعتمادها على المواد الأحفورية لإعداد ميزانيتها، أو على المستوى الجيوإستراتيجي بإنشاء قواعد عسكرية بحرية تعوض عجز التواجد في المياه المفتوحة والبحر الأبيض المتوسط بصفة أخص، وكذلك قواعد جوية توفر الدعم اللوجيستي للقوات العسكرية أو الشركات الناشطة في دول اللاإقليم.

تؤثر إستراتيجية روسيا الاتحادية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إثر مشاركتها في الحفاظ على وحدة الدول والحيلولة دون تقسيمها، وهذا يجعل المنطقة أقل توترا كون الحكومات ما كانت لتقبل تقسيم دولها ولو بقيت الحرب قائمة، ومن جهة أخرى تقوم القوات العسكرية الروسية بمكافحة الإرهاب خاصة داعش، وقد أثبت الواقع فعالية الأسلحة الروسية وقوة جيشها ميدانيا.

تدعم روسيا دول المنطقة كي تكون أقطابا يمكنها المحافظة على حضاراتها وخصوصياتها ومواجهة المد الليبرالي (حسب الفكر الإستراتيجي الروسي) وتسطيع الصمود ضد العولمة وضغوطها والثورات الغربية الملونة التي يسوق لها الغرب على أنها من أجل الديمقراطية وضد الاستبداد والدكتاتورية.

يهدف الكرملين إلى تعديل ميزان القوى لصالحه عن طريق تعديل هذا الميزان لصالح الحلفاء التقليديين وكسب حلفاء جدد خاصة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تمهيدا للانتقال نحو أقاليم أخرى، فهو يروج

لفكرة أنه يقف مع حلفائه، لترسيخ صورة نمطية لدى الحكومات والشعوب على حد سواء أن التحالف معه يمد شعورا بالثقة، عكس التحالف مع البيت الأبيض والقوى الغربية فالتاريخ يشهد عن دعم المقاتلين الأفغان في حربهم ضد الاتحاد السوفياتي ثم احتلالها من طرف الولايات المتحدة الأمريكية بحجة محاربة الإرهاب، بعدها سكتت عن اجتياح العراق للكويت تمهيدا لإسقاط نظام الراحل صدّام حسين وحدث ذلك بالفعل بعد الغزو الأمريكي للعراق في 2003.

عمدت موسكو إلى زيادة استثماراتها في الإقليم بناء على إستراتيجية اقتصادية تهدف من خلالها الحفاظ على المصالح الحيوية خاصة ما يتعلق بقطاع النفط والغاز، واستقرار أسعارها العالمية، وإبقائها كورقة ضغط على الغرب والاتحاد الأوروبي بالدرجة الأولى وقت الحاجة، ومنع استعمال دول المنطقة كدول عبور للغاز يكسر الهيمنة الروسية على تموين أوروبا بالغاز.

وقد بيّن الاعتماد على المنهج المقارن إمكانية أكبر لفهم الإستراتيجية الروسية في المنطقة عبر مقارنتها بين ليبيا وسوريا، لأنّ الدولتين تنتميان للإقليم نفسه في الفكر الجيوإستراتيجي الرّوسي أي الخارج القريب المتمثّل في العالم الإسلامي، أيضا متشابهتان جزئيا في البيئة السياسية، والمنطقة المتوسطية سوريا شمالا وليبيا جنوبا.

انطلاقا من هذا يمكن تعميم نقاط التشابه على باقي دول الإقليم وتستطيع روسيا أخذها بعين الاعتبار من أجل توطيد علاقاتها مع هذه الدول، وتثبيت موطئ قدم بناء على النقاط سالفة الذكر.

بينت حروب المنطقة أنّ كثرة الفواعل سواء من قوى إقليمية من قبيل السعودية والإمارات، المغرب تركيا وإيران، أو من خارجه روسيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد الأوروبي كقوة واحدة أو دول منفردة فرنسا على سبيل المثال، ناهيك عن المنظمات الدولية كالأمم المتّحدة، أو الإقليمية ممثلة في جامعة الدول العربية، إضافة إلى المنظمات غير الحكومية المختلفة، كل ذلك أدى إلى تأجيج الحروب لأكثر من إخمادها، وأصبح مصدرا للحرب لا لمنعها، فمن غير المعقول أن تتفق كل هذه الفواعل حول الأهداف نفسها، ولا تخدم أي أجندات معينة.

نظرا لكل ذلك لن تجد روسيا طريقها سهلة لتنفيذ إستراتيجيتها لأنها ستصطدم بعدة عوائق، وستجد نفسها كل مرة في حاجة لتعديل تكتيكاتها بسبب صعوبة توقع حركات كل الخصوم ما يخفض نسبة النجاعة والنجاح ويثبت صحة الفرضية الأولى.

إذا استطاعت موسكو رفع مستوى دعمها المتوازن لدول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في الوقت نفسه واستمرت في ذلك، فمنذ 2010 تمّ ملاحظة تزايد النفوذ الروسي هذا سيؤدي إلى رفع قدرة الإستراتيجية على التّأقلم والتكيف أي ارتفاع فعاليتها ويثبت صحّة الفرضية الثانية.

بدأت روسيا في حماية الأسد منذ 2015، وأظهرت قوة وخبرة ممزوجتين بالحزم، رغم أنها تنفي وجود قواتها في ليبيا إلا أن مقاتلي فاغنرز التابعين لمؤسسات أمنية روسية برهنوا على ثبات ميداني، واللافت للانتباه عدم التصادم بين روسيا والدول الغربية في ظل النفوذ المتسارع للأولى وتبدو الثانية كأنها قبلت الواقع المفروض بدرجة أكبر في سوريا وهذا ينفي الفرضية الثالثة.

وبعد البحث في جلّ النّقاط الّتي تغطّي جميع متغيّرات الإشكاليّة المطروحة، وبعد مقارنة إستراتيجية روسيا الاتحادية في الشرق الوسط وشمال أفريقيا توصّلت الأطروحة إلى النّتائج التّالية:

– قيادة فلاديمير بوتين بلاده للصّعود في النّظام الدولي من جديد يبيّن دور الشّخصية الكاريزميّة في إستراتيجية روسيا، فمعظم فترات قوّتها كانت بقيادة شخصيات قوية، يظهر دائما في صورة رجل قوي له وزن ويستطيع مسايرة القوى الكبرى، مثل إيفان الرّهيب، بطرس الأكبر، لينين، ويبقى هذا تميّزا لكنّه في الوقت نفسه يمثّل نقطة ضعف، فغالبا ما تعود البلاد للتّراجع بعد اختفاء القائد، كما أنّها لا تستطيع البقاء في القمّة طويلا، ودليل ذلك أنّ مساحتها تقلّصت 3 مرّات في 100 أقل من عام، ويمكن أن يحدث هذا بعد غياب بوتين.

– تتحرّك إستراتيجيّة روسيا جيوبوليتيكيا لكسر السّلبيّة الجيوبوليتيكيّة، فقد ثبت معاناتها على هذا المستوى، لذلك فإمّا أن تتحرّك أو يتمُّ التّحرّك ضدّها، مدعومة بالبعد العسكري وقوة جيشيستطيع حسم الحروب لصالحه، حرب الشّيشان، جورجيا، أوكرانيا، سوريا، وهو البعد الّذي يوثّق الأحلاف الّتي تعقدها موسكو، إضافة إلى البعد الطاقوي مموّل ورافد باقي القطاعات، ويبني عليه الكرملين إستراتيجيته.

– لا تتمتّع روسيا بقوة الجبهة الدّاخلية، ومظهرها لا يعكس جوهرها، فهي تعيش تجاذبات سياسية وثقافية بين الشيوعيين والليبراليين والمسلمين والمسيحيين واليهود، وصل النقاش حتى حول أصول الشعب الروسي بين السلاف والمغول والأتراك، وحتى اقتصاديا ففي كثير من الأحيان تعرف حركات احتجاجية لتحسين المستوى المعيشي للمواطنين.

– لا تسعى موسكو لتغيير الأنظمة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إنّما تهدف إلى قدوم من يرعى مصالحها، والأهمّ ألّا تأتي حكومات راديكالية خاصة الإسلاميون المتطرّفون، وتتخوّف من انتقال العدوى إلى مجالها الحيوي لا سيما القوقاز.

– تعتبر عودة الإرهابيين الروس وحاملي جنسيات الدول القريبة منها وما يحملونه من أفكار وخبرة ميدانية يمكن أن تشكل تهديدا للأمن القومي الروسي هاجسا لدى صناع القرار في روسيا، من هذا المنطلق تريد التّخلّص منهم في معاقلهم والحيلولة دون رجوعهم لبلدانهم الأصلية.

– أينما يتواجد الغاز تتواجد روسيا، وأيّ دولة يمكنها أن تكسر تبعية أوروبا في قطاع الطاقة خاصة الغاز ستتواجد فيها روسيا لقطع الطّريق أمام ممرات أنابيب الغاز نحو أوروبا، وهذا أحد أهم أسباب التدخّل في سوريا، والأمر نفسه في ليبيا بعد الحقول التي تم اكتشافها في البحر المتوسط واتفاقية تعديل الحدود البحرية مع تركيا.

– حقّقت موسكو أهدافا كثيرة في المنطقة منها الإستراتيجية، فقد ازداد الجيش الروسي خبرة في الحروب غير النّظامية، وكسبَ السلاح الروسي سمعة أكبر ستزيد من حصتها في سوق السّلاح العالمي، كما حافظت على حليفها الأسد، وستتبع النّهج نفسه في ليبيا، وبدأت تتوغّل أكثر في أفريقيا بتواجدها في مالي، وأفريقيا الوسطى، وها هي تزاحم الولايات المتّحدة الأمريكية في حلفائها التقليديين كالمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة.

– فرضت موسكو منطقها في سوريا وحققت هدفها بالإبقاء على الأسد في الحكم، وبروزها في بعض الدول الأفريقية، ثم تصعيدها للتوتر في أوكرانيا احتجاجا على التوسع الأطلسي على الحدود الرّوسيّة ومشاركتها الفعّالة في مفاوضات الملف النووي الإيراني، وإجبار الولايات المتحدة الأمريكية والغرب على الحوار والتنسيق في العديد من الملفات الدولية، مثل الملف الأوكراني والإيراني والليبي والسوداني والسوري، لهذا انتزعت روسيا الاعتراف بعودتها لقوتها المعهودة.

– تتجه روسيا بثبات نحو تحقيق أهدافها الإستراتيجية التي وضعها دوغين في نظريته السياسية الرابعة، وبدأت شيئا فشيئا تكسر الحصار المفروض عليها من الغرب، والأكثر من ذلك فهي تقترب من التمرد على تقليد النظريات الغربية، فقد تمكنت من مزج النظرية بالممارسة لتحقيق طموحاتها، وتمكين إستراتيجيتها من التطوّر المستمر واستعادة مكانة القوة القطب في عالم متعدد الأقطاب.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

الوثائق الرّسمية:

1. **الاتحاد الروسي**، دستور 1993 شاملا لتعديلاته لغاية 2014

2. الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، **ميزانية التسيير للدوائر الوزارية لسنة 2020**، الجريدة الرسمية، ع81، 2019/12/30.

3. الشبكة السورية لحقوق الانسان، ***الاستخدام التعسفي للفيتو 16 مرة من قبل روسيا والصين ساهم في قتل ربع مليون سوري واعتقال قرابة 150 ألف آخرين وتفشي حالة الإفلات من العقاب***، تقرير رقم R200721.

4. الكويت، *منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول*، ***التقرير الاحصائي السنوي 2019***.

5. هيئة الأمم المتحدة، الاسكوا (Escwa)، وحدة الاتصال والإعلام، **قصاصات صحفية**، نيويورك، 2018/08/10.

6. مجلس الأمن، الولايات المتحدة الأمريكية، الأمم المتحدة، ***القرار 1970 المتعلق بليبيا***، 27 فيفري 2011.

7. مجلس الأمن، الولايات المتحدة الأمريكية، الأمم المتحدة، ***القرار 1973 المتعلق بليبيا***، 17 مارس 2011

8. الولايات المتحدة الأمريكية، الأمم المتحدة، ***ميثاق الأمم المتحدة***، 26 جوان 1945

الكتب

1. أبجيانزي، ريتشارد، وأوسكار زاريت، ***لينين والثورة الروسية***، تر: محي الدين مزيد، مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 2003.

2. الأمارة، لمى مضر، ***الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية***، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.

3. أندرو، بارا سيليتي، وآخرون، ***منع انهيار الدولة في سوريا***، الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة راند،2017.

4. أوتاواي، ماريانا، ***الشرق الأوسط الجديد***، الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي 2008.

5. أوغلو، أحمد داود، ***العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية***، تر: محمد ثلجي وطارق عبد الجليل، قطر: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011.

6. برواملي، مارك، بيتر ويزمان، سياسيات تصدير الأسلحة إلى الدول المتأثرة بالربيع العربي، في: ***التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي***، تر: عمر الايوبي وآخرون، السويد: معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي، 2012.

7. برون، جفري، **تاريخ أوروبا الحديث**، تر: علي المرزوق، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 2006.

8. تروتسكي، ليون، ***تاريخ الثورة الروسية***، تر: أكرم ديري – هيثم الأيوبي، ج.1، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د س ن.

9. تروتسكي، ليون، ***تاريخ الثورة الروسية***، تر: أكرم ديري – هيثم الأيوبي، ج.2، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د س ن.

10. جبور، مازن، ***"الحراك في سوري"***، سوريا: مركز دمشق للأبحاث والدراسات،2016.

11. جودة، محمود، ***البحث عن المكانة روسيا بوتين وميلاد نظام علمي جديد***، مصر: الكتب العربي للمعارف،2016.

12. حسين، سهرة قاسم، ***الصعود الصيني وتأثيره على الهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط***، مصر: مكتبة جزيرة الورد، 2013.

13. حسين، ياسر، ***24 شخصية سياسية هزت البشرية***، ط.2، مصر: مركز الراية للنشر والإعلام، ط.2، 1994.

14. دوغين، ألكسندر، **أسس الجيوبوليتيكا ومستقبل روسيا الجيوبوليتيكي**، تر: عماد حاتم، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.

15. دوغين، ألكسندر، ***الخلاص من الغرب، الأوراسية الحضارات الأرضية مقابل الحضارات البحرية والأطلسية***، تر: علي بدر، بلجيكا: دار ألكا للنشر، 2021.

16. ديب، كمال، ***لعنة قايين حروب الغاز من روسيا وقطر إلى سوريا ولبنان***، لبنان:دار الفرابي،2018.

17. الزيات، محمد مجاهد، "تحولات الصراع الداخلي المسلح في سوريا"، في عبد المنعم سعيد وآخرون، مسارات متشابكة، ***إدارة الصراعات الداخلية المعقدة في الشرق الأوسط***، القاهرة: المركز الإقليمي للدراسات الإستراتيجية، 2015.

18. زيدان، ناصر، ***دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين***، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013.

19. شاكر، محمود، ***التاريخ المعاصر للمسلمين في الإمبراطورية الروسية***، سوريا، لبنان، الأردن: المكتب الإسلامي، 1994.

20. شبايك، رؤوف، ***فن الحرب***، د ب ن، د س ن.

21. شرقية، إبراهيم، ***إعمار ليبيا: تحقيق الاستقرار من خلال المصالحة الوطنية***، قطر: مركز بروكينجز الدوحة، ديسمبر،2019.

22. الشيخ، نورهان، ***صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية الروسية***، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية 2009.

23. شيفتسوفا، ليليا، **روسيا بوتين**، تر: بسام شيحا، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2006.

24. الصباح، عبد الله عبد المالك، ***الصعود الإستراتيجي لروسيا الاتحادية وأثره على التوازنات الدولية (1991-2015)***، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2017.

25. طارق علي، فل إيفانز، ***تروتسكي والماركسية***، تر: جمال الجزيري، مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 2003.

26. عبد الحي، وليد، ***المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي***، الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2000.

27. عبد العزيز، نوار، ومحمود جمال الدين، ***التاريخ الأوروبي الحديث***، مصر: دار الفكر العربي، 1999.

28. عبد الفتاح، سميح، ***انهيار الإمبراطورية السوفياتية نظام عالمي جديد احادي القطب***، الأردن : دار الشروق للنشر والتوزيع، 1996.

29. عبد الله، إيناس سعدي، ***روسيا 1894 -1905***، العراق: أشربانيال للكتاب، 2015.

30. علي، عاطف، المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2006.

31. عمر، عبد العزيز عمر، ***تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر (1815-1919)***، مصر: دار المعرفة الجامعية، 2000.

32. عمر، عبد العزيز عمر، ***تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815-1919)***، مصر: دار المعرفة الجامعية، 2000.

33. غازي، عناية، ***منهجية إعداد البحوث والرسائل الجامعية***، الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع، 2015.

34. غورباتشوف، مخائيل، ***البيروسترويكا، تفكير جديد لبلادنا والعالم***، تر: حمدي عبد الجواد، ط4، لبنان: دار الشروق، 1990.

35. غورباتشوف، ميخائيل، ***روسيا الجديدة***، تر: فايز الصياغ، المملكة العربية السعودية: دار العبيكان، 2018.

36. غورباتشوف، ميخائيل، ***غورباتشوف وحكاية الانقلاب.. ثلاثة أيام هزّت العالم***، تر: فؤاد حطيط، باريس: دار عالم ألفين، 1992.

37. غيبسون، كينيون، ***أوكار الشر دراسة حول آل بوش ووكالة المخابرات المركزية والشكوك حول هجمات 09/11***، (لبنان: الدار العربية للعلوم،2004.

38. فوكوياما، فرانسيس، ***نهاية التاريخ وخاتم البشر***، تر: حسين أحمد أمين، مصر: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993.

39. فرحات، محمد فايز، "السلوك الصيني-الروسي إزاء موجة الربيع العربي قراءة ما وراء المصالح الاقتصادية" في مجموعة مؤلفين، ***التداعيات الجيوسياسية للثروات العربية***، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، ط، 2014.

40. قدورة، عماد يوسف، ***روسيا وتركيا علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية***، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، 2015.

41. القصبي، عبد الغفار رشاد، ***مناهج البحث في علم السياسة***، ج 2، مصر: مكتبة الآداب، 2004.

42. قلعجية، وسيم، ***روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين***، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016.

43. كسنجر، هنري، ***سنوات التجديد***، تر. هشام الدجاني، المملكة العربية السعودية: دار العبيكان، 2010.

44. كسينجر، هنري، ***النظام العالمي: أفكار حول طبيعة الأمم ومسار التاريخ***، تر: أشرف راضي، مصر: كنوز للنشر، 2015

45. كلاين، نعومي، ***عقيدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوارث***، تر: نادين خوري، لبنان: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 2009.

46. كليف، توني، ***رأسمالية الدولة في روسيا***، تر: عمر الشافعي، مصر: مركز الدراسات الاشتراكية، 1998.

47. كلينتون، هيلاري، **خيارات صعبة**، تر: ميراي يونس، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2015.

48. كنان، جورج، ***الدبلوماسية الأمريكية***، تر: عبد الإله الملاح، سوريا: دار دمشق، 1988.

بريزيزنسكي، زبيغنيو، ***رقعة الشطرنج الكبرى: السيطرة الأمريكية وما يترتب عليها جيواستراتيجيا***، ط:2، تر: مركز الدراسات العسكرية، د ب ن، 1999.

49. الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، ج1 من الألف إلى الثاء، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985.

50. لويس بيرناد، ***مستقبل الشرق الأوسط***، تر: شركة رياض الرئيس للكتب والنشر، لبنان: شركة رياض الرئيس للكتب والنشر،2000.

51. لينين، فلاديمير، ***الدولة والثورة، تعاليم الماركسية حول الدولة ومهمات البروليتاريا في الثورة***، (موسكو: جيزي اي زنانييه، 1918).

52. لينين، فلاديمير، ***مذكرات لينين عن الحروب الأوروبية ماضيها وحاضرها***، تر: احمد رفعت، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي أي سي، 2017.

53. محمد، عبد السلام، ***الجيوبوليتيكا علم هندسة السياسة الخارجية للدول***، مصر: دار الكتب، 2019.

54. معتمد، عاطف، ***استعادة مكانة القطب الدولي.. أزمة الفترة الانتقالية***، قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 2009.

55. منصور، ممدوح، ***الصراع الأمريكي السوفياتي في الشرق الأوسط***، مصر: مكتبة مد بولي، د س ن.

56. ميلكوميان، ايلينا، ***العلاقات الروسية الخليجية: البناء على ماضي اشكالي***، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

57. ناصر، ربيع وآخرون، ***الأزمة السورية الجذور والآثار الاقتصادية والاجتماعية***، سوريا: المركز السوري لبحوث السياسات، 2013.

58. نافع، بشير، **الأزمة الأوكرانية تفجر الصراع على أوروبا من جديد**، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2014.

59. ناي، جوزيف، ***القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية***، تر: محمد توفيق البحيرين، الإمارات: دار العبيكان، 2007.

60. ناي، جوزيف، **هل انتهى القرن الأمريكي؟**، تر: محمد العبد الله، السعودية: العبيكان للنشر، 2015.

61. نصري، ذياب خاطر، ***التاريخ الأوروبي الحديث***، الأردن: الجنادرية للنشر والتوزيع، 2011.

62. نعومي، كلاين، ***عقيدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوارث***، تر: نادين خوري، لبنان: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 2009.

63. هارت، ليدل، ***الإستراتيجية وتاريخها في العالم***، تر: الهيثم الأيوبي، ط4، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2000.

64. هاشم تامر، ***السياسة الدولية والاستراتيجية***، مصر: المكتب العربي للمعارف،2013.

65. هنتنغتون، صامويل، ***صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي***، تر: طلعت الشايب، ط2، د ب ن: سطور، 1999.

66. هيكل، محمد حسنين، **الزلزال السوفياتي**، مصر: دار الشروق، 1990.

67. هيلر ميشال، ***السكرتير السابع والأخير غرباتشوف من العظمة إلي البؤس نشوء وانهيار الإمبراطورية الشيوعية***، ط2، تر: نظير جاهل، حسين الصيقة، لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، 1992.

68. واكيم، جمال، ***صراع القوى الكبرى على سوريا الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011***، ط2، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،2013.

69. وايت، ستيفن، ***مفاتيح السياسة الروسية***، تر :حنان كسروان، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2017.

1.***الموسوعة السياسية***، الكيالي، عبد الوهاب وآخرون، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985)، ج.1 (أ – ث)، "مادة الثورة الاشتراكية".

المقالات العلمية

1. بهلول، محمد، "إستراتيجية روسيا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010"، ***مجلة العلوم القانونية والسياسية***، م10، ع1، 2019، (ص ص.370-381).

2. بهلول، محمد، غريب حكيم، "إستراتيجية روسيا الاتحادية تجاه الحرب في سوريا 2011-2018"، ***مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية***، م16، ع02، (2019)، (ص ص.172-186)

3. هاشم، نوار جليل، أحمد زين العابدين طعمه، "الموقف الروسي من الثورات العربية (ليبيا ومصر، وسوريا نموذجا)"، ***سياسيات عربية***، ع12، جانفي 2015.

4. قبلان، مروان، "الثورة والصراع على سوريا: تداعيات الفشل في إدارة لعبة التوازنات الإقليمية"، ***سياسيات عربية***، ع.18، (جانفي 2016).

الجرائد والمجلات:

1. عمارة سامي، بريماكوف يشرح لـ" الشرق الأوسط" مهمته السرية في بغداد: صدام سجل في مفكرته ما قلته حول ضرورة تنحيته"، ***الشرق الأوسط***، ع8905، 16 أفريل 2003.

2. فاليري لفيمانوف، "يا رفاق،انتم متجهون للحرب"، مقاتل من مجموعة المرتزقة الروسية المرتبط "بطاهي بوتين" يمنح ميدوزا أول مقابلة من نوعها، **جريدة ميدوزا**، 2020/12/10

3. نوفل أحمد سعيدوآخرون، "الأزمة الليبية إلى أين؟"، الأردن: **مركز دراسات الشرق الأوسط**، العدد 13، مارس 2017.

التقارير

1. أندرو سكوبيل وأليزرا نادر، **الصين في الشرق الأوسط: التنين الحذر**، تقرير مؤسسة راند، الولايات المتحدة الأمريكية، 2016.

2. الشيخ نرهان، *"**الموقف الروسي من الثورات العربية: مجلة البيان**"*، التقرير الاستراتيجي التاسع، (د س ن).

3. عبد الناصر العايد، **التدخل العسكري الروسي في سوريا: الدواعي والتداعيات والآفاق**، تقرير صادر عن مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2015/10/01.

4. علي حسين باكير، **مسار أستانا: الدول الضامنة ومسارات التسوية**، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، تقرير صادر بتاريخ 1 أوت 2019.

5. مركز الملك فيصب للبحوث والدراسات الإسلامية، **فك رموز التدخل الروسي في سوريا، ماذا ستخسر موسكو؟**، تقرير صادر بتاريخ: ديسمبر 2015.

6. المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، **الدور الروسي في ليبيا سياق للحرب الباردة الجديدة**، تقرير صادر قي أكتوبر 2016.

الدراسات:

1. منى حداد، **قراءة في تاريخ العلاقات العربية الصينية وسبل تعزيزها**، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 2017.

2. مي عيث، ***التدخل الروسي في سوريا والسيناريوهات***، تقدير موقف، مصر: المعهد الوطني للدراسات السياسية والإستراتيجية، 25 نوفمبر 2015.

المواقع الإلكترونية:

1. اتفاقية ألغت اتفاقية "سيفر" فرضها المنتصرون في الحرب العالمية الأولى على الدولة العثمانية تتكون من 143 مادة على وثيقة وميثاق ملحق. لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على الموقع الالكتروني:https://www.orientresearchcentre.com (20/09/2020)

2. أحمد جمعة، ليف دينغوف لليوم السابع: "حفتر والسراج ناشدوا استئناف العقود العسكرية الموقعة في عهد القذافي، حوار نشر بتاريخ 18 فيفري 2018 على الموقع الالكتروني:https://www.youm7.com/story/2018/2/18 (22/01/2019)

3. أكثر من 63000 عسكري روسي ساهموا في العملية الروسية في سوريا، مقال منشور بتاريخ: 2018/08/23 على الموقع الإلكتروني: https://www.bbc.com/arabic/middleeast-45282591 (16/03/2020)

4. أول رئيس للاتحاد الروسي من 1991 إلى 1999، انتُخب بنسبة 57 بالمائة من الأصوات، ووضع إصلاحات جذرية سنة 1992، أدت إلى تدهور مستوى المعيشة. توفي في 2007/04/23. لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على الموقع الإلكتروني: http://www.marefa.org، (2019/12/24).

5. ايغور دولانويه، ***السلم الروسي في الشرق الأوسط: ما هي إحتمالاته؟***، 2019/12/17 على الموقع الالكتروني :https://orientxxi.info/magazine/article3501(08/11/2020) ,

بماذا تتاجر روسيا ، مأخوذ من الموقع الإلكتروني :

6. ***بوتين: "بدلا من الإصلاح أدت الثورات إلى تدخل أجنبي وتدمير المؤسسات الوطنية"*** الموقع الرسمي للأمم المتحدة. https://news.un.org/ar/story/2015/09/237022(08/09/2020) ,

7. ثاني أكبر منظمة بعد الأمم المتحدة تضم 57 دولة تأسست في 1969/09/25، لمزيد من المعلومات يرجى زيارة الموقع الرسمي: http://www.oic.org/page/?p_id=56&p_ref=26&lan=ar

8. داعش.. الولد الهجين بصناعة أمريكية فاخرة، مقال منشور بتاريخ 2016/09/22: http://www.almubarek.org/2016/09/22/59385 (2020/11/05).

9. دبلوماسي روسي ومهتم بشؤون الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، رئيس الجمعية الروسية للصداقة والتعاون مع الدول العربية، لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على الموقع: http://www.sana.sy/(05/11/2020)

10. رؤساء الاتحاد السوفييتي.. بوريس يلتسن و"العلاج بالصدمة"، مقال منشور بتاريخ: 2018/03/12، مأخوذ من الموقع الإلكتروني: http://ar.rt.com/jyws، تم تصفح الموقع بتاريخ: 2019/12/25.

11. ***روسيا والصين تستخدمان حق الفيتو في مجلس الأمن بشأن قرار ضد سوريا***، الموقع الرسمي للأمم المتحدة: https://news.un.org/ar/story/2011/10/149292(24/10/2020) .

12. ***روسيا: الوضع في سوريا لا يشكل تهديدا للسلم والأمن الدوليين والتهديد الحقيقي هو التدخل الدولي***، الموقع الرسمي للأمم المتحدة. 2011/04/27: https://news.un.org/ar/story/2011/04/144402(24/10/2020) .

13. رئيس روسيا، عميل سابق في جهاز المخابرات الروسية، تولى رئاسة بلاده لولايتين متتاليتين، ثم أصبح رئيس وزراء قبل العودة إلى الحكم والرئاسة، ليفوز بولاية رابعة عام 2018. لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2015/2/2/Vladimir/Putin ، (2019/12/24).

14. شركة عسكرية خاصة تقوم بعمليات مأجورة في عدة دول من العالم على غرار سوريا وليبيا، وتشير تقارير أنها مملوكة لرجل الأعمار الروسي "يفغيني بريغوزين" (Evgeny prigozlin) الذي يطلق

عليه اسم طباخ بوتين (putin's chef) لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على الموقع الإلكتروني: https://meduza.io/en/feature/2020/12/03/guys-you-re-destined-for-war (2020/12/04)

15. كيسينا لوجينوفا، عندما يأتي الغد: ماذا ستفعل روسيا في سوريا، جريدة إزفيستيا، 2020/09/13 على الرابط: https://iz.ru/1059721/kseniia-loginova/kogda-nastupit-zavtra-chto-budet-delat-rossiia-v-sirii-posle-okonchaniia-voiny (29/12/2020)

16. لافروف: الحرب ضد الإرهاب يجب أن تقوم على أساس قوي من القانون الدولي، الموقع الرسمي للأمم المتحدة 2014/09/07: https://news.un.org/ar/story/2014/09/209712 (08/11/2020)

ليون/تروتسكي http://www.marefa.org/، تم تصفح الموقع بتاريخ: 2019/07/22.

17. محمد اليمافي، سوريا تطلب مزيدا من الاستثمار الروسي بعدما اضرت عقوبات أمريكا بالاقتصاد، مقال منشور في وكالة رويترز بتاريخ 2020/09/07 على الموقع الإلكتروني: https://www.reuters.com/article/syria-russia-fm-meeting-lands-eaz-idARAKBN25YOZD (2020/09/20)

18. مرصد التعقيد الاقتصادي (Observatory of Economic complexity) (OEC) عبارة عن منصة لعرض البيانات وتوزيعها عبر الانترنت، لمزيد من المعلومات يرجى زيارة الموقع الإلكتروني: https://oec.world/en/resources/about

19. مركز أبعاد للدراسات والبحوث، عودة روسيا إلى اليمن، تقرير منشور بتاريخ: 2020/03/21، على الموقع الالكتروني: https://abaadstudies.org/news-59834.html (16/10/2020)

20. المعلم: بناء قاعدة صلبة من التعاون الاستراتيجي في المجال الاقتصادي بين سورية وروسيا، زوغوزين: مصممون على مساعدة سورية في إحياء اقتصادها، الجمهورية العربية السورية، وزارة الخارجية والمغتربون، على الموقع الالكتروني: http://mofa.gov.sy/ar/news/596/ (21/12/2020)

21. من جنيف 1 إلى جنيف 8... ماذا تحقق؟: على الموقع الإلكتروني https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2017/3/4 (28/10/2020)

22. منظمة عربية إقليمية ذات طابع دولي، تم التوقيع على ميثاقها في مدينة بيروت في 09 جانفي 1969 بين السعودية والكويت وليبيا. تتعاون الدول الأعضاء في مجال طاقة البترول والغاز لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على الموقع الإلكتروني: http://www.oapecorg.org/ar/Home/About-Us/History

23. وزير النقل: عقد استثمار مرفأ طرطوس مع الجانب الروسي، وكالة الأنباء السورية 2020/04/20، على الموقع الالكتروني: http://sana.sy/?p=938626 (25/04/2020)

- **المراجع باللغات الأجنبية**

اللّغة الإنجليزية

الوثائق:

1. Filand, Ministry for foreign affairs, strategy for development cooperation, ***the midlle east and north africa 2017-2020***, 2020

2. Republic of Lithuania, ***State Security Departement of the Republic of Lithuania, National Security Threat Assessment,*** 2016.
3. Russia federation, council of federation, ***federal low N°: 50FFZ on counteraction against terrorism***, 31 december 2014, article 5.
4. Russia Federation, ***Russian Military Power,*** Defense Intelligence Agency, 2017
5. Russian Federation, ***Military Doctrine of the Russian Federation***, 2014
6. Russian Federation, ***National Security Strategy of the Russian Federation to 2020***, Decree of the President, N537, May 12, 2009
7. Russian Federation***, Russian National Security Strategy***, Presidential Edict, N683, December 31, 2015.
8. United States of America, ***National Security Strategy***, December 2017.

الكتب:

1. A.HartuellChristopher, « Russianeconomic policyin the MENA region :a means to political ends » in Aleksandra chmielewska,***the role of Russiain the middle east and north africa region.Strategy or apportunism?*** (spain :ministry of forgeign affairs and cooporation,2019)
2. Akl Ziad, « Russia and post-arab spring political elites in Egypt, Libya and Syria », ***in Alexandra chmielewska, the role of russian in the middle east and north africa region strategy or opportunism ?,*** (spain :the european institute of the mideterrean, April 2019).
3. BlankStephen, « Russia's middle eastern position in 2025 » in theodor karask ans Stephen Blank***, Russia in the middle east***, (united states of america : the jamstown foundation ,2018).
4. BoeshchevskayaAnna, ***Russia in the middle east :is there an endgame?***,(USA:the Washington institule for near east policy , January 2019).
5. Borshchevskaya Anna, ***Russia in the middle east motives, consequences, prospects***, (USA: Washington institute for near east policy, 2016).
6. Daugin Alexander, ***last war of the world,Island the geopolitics of contomporaiy Russia***, (England : arkeos, 2015),
7. Daugin Alexander, ***Putin vs Putin Vladimir Putin view from the night***, (Russia: Arkotos,2014).
8. Daugin Alexander, **The Fourth Political Theory**, (Russia: Arktos 2012).
9. Facon Isabelle, ***Russia's quest for influence in north africa and the middle east***, (France : fondation pour la recherche strategique,2017).
10. GrayColin, ***Strategy and History***, (London and New York: Routledge Taylor qnd Francis group, 2006)

11. Harari Yuval Noah,***Homo Deus a brief history of tomorrow***(,Australia:HarperCollins Publishers,2017).
12. Kazlanov Nikolay, ***Russian policy across the Middle East motivations and methods***, (England : the Royal institute of international affairs, 2018).
13. Nation R.craig, « US interest in the new eurassia » in r.craig.nation and Dmitri ternin ,***Russian security strategy under putin : US.interests in the new eurassia***, (USA : Strategic studies institute, 2017.
14. Nation R.craig, « US interest in the new eurassia » in r.craig.nation and Dmitri ternin ,***Russian security strategy under putin : US.interests in the new eurassia***, (USA : Strategic studies institute, 2017).
15. Radin Anderew Radin, Clint Reach, ***Russia View of the International Order,*** (USA : RAND Corporation, 2017).
16. SutyaginIgor, ***Russian policy in the middle east and north africa***, (Spain: IEMed, Mediterranean year book, 2017).
17. ternim Dmitri, « what drives Russia's policy in the middle east » in Nicu pepescu and stanislav secriru, R***ussia's return in the middle east building sandcastles*** ?, (paris :luxemburg imprimrie, Eu institute for security studies,2018).
18. Watanabe Lisa Watanabe, « Russia's renaissance in the arab world » in Michel Haas and others, ***strategic trends 2019 key developements in global affairs***, (Switzerland : center of sécurity studies, 2019).
19. WeathersbyKathryn, « Stalin and the Korean War », in : Melvyn Leffler & David Painter (Editors), ***Origins of the Cold War, An onterion History,*** (Newyork & London : Routledge Taylor Francis group, 2nd Edition, 2005).

المقالات:

1. Daugin Alexander, "The Multipolar World and The Post Modern", ***Journal of Eurasian Affairs***, V02, N1, 2014.
2. Ellement Ndidi oligie, « why russia is involved in the Syrian civil war : one issue, many view », **relationes internationales**, vol 12, no1 , (2019),
3. Ethan Chorin , «Russia's Strategic waiting game in Libya », ***Barcelona centre for international affairs,*** 11/2017,
4. Golam Mostafa, ***« The concept of Eurassia : Kazakhstan's Eurassian Policy & its implications »,*** Journal of Eurassian Studies, N04, (2013), PP(160-170), Gobar Vona, "SOME Thoughts on the creation of intellectual Eurasiansism", ***The Journal of Eurassian Affairs***, V1,N2, 2014.
5. H G Makinder, the geographical pivot of history (1904) ***",the geografical journal***, ***"***vol 23,n 04, April 1904.
6. Hamidreza Aziz, « Russian arms trade approch in the middle east and north africa (MENA): economic and strategic aspects », ***geopolitics quartery***, volume 14, N°=4, winter, 2019.
7. Robert Istob, Dominaka Plawcanorka, Russian Geopolitics and Geopolitics of Russia : Phenomenon of Space, Europe : European Journal of Geopolitics, 1, 2013, (P P.61-94), (P P.76-77).

الدّراسات:

1. Andrew Lynn and others, **Future of Russian military**, USA,RAND corporation, 2019.

2. Becca wasser, **The limits of Russian strategy in the Middle East,**USA,RAND coporation, november 2016.
3. Christine Wormoth, **Russsia and China in Middle East, Implications on the United States in erea of stratregic competition**, USA, **Rand Corporation**, 2019.
4. Emily Estelle, **A strategy for success in Libya**, USA, American entreprise institute,2017.

5. European Union, **Global Trends to 2035 Geopolitics and internatioal power**,European parliamentary research service, 2017.
6. Facon Isabelle, **Russia's quest for influence in North Africa and the Middle East**, France,fondation pour la recherche strategique,2017.
7. Hanna Notte, **Russia's role in the syrian war-domestic drivers and regional implications**, maison du futur, policy paper n°=28, january 2017.
8. Igor Delanoe, The kurds :**A channalof Russia influence in the middle eat?**,USA , Brwelle, Ifri research center, june 2015.
9. James Sladen and others. **Russian strategy in the Middle East**, USA,RAND corporation,2017.
10. kuimova Alexandra, ***Russia's arms exports to the MENA region: trends and drivers***, Italy, italianinstitute for international political studies,N=°95,2019.
11. László poti, **Russian policies towards the MENA region**, European union's horizon 2020 research and innovation programme, working paper 2018.
12. Luigi Narbone and others, **Inside wars local dynamic of confliction Syria and Libya**, Italy, European universuty, 2016.
13. Mark N katz, **Russia andarab spring**, washington, middle east institute, 03/04/2012.
14. United States of America, Commitee on Foreign Affairs House of Representatives, Chinese and Russian influence in Middle East, n:116-37, May, 2019.
15. Mark N.Katz, **Russian intervention in Syrian civil war** , Russian anatycal digest, Germany, n175, 16 November 2015.
16. Marsel de Haas, **Medvedev's Security Policy : A Provisional Assessement,** Russian analytical degguest, Russia, N68, June 2009.
17. Mokhmad Akliyanov, **Russia's strategy in Libya**, Turkey,Human and social research center, 08/07/2020.
18. Nikolay Kazamov, **Russia policy across the Middle East Motivations and methods**, London, the royal institute of international affairs, 2017
19. Nikolay Kozkanov, **Russian policy Across the Middle East motivations and methods**, England, chathan house, the royal institute of internationak affairs,2018.
20. Richard Cherif and others, **Riding The Energy transition : Oil beyond 2040**, International Monetary Fund, working paper n wp 17/120, May 2017.
21. Richard Connolly and Cecilie Sendstad, **Russia's role as an arm exporter the strategic and economic importance of arms exports for Russia**, London, the royal institute of international affairs chathan house, 2017.
22. Sergey Denisentev, **The arms fade treat and Russian arms export : expectations and possible consequances**, Russia, centre for analysis of strategies and technologies ,2012.
23. Sipri fact sheet, **Trends in international arms transfers, 2019**, stockhalm, march 2020.
24. Stephen Blank, **Russia in Middle Eastern position in 2025**, Jamestown foundation, November 2018.

الجرائد والمجلات:

1. Stephen Walt, "Making Middle East Wars, Trump Style", ***Foreign Policy***,June, 2017.

التّقارير:

1. Andrey Kortonov and Joost Hilterman, squaring the cirale : Russian and european views on Syrian reconstruction, report N°=48/2019 **international affairs council** , june 5,2019.
2. Edgan Güll and others, imaging future(s) for the middle east and north africa, european union, **MENERA project**, report 09/03/2019.
3. Faysal Itani and Tobias Schider , rebuilding Syria, part1 , **Atlantic council policy**,report, december 2017.
4. Grzegorz Kuezynski, Putin's constitution, **warsaw institution**, special raport, 30/06/2020.
5. Haukkala Hiski& PopescoNicu**,** Russian Future Horizon 2025,France, **EU Institute for Security Studies**, Report N26, March 2016.
6. Manco Giddi, Marien Kaczmanski, Russian and China in Middle East, Filland,**Fiminish institute of International Affairs**, Report n : 275, November.2019
7. Russian future horizon 2025, **European institute for security studies**, report N°26, March 2016.
8. Tim Eaton, comparing the war economies of Syria and Libya, Iemed center, Report N°=150/02, 2018.

المواقع الإلكترونية:

1. Abdulah AL-Ghadhawi, vighurs jihadists in Syria, newlines institute for strategy and policy, march, 18,2020, on web site: http://newlinesinstitute.org/ujhurs/uighurs-jihadists -in-syria/, (06/03/2021).
2. Alexei Anishchuk, Gadddafi all cost Russia tens of blns in arms deals, reuters 02/11/2011, on web site :https://www.reuters.com/article/russia-libya-arms-idUSL5E7M221H20111002 (27/01/2021).
3. Anna Borshchevskaya, the tactical side of Russia's arms sale to middle east, the jamestown foundation, 20/12/2017, on web site :http://jamestown.org/program/tactical-side-russias-arms-sales-middle-east (28/01/2021).
4. Aref Bijan, importance of the libyan crisis for Russia after the arab spring, Russian international affairs council, December 13,2019, on web site : https://russiancouncil.ru/en-analysis-and-comments/columns/africanpolicy/importance-of-the-libyan-crisis-for-russia-after-arab-spring, (06/12/2020).
5. Eugeme Chosovsky, The even-shifting strategic triangle between Russia China and US on Web site :http://worldview.Stafor.com/article/ever-shifting-strategic-traiqngle-between-russiq-chinq-relqtions/. (29/09/2019).
6. Growth and stability in the middle east and north africa, international monetory fund, on web site :http://www.imf.org/external/pubs/ft/mana/04ecom.html. (10/09/2020).
7. How does 5 countries could became 14, the new york times , 28/09/2003, on website:https://archive.nytimes.com/www.nytimes.com/interactive/2013/09/29/sunday-review/how-5-countries-could-become-14.html(05/09/2019).
8. Jhon Calabrese, Chinq and Syria in war and Reconstruction, July 9, 2019, in web site: http://www.mei.edu/publications/china-and-syria-war-and-reconstruction, (08/03/2021).

9. Jonathan steele, yevgemy primakov obituany, The Gardian, Sun 28 Jun, 2015, on website :thegardian.com/world/2015/jun/28/yeveny-bermkor, (28/2/2021).
10. Kathy Daly & Will England, Putin wins elections as Russian president, opposants claim widspread frand, The Washington Post, March 04, 2012, On web site :http://www.wadhingtonpost/com/world/russians-voting-and watching/012/03/04/glQA3j6CqR_Story.html.
11. Lama Fakih, Russia makes a killing off its military support to Assad, human right watch, 13/03/2018, on web site :https://www.hrw.org/news/2018/03/13/russia-makes-killing-its-military-support-assad (27/01/2021).
12. Lincoln pigman , Kyle orton, ***inside putin's Libyan powerplay***, Foreign Policy, 14/09/2017, on web site : https://foreignpolicy.com/2017/09/14/inside-putins-libyan-power-play/ , (20/11/2020)
13. Mark N.Katz, Russia and arab spring, middle east institute, April 3rd ,2012, on web site :https://www.mei.edu/publications/russia-and-arab-spring ,(15/10/2020)
14. Results of Russian Presidential elections 2018, Central Election Commission of the Russian Federation, On web site : http://www.cikrly.ru/eng/information-center/results-of-russian-presidential-elections-2018.php, (20/11/2020)
15. Russian Federation, Executive order on sanctions against Libya, on kremlin official web site, http://en.kremlin.ru/catalog/countries/LY/events/10558 .(10/11/2020)
16. Russian federation, Kremlin, Dmitry Medvedev addressed the world ecomic forum in davos, 26/01/2011 , on web site : http://www.kremlin.ru/events/presidant/news/10163 (10/10/2020)
17. Russian Federation, Kremlin, ***National Security Concept of the Russia Federation,***http://www.mid.ru/en/foreign_policy/official_documents/-/asset_publisher/CptlCKB/content/id/589768 , Visited on: 16/01/2020.
18. Russian federation, Kremlin, Satement by Dmitry Medvedev on the situation in Libya. On web site : http://en.kremlin.ru/catalog/countries/LY/events/10701 (10/11/2020)
19. Russian federation, Kremlin, statement by presidant of Russia on the situation in Egypt , on web site : http://www.kremlin.ru/events/presidant/news/10321 (15/10/2020).
20. Sipri yearbook 2020 Armements, desarmement and international security, 2020, on web site :http://siri.org/yearbook//2020/02 (25/01/2021).
21. Stephen Blank, « Russia's Middle eastern position in 2025 », the james town founation, november 20, 2018. On web site : https://jamestown.org/program/russias-middle-eastern-position-in-2015/ (20/12/2020)
22. Stephen Blank, Imperial Strategies : Russia4s exploritation of ethnic issues and policy in Middle East, The Jamnestown foundation, 20/12/2017, on website : http//www.jamestoumfoundation, (26/12/2019).
23. Stockholm international peace research institute ، sipri year book ،2018 armement and disanmement and international seanity ، http :// www sipri-org /year book 05/26/07/2018
24. Stokholm international peace research institute, SIPRI yearbook, 2018, armemant, desarmenant and international security, https://www.sipri.org/yearbook/2018/05 , (06/07/2018)
25. The Basic Provision of the Military Doctrine of the Russian Federation, On the site web :http://fas.org/nuke/guide/russia/doctrine/russia-mil-doc.html , (26/12/2019).

26. UNITED STETES OF AMERICA *"، THE WORLD FACT BOOK* ، "CIA LIBERTY ، ON .WEB SITE: http :// WWW.CIA.GOV/LIBRARY/ PUBLICATION / THE WORLD – yearBOOK /GEOS /RS. HTML(20/02/2020)

27. US dept of defense, Russia, wagner groupe continue military involvement in Libya, July 24, 2020 , on web site : https://www.defense.gov/Explore/News/Article/Article/2287821/russia-wagner-group-continue-military-involvement-in-libya/#pop4394597(29/07/2020)

28. US. Energy information administration, on web site :http ://www.cia.gov/todayinengy/detail.php?id=43735..

29. USA, The UN refuge Agency, UNHCR global appeal 2012-2013 libya, on web site : https://www.unhcr.org/publication/fundraising/4ec23100/unhcr-global-apeal-2012-2013-libya.html, (16/10/2020)

30. Witold Rodking, Russia'sMiddle Eastern Policy, Regional Ambitions, global objectives, Warsaw, Centere for Eastern studies, Report n 71, December 2017Worldbank official website: http://data.albankaldawli.org/country/Zp, (16/10/2020).

اللغة الفرنسيّة:

الكتب:

1. federovskivladimir,***Poutine l'itinerere secret***, (France: Editions des Rochet).

اللّغة الفارسيّة:

1. ***ریاباکوف: روسیه از طرح امنیتی ایران برای تنگه هرمز حمایه من کند***،18 شهر یور 139.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مكتب موسكو العالمي، ***ریاباکوف: روسیا تدعم خطة إيران الأمنية لمضيق هرمز***، 17 نوفبر 2009، متوفر على الموقع الالكتروني:

https://fr.irna.ir/a/np/83546040 , (23/09/2020)

2. على قاسمی،*"ژئوپلیتیک تنگه هرمز و مزایای امنیتی - اقتصادی آن برای ایران"*، ***روزنامه بصیرت***، 16 سبتمبر 2012.

علي قاسمي، "جيوبوليتيكا مضيق هرمز وفوائده الاقتصادية والأمنية لإيران"، ***جريدة البصيرة***، 16 سبتمبر 2012، متوفر على الموقع الالكتروني:

http://bassirat.ir/fa/news/246202/, (22/09/2020)

اللّغة الرّوسيّة:

1. ***Mecto apabck Их CTpaH B C ИCTEMEЖДУHAPOДHBIX OTHШEH И И***

مكانة الدول العربية في منظومة العلاقات الدولية، على الموقع الالكتروني:

http://www.iimes.ru/?p=8426, (20/09/2020)

2. Земцова Юлия Алексеевна, ***Курдский вопрос в современной системе международныхотношений***, Екатеринбург, 2017 .

زيمتسوفا جوليا أليكسيفنا، ***المسألة الكردية في النظام الدولي للعلاقات الدولية***، ايكاترينبرج، 2017.

3. ксения погчнова, ***когданастчмит Зарта :что будет делать россия сирии после окончания войны***, и3вестия, 13/09/2020

كسينيا بوجشنوفا ، ***عندمايأتي فجر 3 مارس: ماذا ستفعل روسيا في سوريا بعد نهاية الحرب***، النشرة الإخبارية ، 2020/09/13.

قائمة الملاحق

المقابلة

المقابلة

تمّ إجراء المقابلة بتقنية (ZOOM) بتاريخ 27 أفريل 2021 على الساعة 12:00 بتوقيت الجزائر وانتهت على الساعة 13:30.

نص المقابلة:

الباحث:مرحبا السّيّد "دوغين"، لي الشّرف أن أكون معك في هذه المقابلة المتعلّقة بمناقشة أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ: **إستراتيجيّة روسيا تجاه الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا ـ دراسة مقارنة بين سوريا وليبيا**.

بداية العديد من الباحثين في الجزائر لا يعرفون من هو السيد ألكسندر "دوغين"؟.

دوغين: أنا فيلسوف كتبت أكثر من 60 كتاباً في مواضيع مختلفة كالأنثربولوجيا، فلسفة عامة،جيوبولتيك العلاقات الدوليّة، الفلسفة السياسيّة، أنا خبير في السيّاسة الدّوليّة والعلاقات الدّوليّة، شاركت في العديد من المحافل الدّوليّة والمحليّة، كنت رئيس قسم العلوم الاجتماعيّة في جامعة موسكو والآن أسّست مدرسة جديدة في المسرح الرّئيسي لموسكو.

عندما جاء السّيد بوتين إلى السّلطة بدأ يشارك العديد من أفكاري بصورة كبيرة، أنا لست مستشاره لكنّه طبّق العديد من أفكاري، لم أكن يوماً في حياتي شيوعياً، بل محافظاً مسيحيّاً من الأرثوذكس.

الباحث: شكراً السيد "دوغين، كلّ هذه المواضيع سنناقشها معاً في الدّقائق القادمة، سترتكز هذه المقابلة على خمس نقاط أساسية.

أولاً، نبدأ بكتابك "صعود النّظرية الرابعة"، ما هي أهمّ ركائزها؟.

دوغين: جاءت فكرتي من أنّنا نحتاج لنظريّة نقدية يمكنها مواجهة اللّيبراليّة والرّأسماليّة، وقد لاحظنا أنّنا عندما بدأنا في نقد النّظريّة اللّيبراليّة وقعنا في الفخ، وأجبرنا على قبول الاشتراكيّة الشّيوعيّة أو القوميّة الفاشيّة، فالنّقد الموجّه للّيبراليّة يجرّنا إلى إحدى النّظريّتين المذكورتين، وفي خضمّ كلّ ذلك تأثّر علم السّياسة بالحداثة الغربيّة، عند رفضنا للّيبرالية نحن لسنا مجبرين على أن نكون اشتراكيّين ولا قوميّين، من هنا ظهرت الحاجة إلى النّظريّة الرّابعة الّتي تكون ضد اللّيبرالية، ولكنّها في الوقت نفسه لا تنتمي إلى أيّ من النّظريات المذكورة الأخرى.

الباحث: هل يمكنني استعمال النّظرية السيّاسيّة الرّابعة في تحليل موضوع الأطروحة؟ وكيف ذلك؟.

دوغين: بعد انهيار الشّيوعيّة أصبح اللّيبراليّون يرون وجود نظريّة سياسيّة واحدة لأنّ كل الفلاسفة الغربيّين يؤمنون بأطروحة "فوكوياما" "نهاية التّاريخ"، وغاب عن اللّيبراليّة العدو فأصبحوا يتصوّرونه فاقترحوا الإسلام الرّاديكالي كعدو، وتأتي روسيا على رأس هذا التّصوّر لكنّه تصوّر خاطئ يدخل في الدّعاية اللّيبراليّة وغير صحيح، وفي الوقت نفسه هم يحاولون استخدام المعارضة الرّوسية والإسلام الرّاديكالي.

عندما جاء بوتين للسّلطة أصبحت روسيا قطباً حقيقياً، لكنّها ليست ليبراليّة، ولا شيوعيّة، ولا قوميّة وصارت فاعلاً وليست مفعولاً فيه، وبالتّالي يجب إنشاء نظريّة سياسيّة جديدة، لسنا أعداء للولايات المتّحدة الأمريكيّة، ولكنّنا شركاء، المستقبل في عين بوتين متعدّد الأقطاب يقوم على مساحات كبيرة من التّحالفات أو التّكاملات مثل: منطقة أوراسيا، العالم الإسلامي، الهند، الصّين، أوروبا، ويتيح كل ذلك حقّ البحث أو الدّفاع عن هوية كلّ منطقة وحضارتها وبنيتها الاجتماعيّة، يحدث ذلك في ظلّ سعي أنصار التّيّار اللّيبرالي والعولمة لفرض نظامهم، ولا يمكن كسر هذه النّظرة وهذا السّعي إلاّ عن طريق نظام متعدّد الأقطاب يمثّل عدة حضارات ببنى مختلفة.

الباحث يعقب: الولايات المتّحدة الأمريكية تعتمد على العولمة لتمرير أفكارها لكنّ روسيا ومفكّريها من أمثالك يحاولون إنشاء نظام دولي ليس أحاديا ولا ثنائيا، بل متعدداً تكون روسيا أحد أقطابه.

دوغين: نعم، بالضّبط هذا ما أردت قوله.

الباحث: نمر الآن إلى المدخل العام لإستراتيجيّة روسيا، مثّل التّدخّل العسكري الرّوسي في جورجيا 2008 عودة موسكو بصفتها قوة في النّظام الدّولي، ما هي أهمّ مؤشّرات هذه العودة؟.

دوغين: في البداية عمل بوتين على إخراج روسيا من النّظام النّقدي العالمي ومؤسّساته، البنك الدّولي صندوق النّقد الدّولي، وأصبحت روسيا مستقلة أكثر فأكثر عن النّظام الاقتصادي والمالي الغربي، الّذي يفرض عليها عقوبات، ورغم ذلك تتعافى تدريجيّاً على المستوى الدّاخلي صناعيّاً، وتتمتّع بسيادة اقتصاديّاً.

النّقطة الثّانية أنّ روسيا بدأت تخرج شيئاً فشيئاً باستقلاليّة في مجال الاتّحاد السّوفياتي سابقاً، وتحاول إنهاء النّزاعات كما تشاء، ما منحها مزيداً من الاستقلاليّة الجيوبوليتيكيّة.

أخيراً روسيا بدأت تخرج من حدودها التّقليديّة، وتأتي عودتها للشّرق الأوسط وشمال إفريقيا للأسباب التّالية:

- الدّفاع عن المصالح القوميّة.
- الدّفاع عن المصالح الجيوبوليتيكيّة.

- الحفاظ على تحالفاتها في المنطقة، هذه هي أبعاد إستراتيجيّة روسيا في الإقليم.

الباحث: لقد أصدرت كتابين متعلّقين ببوتين "بوتين في مواجهة بوتين"، وكتاب "ظاهرة بوتين"، وقد قرأت في أحدهما أنّه مثل الميكانيكي وهو ليس في المرحلة السوداء، ولا البيضاء، بل في المرحلة الرمادية، ماذا تقصد بوصف الرمادية؟

دوغين: بوتين ليس محبوباً لدى الغرب، وهم يرونه في صورة سوداء، لكنّه ليس كذلك في اعتقادي لأنّهم مخطئون في حقّه، وفي الأصل هو لا يشبهني لأنني راديكالي ضدّ الحداثة ومعادي للأطلسيّة والرّأسماليّة واللّيبراليّة، لكن الغرب يرونه مثلي ويعتقدون أنني خلفه وأنا من يسيطر على شخصيّته وهم مخطئون وفي كتابي وضّحت كل هذه الأفكار.

أتشارك مع بوتين في النّصف لكنّه في النّصف الآخر ليس كذلك، فهو ليبرالي اقتصادياً، لا يحمل أي شيء ضدّ الرّأسماليّة، وليس محافظاً من حيث الأيدلوجيّة رغم أنّه معجب بها، وهو يتقبّل من حين لآخر بعض الأفكار، ولا تتحكّم فيه الأفكار بل الواقعيّة، فهو يشقّ طريقه بيني وبين الغرب الّذي لا يرى ذلك وهذا ما حاولت توضيحه بأنّه يجب علينا تقبّل الوجه المزدوج لسياسات بوتين.

أتذّكر عندما جاء للسّلطة في البداية لم يكن معنا في التّوجّه، بل كان مع الحركة المنسوبة ليلتسن وبعد ذلك أصبح تدريجيّاً معنا في نفس التوجّه.

الباحث: ذكرت هيلاري كلنتون في كتابها "أيّام صعبة" أنّ بوتين رجل قوي واللّعبة معه صفريه، هل رأيها صحيح؟.

دوغين: نعم، بوتين رجل قوي، لكنّه في الوقت نفسه واقعي، ويتّبع المنطق الواقعي في العلاقات الدّوليّة وهذا يعني أن سيادة روسيا بالنّسبة إليه تأتي في المقام الأول، ويمكن وصفه بالبراغماتيّة، بل هو لاعب جيد جداً في الواقعيّة، وقد يكون الأفضل على الإطلاق لأنّه يتحرك في إطارها وفي الوقت نفسه يحافظ على سيادة البلاد.

الباحث يعقّب: يمكن اعتبار السّيد بوتين براغماتي أكثر منه واقعي.

دوغين: بالنسبة لي الواقعيّة هي نفسها البراغماتيّة، وبوتين براغماتي وواقعي، لكنّه ليس واقعي التّفكير (لا يتبنى النّظريّة الواقعيّة).

الباحث يعقّب: هل تقصد أنّه براغماتي وواقعي في الوقت نفسه.

دوغين: بالضّبط هذا ما أقصده.

الباحث: لاحظنا في السّنوات الأخيرة عودة قوية لروسيا في عهد بوتين، هل يمتلك إستراتيجيّة مختلفة عن الرّؤساء الّذين سبقوه؟.

دوغين: بوتين عكسهم تماماً خاصّة "غورباتشوف" و"يلسن" اللذين دمرا البلاد وكانا مواليين للّيبراليّين وموالين للعولمة وعرّضا حدود بلادنا للخطر والأعداء، كلّ السّياسات الّتي اعتمدها بوتين أوقفت كلّ ما فعلاه، ويعتبر كالأبيض والأسود إذا ما قارنّاه بهما.

الباحث: الآن نناقش دور روسيا في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا، ماهي أهم القطاعات التي تعتمد عليها موسكو لتثبيت موطئ القدم؟.

دوغين: في البداية فكرة الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا أنشئت من طرف الولايات المتّحدة الأمريكيّة من أجل تقسيم الإقليم وتغيير الحدود وضمان تفوّقها، ويأتي التّدخل الروسي خاصة في سوريا لمواجهة هذه الممارسات، ثم تثبيت موطئ القدم ليس من أجل المصالح القومية فقط، بل إعادة توزيع القوى وميزان قوى جديد مختلف، وهذه الإستراتيجيّة قد نجحت بدليل أن تدخّلنا في سوريا قد دمّر الهيمنة الأمريكيّة، وغيّر ميزان القوى بين الشّيعة والسّنّة، العربيّة السّعوديّة، تركيا، إيران، العراق.

النقطة الثانية تتمثل في وقف تمدد السلفية الجهادية والإسلام الراديكالي وتنظيم الدولة خاصة.

الباحث يعقّب: هذا ما يؤدّي إلى استنتاج أنّ روسيا بكلّ هذا تحاول كسر "إستراتيجيّة الأنكوندا"

دوغين: بالضّبط من النّاحية الجيوبوليتكيّة يعتبر كسر هذه الإستراتيجيّة أهمّ الأهداف إضافة إلى الحدّ من انتشار الإسلام الراديكالي.

الباحث يعقب: مثل الإرهابيّين منالدّاغستان والشّيشان.

دوغين: بالضّبط، الهدف الثّالث لروسيا هو ضمان التّواجد العسكري والاقتصادي ما يفسّر أيضاً التّوجّه التّدريجي نحو ليبيا ودول إفريقيا، وهذا ليس نوعاً جديداً من الاستعمار كون روسيا لا تفرض الأيديولوجيا ولا تعيق النّمو الاقتصادي، إنّه نوع من تعديل القوى، وهذا عامل مهمّ جداً جداً لأنّه يجسّد قوتّنا ضدّ القوة الأمريكيّة في سعينا لخلق نظام متعدّد الأقطاب حقيقي في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا.

الباحث: سيد ألكسندر دوغين له علاقة خاصة مع الجيوبولتيك لدرجة أنّك ألّفت ثلاث كتب على الأقل مثل الحرب الأخيرة لجزيرة العالم، أسس الجيوبولتيكا ومستقبل روسيا الجيبولتيكي، ما سبب هذا الاهتمام الكبير بالجيبولتيك؟.

دوغين: بدأت الاهتمام بالجيوبولتيك في بداية التّسعينيّات عندما بدأت روسيا تخسر قدرتها على التّحكم في نطاقها ومكانتها، وتمّ مهاجمتنا من قبل الرّأسماليّة، لذلك يعتبر الجيبولتيك كحلّ للإستراتيجيّة العسكريّة، ولقد طوّرت مدرسة الجيبولتيك في الأكاديميّة الحربيّة الرّوسيّة، لدى روسيا العديد من العمداء والألوية (رتب عسكرية) وإستراتيجيّين تقبّلوا هذه النّظرة الجيوبولتيكيّة وجعلوها بديلاً عن الشّيوعيّة والاشتراكيّة، وبدوري تقبّلت الأفكار الجيوبولتيكيّة ضدّ أوراسيا الّتي طرحها ماكندر أو بريجنسكي اللّذان جعلا من روسيا هدفاً عبر أوراسيا للسّيطرة عليها وحصارها وتدميرها وتقسيمها، أصررت على أن تكون أوراسيا لاعباً حقيقياً حرّاً ليست لعبة الغرب ضدّ روسيا، لكن اللّعبة بين أوراسيا والغرب.

يسود لدى المفكرين خاصّة العرب أنّه يوجد نظرة جيوبولتيكية واحدة هي نظرة الغرب، لذلك دعمت المدرسة الرّوسيّة وهذا هو هدف الاستراتيجيّين الرّوس وبوتين يستعمل ذلك دائماً ويطبّقه.

الباحث يعقب: أي أنّ روسيا تحاول بناء مدرستها الخاصة على غرار المدرسة البريطانية أو الأمريكية وحضرتكم تحاولون تأسيسها.

دوغين: لقد أسّستها بالفعل منذ بداية التّسعينيات كتبت العديد من الكتب حول الجيوبولتيك وروسيا، حوالي خمس أو ست كتب، لكنّ الأهم أنّ أفكاري أعيد إنتاجها مئات الآلاف من المرّات في العالم، لقد بدأت هذا العلم لكنه اليوم يدرّس في جميع جامعات روسيا، ليس في الكليات الحربيّة والعسكريّة فحسب، وأصبح علماً مقبولاً، لقد أنتجت شيئاً شبه مستحيل يدرّس في كامل المعاهد والجامعات، وذلك يعتبر انتصاراً فكريّاً كبيراً.

الباحث: ماهي أهمّ الأهداف الإستراتيجيّة لروسيا في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا؟.

دوغين: أعتقد أنّ روسيا تحاول الانخراط في صياغة نظام متعدّد الأقطاب في المنطقة، ثانياً تريد روسيا المساعدة على قيام قطب إسلامي يقوم على أنظمة فرعيّة كالجزائر والمغرب وموريتانيا ومصر والسّعوديّة وقطر وتركيا وإيران، هذا النّظام ليس موحّداً، الهدف الرّئيسي لروسيا هو توفير الأسباب لقيام القطب الإسلامي بأقطابه الفرعيّة، وهي الرّاعي لإعادة بعث قوى الحضارة الإسلاميّة ليس لاستعمالها، بل هي مساعدة لميلاد نظام جديد مع تعدّد القوى فيه.

ثالثاً تحاول بلادي جعل هذه البنى تعارض التفوّق الأمريكي وتعزّز التّعدّديّة القطبيّة، إضافة إلى ذلك تسعى لتعزيز التّعاون الاقتصادي والعسكري مع دول الإقليم والتوجّه أكثر فأكثر نحو الاستقلال عن الغرب، مثلاً إذا حاول الغرب استعمال العقوبات ضدّها سيسهل عليها مقاومة هذه العقوبات والاستمرار والنّجاة (يقصد التّخلّص من تأثير العقوبات والقدرة على تحمّلها ونجنب تداعياتها).

الباحث: هل تعتقد أنّ لدى روسيا القدرة على إنشاء نظام متعدّد الأقطاب على المستوى الدولي أو على الأقل على المستوى الإقليمي؟.

دوغين: أعتقد أنّ روسيا لديها القوة ولقد رأينا ذلك في سوريا وسنرى في المستقبل أنّ موسكو ستغيّر ميزان القوى، على سبيل المثال نجحت الولايات المتّحدة الأمريكيّة في إسقاط صدام حسين والقذّافي وأشعلت العديد من الحروب الأهليّة في ليبيا أو العراق أو سوريا، ولو نجحوا في الأخيرة ستكون عدّة دول مثل السّعوديّة الجزائر تركيا وربّما المغرب تحت رحمة الثّورات الملوّنة ولقد أوقفنا ذلك. جاء دعم الأسد ليس لشخصه بل كمبدإ، روسيا تقول لأمريكا وأنصار العولمة أنتم لستم أحراراً لكي تفعلوا ما تشاؤون، وحتى الصّين تشارك في ذلك وبفضل هذا التّدخّل العسكري تمّ الحفاظ على وحدة سوريا، والشّيء نفسه بالنّسبة لداعش الموجّهة من قبل الولايات المتّحدة الأمريكيّة عندما دُمّرت، بعد كلّ هذا انتبه الجميع لمستقبل العراق، واليوم هو أكثر هدوء، وسوريا تمّ تحريرها وهذه هيّ نهاية الثّورات الأمريكية الملونة بقيادة "جورج سورس" و"برنارد ليفي" هاذان الإثنان يحملان حقداً كبيراً ضدّ بوتين لأنّه دمّر لعبتهما، وأعتقد أنّ كلّ دول العالم الإسلامي يجب أن تكون ممتنّةً من هذا التّدخّل، وليس السوريون وحدهم، بالمقابل نحن لا نفرض مصالح أو إيديولوجيّة معيّنة، لقد جئنا للمساعدة فقط، هذا لمصلحتنا صحيح، لكنّه ليس استعماراً على غرار اللّيبراليّة ضد باقي الإيديولوجيّات، روسيا ليست قوّة استعماريّة جديدة، وهذا مهمّ جداً، بل جاءت للمساعدة على إقامة النّظام المتعدّد الأقطاب في العالم العربي.

الباحث يعقّب: يمكن اعتبار ذلك أنّه دور جديد لروسيا حتّى تكون عوناً لدول المنطقة وليست ضدّها.

دوغين: بالضّبط، روسيا جاءت لتكون صديقة وليست عدوّة تماماً أنت محق، وفي السّياق نفسه إنّها ليست قوّة إمبرياليّة لتعويض القوى الإمبرياليّة الأخرى، روسيا هي أحد أقطاب نظام متعدّد، وليس ثنائي ونستطيع مساعدة الحضارة الإسلامية على إعادة تكوين نفسها بنفسها في استقلال عن الغرب وعن الشرق أيضاً، ويمكننا رؤية المستقبل بجديّة لأنّنا نحتاج الأصدقاء والتّحالفات، نحن لسنا أقوياء كفاية لمنافسة العالم العربي، ولكنّنا نملك القوّة للمساعدة، ولنكون أصدقاء، وهذا مهمّ جداً.

الباحث يعقّب: روسيا تحتاج إلى نوع جديد من الأحلاف، وإستراتيجيّة جديدة مع بوتين، بعد 2010 دخلت المنطقة في ثورات تطوّرت العديد منها إلى حروب مثل ليبيا واليمن وسوريا، كيف كانت نظرة روسيا لهذه الثورات؟.

دوغين: روسيا لا تتدخّل في الشؤون الدّاخلية للدّول لكنّها تتخوّف من الحركات السّلفيّة الوهابيّة وتتعامل مع الحكومات القائمة مثل الجزائر والمغرب وليس لديها الرّغبة في قدوم الإسلاميّين إلى السّلطة وهذا لا يعني أنّها تدعم اللّيبرالية، بل هي تدعم الخيارات المجتمعيّة وما تفضّله وما نوع الحكومة الّتي تراها

(يقصد المجتمعات) مناسبة، كل ذلك محترم لأنّنا نحترم الخيارات والعادات والتّقاليد، ونقبل أيّ شيء باستثناء الرّاديكاليّة.

لم تتورّط روسيا مثل الولايات المتّحدة الأمريكيّة بدعمها لطرف على حساب طرف وقمع آخر، وبالتّالي نحن ندعم الرّغبات المجتمعيّة، وإذا ما اختار مجتمع معيّن ثورة ليست مفروضة من الغرب عبر "سورس" أو فرض الديمقراطيّة أو العولمة أو اللّيبراليّة وسياسات الجندر والنّسويّة وحتّى السّفارة الأمريكيّة لذلك روسيا تحاربهم كلّهم في كلّ دول المنطقة لأنّهم الأعداء الحقيقيّون للمجتمع العربي والروسي، كما تحارب أنصار العولمة، ولا تحارب الأمريكيّين، وليس ضد ترامب على سبيل المثال الّذي كانت لدينا معه علاقات طيّبة، ليس لدينا نيّة لدعم أي نوع من الثّورات أو ثقافات أو محافظة (محافظون)، أو دكتاتوريّة نحن لا نحمل أي فكرة (إيديولوجيّة) نحن نحارب أيّ شخص مثل "سورس" أو "برنارد ليفي" ونحارب الإرهاب اللّيبرالي.

الباحث يعقّب: تعتمد روسيا في علاقتها مع الدّول الأخرى على قواعد القانون الدّولي ترجمه ذلك ما جاء في وثيقة إستراتيجية الأمن القومي لروسيا الاتّحادية الصّادرة سنة 2015.

دوغين: نعم، يمكننا قول ذلك.

الباحث: السّيد بوتين سيبقى في السّلطة حتّى سنة 2036.

دوغين مقاطعاً: أعتقد أنّه سيبقى للأبد.

الباحث: هل تعتقد أنّ روسيا ستستمرّفي الصّعود خلال هذه الفترة؟.

دوغين: نعم، أعتقد ذلك، كما أعتقد أنّنا سنستمرّ بالسّير على الخطّ نفسه.

الباحث: كيف سيكون مستقبل إستراتيجيّة روسيا في المنطقة؟.

دوغين: سنستمرّ في دعم كل القوى خلال حربنا ضدّ الأحاديّة القطبيّة، ضدّ العولمة واللّيبراليّة، لن ندعم طرفاً أو إثنين، بل سندعم كلّ القوى الرّافضة للّيبراليّة على سبيل المثال لن ندعم الشّيعة أو الأتراك أو العرب، سنوزّع دعمنا لكلّ من يرفض اللّيبراليّة.

الباحث: لماذا سمحت روسيا بتدخّل حلف الناتو في ليبيا وإسقاط نظام القذّافي، في حين لم تسمح بذلك مع نظام الأسد في سوريا؟.

دوغين: أولاً، لقد كان لدينا في نفس الوقت مع المأساة اللّيبية مشكل مع نائب الرّئيس ميدفيدف كان يريد الحصول على السّلطة ومدعوماً من طرف الغرب على غرار بريجنسكي عندها خسرنا القذّافي، وعندما عاد بوتين أنقذنا الأسد، القذّافي كان موجّهاً من طرف الغرب وهذه كانت من سلبيّاته.

ثانياً، القذّافي لم يكن حليفاً حقيقيّاً لروسيا كان يعتقد أن الغرب حليف له على غرار فرنسا وأوروبا، وفي اللّحظات الأخيرة فقط بدأ يميل نحو موسكو عكس الأسد الّذي كان في كلّ مرّة يطلب تدخّلنا، وكنت قد التقيت بعض السّوريّين الّذين أجمعوا على أنّهم يحتاجون روسيا، وبذلوا مجهودات كبيرة عكس القذافي الّذي لم يبذل أي مجهود.

الباحث يعقب: إذا القذافي كان يلعب على الطّرفين.

دوغين: نعم، لكنّه لم يقم بأي خطوة تجاهنا، يوجد نقطتان تفسّران ما حصل في ليبيا وسوريا، هما الرّئيس ميدفيديف وميل القذّافي للغرب.

الباحث: سيد دوغين، أنا جدّ سعيد لهذه المقابلة، سؤال أخير: هل ناقشت أطروحة دكتوراه أو مقابلة مع باحث دكتوراه جزائري من قبل؟

دوغين: لا، لقد كان لي احتكاك ببعض الجزائريّين، اتّصلت بي إمرأة من أجل ترجمة أحد أعمالي، وكنت جدّ سعيد، التقيت منذ سنوات بمفكرين جزائريّين لكنّي لم أشارك بعد في مناقشة أطروحة دكتوراه.

أتمنّى لك النّجاح في مشوارك الأكاديمي والسّياسي، لك حريّة نشر هذه المقابلة وترجمتها في أي شّكل تريد.

الباحث: شكراً جزيلاً سيّدي، سعدت جداً بمقابلتك.

انتهـــــــــــــــــــــت المقابلـــــــــــــــــــــة

الوثائق

الوثائق

الوثيقة رقم 01: استمارة معلومات متكونة من صفحتين، تحمل أهمّ معلومات قبل الالتحاق بالكتيبة وبعده

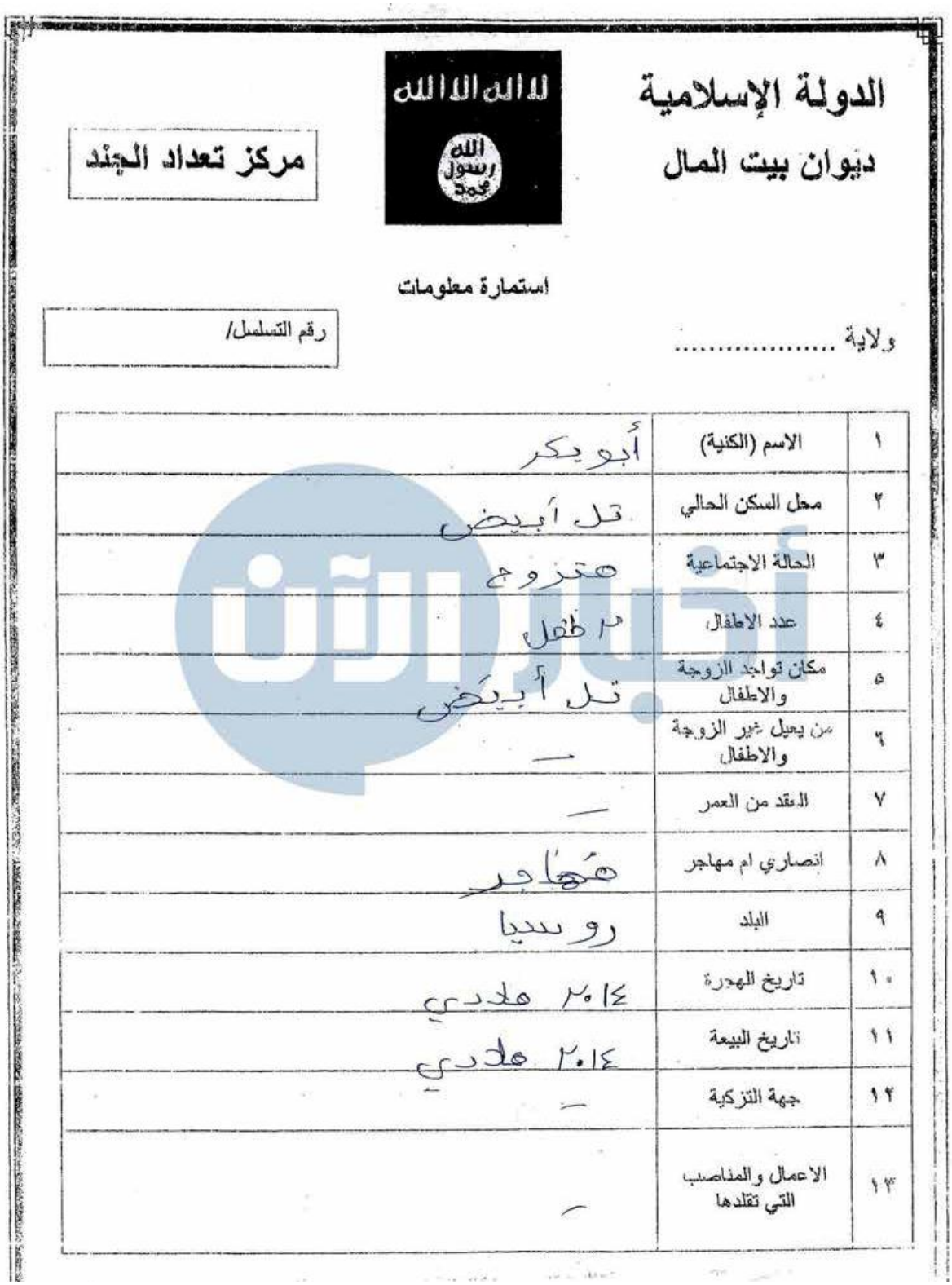

الدولة الإسلامية

ديوان بيت المال

لا اله الا الله

الله رسول محمد

مركز تعداد الجند

استمارة معلومات

رقم التسلسل/

ولاية .....

١	الاسم (الكنية)	أبو بكر
٢	محل السكن الحالي	تل أبيض
٣	الحالة الاجتماعية	متزوج
٤	عدد الاطفال	٣ طفل
٥	مكان تواجد الزوجة والاطفال	تل أبيض
٦	من يعيل غير الزوجة والاطفال	—
٧	العقد من العمر	—
٨	انصاري ام مهاجر	مهاجر
٩	البلد	روسيا
١٠	تاريخ الهجرة	٢٠١٤ هادي
١١	تاريخ البيعة	٢٠١٤ هادي
١٢	جهة التزكية	—
١٣	الاعمال والمناصب التي تقلدها	—

وثيقة رقم 02: الصفحة الثانية لاستمارة المعلومات

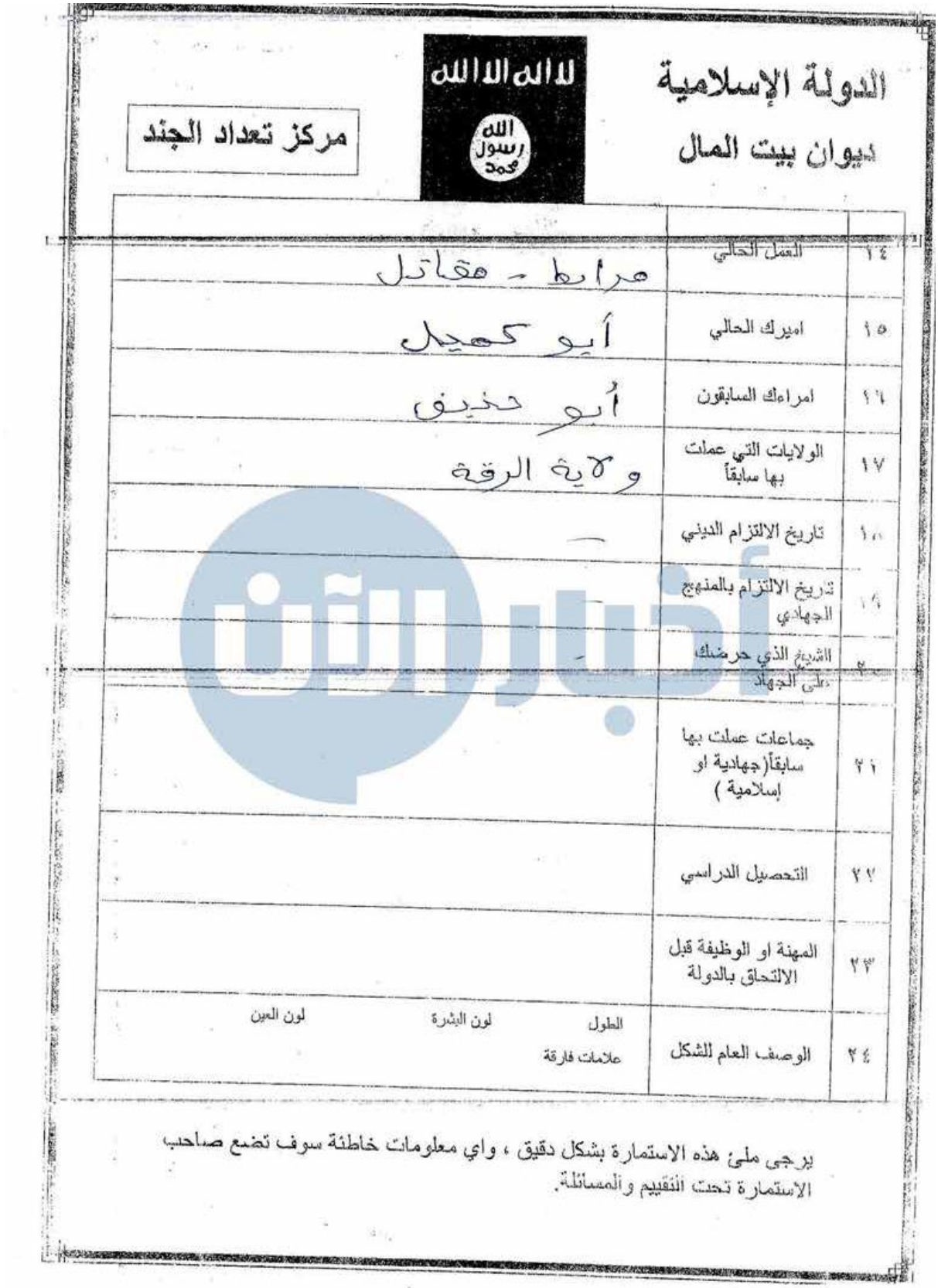

الدولة الإسلامية

ديوان بيت المال

لا اله الا الله

الله رسول محمد

مركز تعداد الجند

١٤	العمل الحالي	مرابط - مقاتل
١٥	اميرك الحالي	أبو كهيل
١٦	امراءك السابقون	أبو حنيف
١٧	الولايات التي عملت بها سابقاً	ولاية الرقة
١٨	تاريخ الالتزام الديني	—
١٩	تاريخ الالتزام بالمنهج الجهادي	
٢٠	الشيخ الذي حرضك على الجهاد	
٢١	جماعات عملت بها سابقاً(جهادية او إسلامية)	
٢٢	التحصيل الدراسي	
٢٣	المهنة او الوظيفة قبل الالتحاق بالدولة	
٢٤	الوصف العام للشكل	الطول لون البشرة لون العين علامات فارقة

يرجى ملئ هذه الاستمارة بشكل دقيق ، واي معلومات خاطئة سوف تضع صاحب الاستمارة تحت التقييم والمساءلة.

وثيقة رقم 03: استمارة تبيّن مشاركة الإرهابي المذكور في عمليّة قامت بها كتيبة الفاتحين

الدولة الإسلامية
ولاية الرقة
الإدارة العسكرية
لجنة توزيع الغنائم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

استمارة مشاركة في غزوة

١٤ / ١ / ١٥ ٣ / ١

البيانات الشخصية

الاسم/الكنية: ابو مسلم الطاشي
الكتيبة/محل العمل: الحمزة
البلد: سوريا
تاريخ الميلاد: ١٩٩٠
الحالة الإجتماعية: ⬠أعزب، ⬠متزوج، ⬠أرمل

بيانات المشاركة في الغزوة

اسم الغزوة: الحمزة
هل شاركت في الاقتحام؟ ⬠نعم، ⬠لا
ما طبيعة مشاركتك في الغزوة؟
⬠(1) فرقة الاقتحام.
⬠(2) الأسلحة الثقيلة.
⬠(3) الطبية العسكرية.
⬠(4) الدفاع الجوي.
⬠(5) الطبية العامة.
⬠(6) الإمداد.
⬠(7) الحواجز حول الفرقة.
اسم الحاجز: .....
⬠(8) حراسة مقرات الكتيبة.
اسم المقر: الحمزة
⬠(9) التمشيط بعد الغزوة.

بيانات التمشيط بعد الغزوة

هل شاركت في التمشيط بعد الغزوة؟ ⬠نعم ، ⬠لا
موقع التمشيط: الحمزة جرابلس الحدود
ما هي المدة التي شاركت فيها بالتمشيط؟ ⬠ثلاثة أيام ⬠يومان ⬠يوم واحد/ساعات

بيانات التواجد وتسليم الغنيمة

مكان التواجد الحالي: ⬠داخل الولاية.
⬠خارج الولاية، ما هي الولاية الحالية؟ .....
⬠شهيد، مكان الاستشهاد؟ .....

هوية مستلم الغنيمة: ⬠استلمها بنفسي.
⬠عن طريق إداري الكتيبة/أمير جهة العمل.
⬠عن طريق الزوجة (للشهداء)، كنية الزوجة: .....
⬠وكيل/وكيل الورثة، اسم الوكيل: .....

ملاحظات هامة:

- اقرأ النموذج كاملاً قبل الإجابة، واملأه بخط واضح بالحبر الأزرق الجاف.
- على الإخوة غير المنضوين تحت مكتيبة/محل عمل معيّن إحضار شاهدين ممن حضروا الغزوة.
- آخر موعد لتسليم الاستمارات: يوم الإثنين 13 ذي القعدة 1435هـ وعليه فاللجنة غير مسؤولة عن التأخير.

توقع على صحة البيانات المدونة أعلاه، وتتحمل كامل المسؤولية لما يترتب عليها من حقوق مالية وغيرها.

التوقيع والختم الرسمي
(أمير الكتيبة/محل العمل)

توقيع المشارك في الغزوة

الدولة الإسلامية
ولاية الرقة
إداري العسكري

الشاهد الأول، الاسم/ ابو محمد حمزة التوقيع/
الشاهد الثاني، الاسم/ ابو عبد الله حمزة التوقيع/

وثيقة رقم 04: جدول يحمل أسماء الإرهابيين والمنح الممنوحة إليهم بالدولار الأمريكي

منح المجاهدين في كتيبة الفاتحين

مسلسل	الاسم	عدد الزوجات	عدد الاولاد	أجمالي المنحة
٥٧	أبو سعد	—	—	٨٧٥٠
٥٨	أبو عبد العزيز	١	—	١٧٥٠
٥٩	أبو الزبير	—	—	٨٧٥٠
٦٠	أبو المثنى	—	—	١٧٥٠٠
٦١	أبو أسامه السلفي	مصيل		٢١٠٠٠
٦٢	أبو أبي	—	—	٨٣٠٠
٦٣	أبو خليل صفاريح	١	٧	٥٣٢٧٥
٦٤	أبو خالد	—	—	٨٧٥٠
٦٥	أبو الحارث	—	—	٨٧٥٠
٦٦	أبو سلمه	—	—	٨٧٥٠
٦٧	أبو البهات	—	—	٨٧٥٠
٦٨	أبو محمد الشامي	—	—	٨٧٥٠
٦٩	أبو جهاد	١	—	١٧٥٠٠
٧٠	أبو محمد بوحافر	١	١	٢٣٦٢٥
٧١	أبو أحمد الحلبي	١	٩	٢٩٧٥٠
٧٢	أبو جميله الزنغاري	١	٢	٢٩٧٥٠
٧٣	أبو عباسي	—	—	٨٧٥٠
٧٤	أبو الحسن	١	—	١٧٥٠٠
٧٥	أبو محمد	١	مصيل ٤ بنات	٤٤٠٠٠
٧٦	أبو عمار	١	—	١٧٥٠٠
٧٧	أبو عبد الله	١	—	١٧٥٠٠
٧٨	أبو سفيان	—	—	٨٧٥٠
٧٩	أبو طلحه المصري	٢	٥	٥٦٨٧٥
٨٠	أبو عبد الرحمن المصري	٢	٣	٤٤٦٢٥
٨١	أبو جعفر الكازاخستاني	يعول أم أب وأخت		٢١٠٠٠
٨٢	أبو عمر التونسي	وله أم	—	٢١٠٠٠
٨٣	أبو قتيبة	١	—	١٧٥٠٠
٨٤	أبو حسين الشامي	١	—	٢٦٢٥٠
	الاجمالي			٥٧٨٧٠٠

وثيقة رقم 05: جدول يوضّح اسم الإرهابي وترقيمه وبلده الأصلي ومهنته في الكتيبة

100	الدغيستان	حمزة	1	8750	50		مقاتل
101	الدغيستان	عبد العزيز	2	29750	170	2	مقاتل
102	روسي	أبو أمير روسي	2	23625	135	1	بائع المحل
103	روسي	سيف الله روسي	2	17500	100		عامل بناء
104	روسي	إسلام ملدووي	2	29750	170	2	مصاب
105	روسي	عبد الله روسي	1	8750	50		مقاتل
106	روسي	عبد الواحد الروسي	2	17500	100		مقاتل
107	روسي	عبد الرحمن الروسي	1	8750	50		مقاتل
108	روسي	أبو محمد كزاكي	2	23625	135	1	مقاتل
109	روسي	أبو تيمور روسي	2	29750	170	2	مقاتل
110	روسي	أبو عمر	1	8750	50		مقاتل
111	روسي	أحمد أسترخاني	2	35875	205	3	مقاتل
112	روسي	إلياس	1	8750	50		مقاتل
113	روسي	محمد نفت	2	17500	100		مقاتل
114	روسي	رفات تركماني	1	8750	50		مقاتل
115	روسي	سعيد روسي	3	56875	325	5	مقاتل
116	روسي	حسن روسي	1	8750	50		مقاتل
117	روسي	أبو دجانة	1	8750	50		مقاتل
118	روسي	أبو سعيد التتاري	2	23625	135	1	مصاب
119	سربيا	أبو طلحة يماني	2	17500	100		مقاتل
120	الشيشان	أبو دجانة الشيشاني	2	17500	100		الإداري
121	الشيشان	خطاب الشيشاني	1	8750	50		أمير الرباط
122	الشيشان	أبو أنس الشيشاني	1	8750	50		مقاتل
123	الشيشان	ميكائيل شيشاني	1	8750	50		مقاتل
124	الشيشان	حمزة إنغوشي	1	8750	50		مقاتل
125	طاجكيستان	أمين طاجكي	2	17500	100		مصاب
126	طاجكيستان	عبد الوحيد طاجكي	2	23625	135	1	مقاتل
127	عراق	يوسف عراقي	1	8750	50		مقاتل
128	كبردا	أبو حفص كبردا	1	8750	50		مصاب
129	الكزاكيستان	أبو عسماء كزاكي	2	29750	170	2	مدرس
130	الكزاكيستان	عبد الملك كزاكي	1	8750	50		مقاتل
131	الكزاكيستان	عبدالحفيظ الكزاكي	2	42000	240	4	مقاتل
132	الكزاكيستان	أبو الدرداء الكزاكي	2	29750	170	2	مقاتل
133	الكزاكيستان	حسن كزاكي	2	17500	100		مقاتل
134	الكزاكيستان	أبو سمية	2	23625	135	1	مقاتل
135	المانيا	عبدالكريم	2	17500	100		مصاب
136	المانيا	أبو داود الألماني	2	17500	100		مقاتل
137	المانيا	أبو العزام	1	8750	50		مقاتل
138	المانيا	أبو موسى	2	23625	135	1	مقاتل
139	تركيا	ابو محسين تركي	1	8750	50		مقاتل
140	الأزربجان	عبد الرحمن ازري	2	23625	135	1	مقاتل
141	مغريب	أبوخالد مغريبي	2	29750	170	2	مقاتل

2 815 750

الفهرس

الفهرس

ملخّص **8**

خطّة الدراسة **10**

مقدّمة: **12**

الفصل الأول: مقاربة معرفيّة لإستراتيجيّة روسيا الاتّحاديّة 36

المبحث الأول: التّطوّر التّاريخي لإستراتيجيّة روسيا 36

المطلب الأول: إستراتيجيّة الإمبراطوريّة الرّوسية 36

المطلب الثّاني: إستراتيجيّة الاتّحاد السّوفياتي 39

المطلب الثّالث: إستراتيجيّة روسيا الاتّحادية بعد الحرب الباردة 46

المطلب الرابّع: الإستراتيجيّة "البوتينيّة" الجديدة 52

المبحث الثاني: أبعاد إستراتيجيّة روسيا الاتّحاديّة 59

المطلب الأول: البعد الجيوبوليتيكي في إستراتيجية روسيا 59

المطلب الثاني: البعد العسكري في الإستراتيجية الروسية 66

المطلب الثالث: البعد الاقتصادي لإستراتيجيّة روسيا 70

المبحث الثالث: مقارنة إستراتيجية روسيا بين الإمبراطورية، الاتّحاد السوفياتي، وروسيا الاتحادية .. 78

المطلب الأول: مقارنة جيوبوليتيكية لإستراتيجية 79

المطلب الثاني: البعد السّياسي للمقارنة بين إستراتيجيّة روسيا خلال المراحل التاريخية 85

المطلب الثالث: مقارنة البعد الاقتصادي للإستراتيجيّة الرّوسية 91

الفصل الثّاني: الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجيّة روسيا الاتّحاديّة 100

المبحث الأول: أهمّية الشّرق وشمال إفريقيا في إستراتيجية روسيا الاتّحاديّة 101

المطلب الأول: الأهميّة الاقتصاديّة للشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجيّة روسيا 101

المطلب الثّاني: الأهمّية الجيوإستراتيجيّة للشّرق الأوسط وشمال إفريقيا في إستراتيجيّة روسيا....106
المطلب الثالث: الأهمية السياسية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا في استراتيجية روسيا.....111
المبحث الثاني: إستراتيجية روسيا تجاه الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في ظل التنافس الدولي 117
المطلب الأول: التنافس الروسي الأمريكي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا 117
المطلب الثاني: التنافس الروسي الصيني في الشرق الاوسط وشمال إفريقيا.....123
المطلب الثالث: مستقبل التنافس الروسي الأمريكي الصيني في الشرق الأوسط.....128
المبحث الثالث: موقف روسيا من أحداث الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010 133
المطلب الأول: سلوك روسيا تجاه أحداث الشرق الأوسط وشمال إفريقيا 133
المطلب الثاني: موقف روسيا من أحداث ليبيا.....138
المطلب الثالث: موقف روسيا من الحرب في سوريا 144
الفصل الثالث: مقارنة إستراتيجية روسيا بين سوريا وليبيا 156
المبحث الأول: المقارنة على المستوى السياسي.....156
المطلب الأول: علاقة روسيا بالحكومة في ليبيا وسوريا.....156
المطلب الثاني: مقارنة إستراتيجية روسيا لمكافحة الإرهاب بين ليبيا وسوريا 165
المطلب الثالث: المستقبل السّياسي لروسيا في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا من خلال المقارنة بين ليبيا وسوريا 173
المبحث الثاني: مقارنة إستراتيجيّة روسيا بين ليبيا وسوريا على المستوى الاقتصادي.....182
المطلب الأول: مقارنة استثمارات روسيا في ليبيا وسوريا 182
المطلب الثاني: مقارنة التبادل التجاري لروسيا مع سوريا وليبيا.....188
المطلب الثالث: الاقتصاد الروسي في ليبيا وسوريا 192
المبحث الثالث: مقارنة استراتيجية روسيا تجاه ليبيا وسوريا على المستوى العسكري.....197
المطلب الأول: مقارنة التدخل العسكري الروسي في ليبيا وسوريا.....197
المطلب الثاني: مبيعات الأسلحة الروسية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مقارنة ليبيا وسوريا.202

المطلب الثالث: مآلات العلاقات العسكرية الروسية مع ليبيا وسوريا 206

الخاتمة:..... **212**

قائمة المراجع..... **218**

المقابلة..... **238**

الوثائق **247**

الفهرس **253**